منطقة الخليج

بين التنافس الأجنبي والصراع الداخلي

أ.د. عبدالوهاب بن صالح بابعير

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بابعير ، عبدالوهاب صالح

منطقة الخليج بين التنافس الأجنبي والصراع الداخلي/ عبدالوهاب صالح بابعير - جدة ، ١٤٢٧هـ.

١٧٢ ص - ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٨-١٨١-٥٢-٩٩٦٠

١ - دول الخليج العربي - تاريخ - العصر الحديث.

٢ - المنازعات الدولية أ العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٠١ ١٤٢٧/٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

يتناول هذا الكتاب أبحاث مدعمة بوثائق تاريخية نشرت في مجلات علمية ومحكمة ومتخصصة. ونظراً لأهمية هذه الأبحاث وإلحاح طلابي وطالبات الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) أرتأيت أن أصدرها في هذا الكتاب لكي تعم الفائدة للمتخصصين والراغبين في التعرف على أحداث منطقة الخليج. فالمراحل التي مرت بها منطقة الخليج كانت تسير جنباً إلى جنب مع تطور النفوذ البريطاني وترسيخه أو تكريسه فيها، وقد تم ذلك عبر سلسلة من الأحداث التي عمدت بريطانيا إلى تنفيذها بغرض سيطرتها على المنطقة.

وبالرغم من الجهود المبذولة لربط المنطقة بالسيادة البريطانية نجد أن الحكومة البريطانية كثيراً ما لجأت إلى استخدام القوة ضد مقاومة القبائل العربية، ولعل أبرز دليل على ذلك المعارك التي خاضتها ضد «قبيلة القواسم» منذ مطلع القرن التاسع عشر تحت شعار ومسمى «محاربة القرضنة».

هذه السيطرة البريطانية حرصت فيها بريطانيا كل الحرص على إبعاد أي منافس دولي في منطقة الخليج، كما كانت تعمل من جهة أخرى على دعم سيطرتها على سكان المنطقة وحملهم على الانصياع لإرادتها. ولأجل تحقيق ذلك ربطت بل ألزمت شيوخ المنطقة بعدة معاهدات الغرض منها تكريس نفوذها وإبعاد كل ما من شأنه أن يفسح المجال لنفوذ أجنبي آخر.

ومن ناحية أخرى لعبت بريطانيا دوراً بارزاً في تأزم العلاقات بين القيادات في المنطقة سواء بتشجيعهم على استمرارية الصراع أو لجوء القيادات نفسها إليها أثناء صراعاتها الداخلية من أجل السلطة.

ومن خلال مما تقدم نجد أن منطقة الخليج كوحدة سياسية متكاملة لها من الأهمية بمكان على المستوى الإقليمي والدولي، وما تزال المنطقة تشهد صراعاً وتنافساً دولياً حتى وقتنا الحاضر.

نسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

دور عرب عمان في نقل الحضارة والثقافة العربية والإسلامية في بلاد زنجبار وبلاد الساحل الإفريقي

(١١٥٤ - ١٢٧٣هـ ، ١٧٤٤ - ١٨٥٦م)

موضوع هذا البحث هو معالجة تاريخية لدور عرب عمان في زنجبار وما حولها من بلاد الساحل الإفريقي الشرقي، فالثابت أن هذه المنطقة كانت ولا تزال مسرحاً لنشاط عربي إسلامي مكثف مع شعوب الساحل الإفريقي وجزره وزنجبار وبمبا ومافيا ومدغشقر وغيرها من الجزر الإفريقية المقابلة للساحل في المحيط الهندي، وقد تبلور نشاط العرب منذ فجر الإسلام إلى أواخر العصور الحديثة إلى قيام دول إسلامية أشهرها دول عرب البوسعيدية العمنية في زنجبار في العصر الحديث، إضافة إلى ما سبقها من ممالك عربية إسلامية من أبرزها سلطنة كلوه الإسلامية ٩٧٥ – ١٣٩٧هـ.

ولقد التزمنا الدقة العلمية الموضوعية ونحن نحاول مع غيرنا جاهدين أن نؤرخ له لهذه المنطقة في تلك الحقبة المشار إليها وذلك ثقة منا بأن كل بحث إذا ما توفر له المناخ العلمي والموضوعي، وأدرك فيه الباحث إدراكًا تامًا بالعامل التاريخي والعوامل المساعدة يكون بذلك قد أسهم إسهامًا جاداً في كتابة التاريخ.

ففي هذا البحث نبين الهجرات العربية الأولى لبلاد الساحل الشرقي، مع التركيز على نشاط العرب التجاري مع ساحل شرقي أفريقيا وأثره في توثيق الصلات، كما تبرز العوامل الجغرافية التي تساعد على اتصال تلك الشعوب بشرقي أفريقيا. ويتضمن البحث أيضًا هجرة العرب من بلاد عجمان إلى شرقي أفريقيا، ودور العرب اليعاربة البارز في طرد البرتغاليين من مسقط، ثم بداية تدخل عرب عمان من بعد ذلك في الصراع العربي البرتغالي في شرق أفريقيا، فاستطاعت دولة اليعاربة أن تقضي على سيطرة البرتغاليين في شرق أفريقيا، كما قضت على هذه السيطرة في كل من عمان والخليج العربي.

ويتضح من هذا البحث أن نجاح العمانيين ارتبط بعدة عوامل منها قوة عرب عمان وتفوقهم في الملاحة بالإضافة إلى حالة الضعف والظروف المختلفة التي

Coupland. E.A., East Africa and its invaders, oxdord, 1983, p.22. (١)

جابهت البرتغاليين أنفسهم، مما ساعد على ظهور السيادة العمانية بصورة واضحة على الساحل الشرقي لأفريقيا حيث امتدت من مقديشو شمالاً إلى جزر المحيط الهندي جنوباً والتي كانت من أبرزها زنجبار التي أصبحت قاعدة ومركزاً لحكم العمانيين في ذلك الجزء من بلاد العالم الإسلامي.

وسنعرض لدور عرب عمان في الحياة الإفريقية العامة، واستعراض عام لنظم الحكم وتقاليده (القضاء - الحسبة - المظالم)، وغيرها من نظم إسلامية، طبقتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ثم العلاقات الخارجية.

وبذلك يبرز دور العرب الواضح في تنمية تلك الشعوب ورقيها، ويعكس أثر الحضارة العربية الإسلامية في تطور المنطقة وتقدمها في كافة مجالات الحياة ومختلف جوانب النشاط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

بلاد اليمن وعمان وحضرموت والبحرين والأحساء هي المناطق التي بدأت تتدفق منها جماعات العرب منذ فجر التاريخ إلى الساحل الإفريقي الشرقي وجزره المختلفة، زنجبار وبمبا ومافيا وغيرها، وهذه المنطقة التي أطلق عليها جغرافيو العرب اسم (بر الزنج) وتبدأ من مصوع شمالاً حتى سوفا جنوبي نهر الأمبيزي جنوباً.

وقد تمكن عرب جنوبي الجزيرة العربية وخاصة عرب عمان من تأسيس المراكز التجارية في سهولة ويسر بعد أن بسطو سيطرتهم وحلوا محل الفينيقيين والإغريق القدماء في الاستقرار. ومن بين المراكز التي أنشأها عرب عمان أبون open في رأس قاردفووي Gaurdafui ولا هوم Lahum ورابتا Rhapta وربما مكث التجار والصيادون فترة قصيزة في تلك الأماكن ورجعوا مرة ثانية إلى بلادهم والأقلية منهم جعلت لهم مكاناً للاستقرار هناك(٢).

---

(٢) = Coupland. ibib,pp.2,15,16,1 = reusch, r., history of east Africa. New York, 1661..pp.17-18

راشد البراوي، الصومال الكبير حقيقة وهدف، القاهرة، ص ١٠ =

حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة ١٩٦٣، ص ٢٧ - ٢٨.

- Stigand, c.n. the land of Zing, London 1913, p.4.

تدفقت الهجرات الإسلامية إلى ساحل شرقي إفريقية وزنجبار منذ أيام الخلفاء الراشدين، وازدادت في أيام الأمويين. خاصة زمن الخليفة عبدالملك بن مروان لأسباب سياسية ودينية، فضلاً عن العامل الاقتصادي الذي كان بارزاً أيام الخليفة عبدالملك بن مر وان وخاصة من بلاد عمان، كانت هجرة سليمان وسعيد التي لم تختلف الروايات كثيراً في بدايتها الحقيقية، وقد تزعمها شيخان عربيان من عمان من الطائفة العبادية من قبيلة الأزد(٣).. ومن الثابت إن هذه الهجرة تحركت من عمان في خلال الفترة من (٧٥–٩٥هـ، ٦٩٤–٧٠٤م) بقيادة سليمان وسعيد ابني عباد الجلندي من قبيلة الأزد، وهما شيوخ العرب الذين حكموا عمان في أيام الدولة الأموية، وثاروا في وجه الخليفة عبدالملك الذي اشتد في تنفيذ سياسة قبيلته لم يرض بها بعض العرب(٤).

ويهمنا في هذا الجانب أن أفراد هذه القبيلة قد طاب لهم المقام في ساحل شرقي أفريقية، وكانوا عاملاً فعالاً في توالي هجرات عربية استمر تدفقها إلى فجر العصور الحديثة، وتمكنت بذلك من تكوين دولة إسلامية امتدت على طول الساحل الشرقي لإفريقيا وجزره المقابلة التي كان من أهمها جزيرة زنجبار، وبعد أن دانت للقبائل العربية السيطرة على زجزاء السواحل المختلفة عملوا على نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية(٥).

ومع ازدهار الإسلام كدين ودولة تدفقت إلى تلك الجهات مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وغيرهم، فأنشأوا مراكز عربية ثابتة، ونشروا الإسلام بين

---

(٣) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ، ٩٥٦، مروج الذهب ومعادن الجوهر، = ج١، ص ١٠٧، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. =

Warner, a., art mambassa, (encyc. Of Islam), Vol.III (2), P. 522= Stigand, Op. cit., p. 29/ = reusch. p. 74

(٤) عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، القاهرة ١٩٦٥ ن جـ١، ص ٧٧.

(٥) Marsh & kingsnorth, An introduction to the history of east Africa, London, 1966, p. 8/ gray, J., history of zanaibar from the middle agree to 1858, London 1962, p. 11.

القبائل الإفريقية الساحلية، والقاطنة في الجزر المطلة على ذلك الساحل، وقد حمل دعاة الإسلام إلى هذه البلاد حضارة ذات مظاهر ثلاث:

١ – طابع الحضارة العربية من حرية العقيدة وحرية الفكر وعدم الجمود.

٢ – ثقافة عربية إسلامية جامعة شاملة العلوم والفنون.

٣ – الدين الإسلامي نفسه الذي يتلائم مع كل زمان ومكان.

وهكذا كان المهاجرون العرب والمسلمون يحملون طابعاً جديداً بالإضافة إلى نشاطهم التجاري القديم، وهذا الطابع الجديد يتمثل في عقائدهم ومذاهبهم التي سادت في بلادهم، نتيجة لظهور الإسلام وما تلاه من نشوء الفرق والمذاهب الواحدة تلو الأخرى لنشر الدعوة، وتحكمت في ذلك العوامل اقتصادية أو سياسية أو عوامل دينية أو اجتماعية، إذ أنها جميعاً لم تصل في وقت واحد(٦).

ولقد ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة بين منطقة الخليج وبين ساحل إفريقيا الشرقي، منها القرب الجغرافي، ومنها نظام الرياح الموسمية في المحيط الهندي، وكانت لهم رحلتان على الأقل في العام، رحلة في الصيف حيث تدفعهم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من خليج عمان وسواحله نحو الشمال الشرقي إلى سواحل الجزيرة والخليج العربي وسواحل الهند حتى بلاد المشرق الأقصى(٧).

وقد وصف الجغرافيون العرب الرحلات العربية من عمان إلى شرقي أفريقيا من

(٦) فيليب حتى، تاريخ العرب، القاهرة ١٩٦٦، ص ٦٦ ٠ ٧٣ / حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، القاهرة ١٩٦٤، ص ٢٨ / –

Budge, E.a.w., A History of Ethiopia, and Abyssibia, vol .1, London 1928, p. 128.

(٧) coupland. op. cit, 15 set/ = marsh, ibid, p. 8. // =

حوراني، جورة فاضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور الوسطى وأوائل العصور القديمة، ١٩٨٥، ص ٢٣.

Segoff. W.H., Somalia, Travel and trade, (the perplus of the – erythrean sea) hammer mogadiscio, 1912), p. 37 =

مروج الذهب، جـ١، ص ٩٩ ز

أمثال ياقوت والمسعودي وغيرهم، وكان المسعودي يذرع البحر إلى شرقي أفريقيا من عمان، وتحدث عن آخر رحلة بقوله: وذكر جماعة من نواخذه هذا البحر من العمانيين والسيرافيين وهم أرباب المراكب أنهم يشاهدون في هذا البحر[٨].

كذلك أشارت بعض المصادر أن سكان جزيرة زنجبار وهم من جماعات البانتو هم أكثر شعوب شرق أفريقيا تأثرًا بالعرب، واختلاط العرب بالبانتو والأفريقيين بوجه عام أدى إلى ظهور عنصر جديد هو العنصر السواحيلي[٩].

ويقسم السواحيليون أنفسهم إلى فرعين رئيسيين بناء على اعتقادهم في أصل أسلافهم:

١ - السواحيليون الشماليون، ويدعون الانتساب إلى زيد بن علي زين العابدين الذي هاجرت جماعته إلى ساحل شرقي أفريقيا بعد مقتل زعيمهم زيد بن علي على أيدي جماعة الخليفة هشام بن عبدالملك[١٠].

٢ - السواحيليون الجنوبيين الذين يدعون الانتماء إلى أسرة الحسن بن علي الشيرازي الذي أُسس سلطنة الزنج الإسلامية، وعاصمتها كلوة عام (٥٦٣هـ، ٩٧٥م) واستمرت هذه السلطنة تحكم في ساحل شرقي إفريقيا حتى مجئ

(٨) زنجبار جزيرة منفصلة عن اليابس ويفصلها شريط ضيق عن ساحل شرقي أفريقيا أو قناة أقل بكثير من عشرين ميلاً، وهي تقع بين خطي عرض ٥ - ٤٠ جنوبًا ويبلغ طولها ٣٥ ميلاً وتبلغ مساحتها ٦٤٠ ميلاً مربعًا أو أكثر من ذلك بقليل = .

Walter Fitzgerald, Africa, Asocial, Economic and political geigraphy of its major regions, p.226 seq./ = gray,op cit,pp.1-30

وكلمة زنجبار معناها، ساحل الزنج «من الفارسية» «بار» بمعنى الساحل وقد أطلقها المسلمون على جميع ما عرفوه من ساحل أفريقيا الشرقي، وسموا البحر المقابل ببحر الزنج (القسم الغربي من المحيط الهندي) وزنجبار أيضًا قريبة من ساحل تنجانيقا، نالت استقلالها في عام ١٩٦٣، ثم انضمت في اتحاد تنجانيقا، وتم ميلاد تنزانيا في عام ١٩٦٤م.

(٩) صلاح العقاد، زنجبار، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٢-٢١.

(١٠) duffy, james, portuguese Africa, London 1961, p.26=basil, worsfold, prtugesse nyssaland, London, 1899, p.22.

البرتغال بقيادة فاسكودي جاما في أعقاب رحلات الكشف الجغرافي في عام (٩٠٣هـ، ١٤٩٧م)[١١].

والسواحيليون الجنوبيون هم الذين تأثروا بالفرس ثم بعرب عمان الذين حكموا في زنجبار ردحًا من الزمن لفترة امتدت من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر، وكان مقر الحكومة العربية العمانية طوال القرن التاسع عشر في جزيرة زنجبار، وكانت حكومة آل البوسعيد هي المسيطرة على زنجبار وما حولها بل امتد نفوذها إلى أجزاء عديدة من الساحل[١٢].

والثابت أن الدولة اليعاربة في عمان وقيامها قد ارتبط بحركة الكفاح ضد البرتغاليين في الخليج العربي[١٣]، فقد بذل ناصر بن مرشد (١٠٤٣-١٠٥٩) (١٦٢٤م-١٦٤٩م) محاولات جادة لتخليص ساحل عمان من الحاميات البرتغالية، لذلك سارع أهالي ساحل شرقي أفريقيا في ممبسة[١٤] وزنجبار لطلب النجدة من سلطان عمان يومئذٍ سلطان بن سيف (١٠٥٩-١٠٧٢هـ، ١٦٤٩-١٦٦٨م)، فأسرع العمانيون بدافع الجهاد الديني، فلبوا نداء الواجب الديني، وظهرت المراكب العمانية أمام سواحل أفريقيا الشرقية، وأبلى العمانيون بلاء حسنًا حتى تمكنوا من السيطرة وطرد البرتغاليين من ممبسة، علمًا بأن العمانيين لم يقوموا بعمل حاسم في شرقي إفريقيا إلا في نهاية القرن السابع عشر. ذلك أنه كان عليهم أن يدعموا قوتهم البحرية أولاً قبل مواجهة البرتغاليين بصفة حاسمة، لذلك تم لهم النصر، فاستولوا على كل الجزر ومدن كلوة وبيت Pate وممبسة وغيرها من بلدان الساحل الشرقي الإفريقي، لذلك أصبحت القوة البحرية العمانية مصدر قلق

---

(١١) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ٣٣ وما بعدها.

(١٢) المرجع السابق، ص ٣٢ وما بعدها.

(١٣) زنجبار، ص ٣٠ - ٣١.

(١٤) coupland, op.cit,69.

حتى بالنسبة للأساطيل الإنجليزية والهولندية في المحيط الهندي في القرن الثامن عشر[١٥].

فبعد أن دعم العمانيون وخاصة أئمة اليعاربة نفوذهم في الساحل خاصة في المراكز الرئيسية، اختاروا أسرة الحارث لجزيرة زنجبار، وأسرة بني نبهان لجزيرة بيت peat وينتمي النبهانيون[١٦]، العرب إلى إحدى الأسر الحاكمة القديمة في عمان والتي حكمت هرمز قبل مجئ البرتغاليين في القرن الخامس عشر[١٧]، أما المزروعيون فقد تمكنوا من تأسيس أسرة حاكمة في ممبسة فكان مؤسسها محمد عثمان المزروعي في عام ١١٥٢ / ١٧٩٣[١٨].

إلا أن الصراع احتدم بين هذه الأسر الحاكمة، فتمكن المزروعيون في ممبسة من الاستقلال عن عمان، واتسم نفوذ اليعاربة على الساحل الشرقي بالضغط، كذلك تمكن المزروعين من انتزاع زنجبار من محمد بن جعد البوسعيدي في عام ١١٧٦هـ/ ١٧٥٣م، إلا أن سعود بن ناصر تمكن من القضاء على حركة المزروعي وقتله في نفس العام[١٩].

كذلك كان للمنازعات الأسرية التي وقعت في عمان بعد وفاة الإمام أحمد بن سعيد ١١٨٩ ١٩٩، ١٧٧٥-١٧٨٤ أثر كبير على النفوذ العربي الإسلامي في ساحل شرقي أفريقيا، كما كان اهتمام آل البوسعيد الأول بالزعامة الدينية بين الأباضيين في زنجبار وغيرها، ولكن لما تولى سلطان بن أحمد الحكم ١٢٠٨هـ ١٢٢٠هـ، ١٧٩٣م ١٠٨٤م) عاد اهتمام الحاكم إلى التجارة والسياسة[٢٠].

---

(١٥) عبدالرحمن زكي، المرجع السابق، ص ١١٩ ز =
Stigand, op. cit, p. 30 seq./ = reusch 183 seq.

(١٦) theal, g.m., records of south eastern Africa, vol. 111, London 1899, pp. 210 - 216.

(١٧) زنجبار، ص ٣٣ وما بعدها.

(١٨) زنجبار، ص ٣٤ ، ٣٥ وما بعدها.

(١٩) زنجبر ، ص ٣٩.

(٢٠) gray, op. cit, p. 30 seq. / = marsch zoe, op. cit., p. 5 seq. /encyc. brittancia, art Zanzibar, vol. 3, p. 935.

استمرت الأحداث على ذلك المنوال بين عمان وساحل إفريقيا الشرقي إلى أن نجح السيد سعيد بن سلطان من تأسيس سلطنة زنجبار الحديثة ١٢٢١ – ١٢٧٣هـ، ١٨٠٦ – ١٨٥٦م، والمعروف أن السيد سعيد تولى الحكم في عمان عام ١٢٢١هـ، ١٨٠٦م ونقل مقر حكمه إلى زنجبار في عام ١٢٥٦هـ، ١٨٤٠م. وكان سعيد يرمي إلى توطيد حكمه في عمان وبتوجيه سياسته إلى الخليج العربي، إلا أنه كان يوزع إقامته بين العاصمتين مسقط وزنجبار للإشراف بنفسه على مراحل النمو والتطور والعمل على نشر الثقافة الإسلامية في ذلك الجزء الإفريقي. وخاصة أن كفة استقراره قد رجحت في زنجبار خلال الفترة ما بين ١٢٥٦هـ، ١٨٤٠م حتى وفاته في ١٢٧٣هـ، ١٨٥٦م(٢١).

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الهدف الاقتصادي كان أقوى الدوافع التي دفعت السيد بن سعيد للإقامة في زنجبار ويقول كوبلاند Cupland بصدد ذلك: ولما كانت التجارة هي الشغل الشاغل لسعيد بن سلطان فلم يكن هناك مكان آخر في ممتلكاته أكثر ملائمة لتنفيذ سياسته الاقتصادية من زنجبار، ولذلك انتقلت العاصمة إلى زنجبار ولم تنتقل إلى ممبسة أو غيرها من المدن الهامة في شرق إفريقيا التي تنافس زنجبار في التاريخ والثروة(٢٢).

لقد ضم الحكم العربي في زنجبار وبعض أجزاء الساحل خلال الفترة ما بين ١١٤٥ – ١٢٧٣هـ، ١٧٤١ - ١٨٥٦م مجموعات من السكان يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام متباينة:

١ – الوطنيون : وهم القبائل الإفريقية التي وفدت إلى زنجبار وما حولها في القرن الأول للميلاد، وهي عناصر من أصل حامي ومن أهمها قبائل البانتو والبوشمن Bushman(٢٣).

---

(٢١) حمدي السيد، الصومال، القاهرة ١٩٥٠ ص ٢٩٨ وما بعدها.

(٢٢) محمد عبدالمنعم يونس، الصومال، القاهرة ١٩٦٢، ص ٧٦. / =
resuch, op. cit. p. 76

(٢٣) صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ٦٢.

٢ – المولدون : وهم عناصر السواحيلي الذين كانوا نتيجة اختلاط العرب بالمواطنين الأفارقة وخاصة عندما قل عدد النساء العربيات، وربما انعدمت هجرة النساء العربيات إلى إفريقيا، مما أدى إلى ظهور السواحيلي والعنصر السواحيلي يتكلم لغة تعتبر خليط من اللغة العربية واللهجات الإفريقية، وهي التي عرفت باسم اللغة السواحلية. وقد ساد الإسلام بين قبائل هذا العنصر واعتنقه الكثير منهم(٢٤).

٣ – المستوطنون : وهم العرب والهنود والفرس.

وقد كون عرب عمان ارستقراطية حاكمة، واستطاعوا أن يسيطروا على تلك الشعوب الزنجية بفضل مدنهم الحصينة، وأسلحتهم المتقدمة، وسفنهم المتعددة، ويظهر أنه بينهم نوع من التفاهم إلى عدة طبقات لعبت كل منها دورها في حياة الساحل والجزر التي حوله والتي كان من أهمها جزيرة زنجبار. وينقسم العرب في زنجبار بصفة خاصة إلى أربعة أقسام:

أولاً : عرب الحضارمة :

وهم معرفون بحب الهجرة في جميع أنحاء المحيط الهندي، وقد اشتغل معظمهم بالأعمال اليدوية ولا سيما حمل البضائع في الموانئ والإتجار بها، وهي مهن اتسعت نتيجة للنشاط التجاري الزائد في زنجبار بالإضافة إلى التجارة.

ثانيًا : عرب الكومور :

ويبدو أن هؤلاء هم التجار الذين كانوا يعملون في التبادل مع جزر الكومور، فلما نشأت دول زنجبار آثروا الاستقرار كمحيط لأعمالهم على أنه كان يطلق على جميع المسلمين الذين يأتون للتجارة مع هذه الجزر كلمة «عرب» دون تحقيق في الأصل.

---

(٢٤) trimingham, s.. islam in east Africa, London 1964, p. 34.

ثالثًا : عرب الساحل :

وهم أولئك العرب الذين استقروا في زنجبار وشواطئ شرق أفريقيا عهد سعيد بن سلطان.

وهم الذين وفدوا مع السلطان عند انتقاله إلى زنجبار، وكانوا يكونون الطبقة الارستقراطية كما سبق القول[٢٥].

وبالإضافة إلى العنصر العربي، كان هناك العنصر الشيرازي الفارسي الذي شارك في الزعامة مع العرب فترة طويلة قبل ظهور العثمانيين في تلك الجهات، وفيما بعد وفدت قبائل عربية أخرى هي المزروعيون بنو سعد وكلاهما له شهرته في تاريخ الساحل، هذا بالإضافة إلى الأشراف أحفاد رسول الله ﷺ وهؤلاء بدورهم لعبوا دوراً كبيراً في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية وحفظ القرآن وتعليم الشريعة الإسلامية[٢٦].

وكانت هناك طبقة الهنود، وهؤلاء ارتبطوا بالمستوطنين العرب ارتباطًا وثيقًا لا في العصور القديمة فحسب، بل في العصور الحديثة أيضًا، وكان الهنود يسكنون سواحل ذلك المحيط، ويتجرون بين أجزائه بين أجزائه المختلفة منذ فجر التاريخ[٢٧].

ما يمكن أن نخلص إليه مما أسلفنا عرضه من معلومات موجزة هو دور عرب عمان البارز في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، وتركير الحكم العربي الإسلامي في شرق أفريقيا، ولقد انتشر الإسلام بصورة أعمق وأوسع، ولقي قبولاً واعتناقًا أكثر لدى المواطنين، وهذه الفترة بمثابة دائرة التحام، أو الثقة بين ناشري الإسلام

---

(٢٥) محمد عبدالمنعم يونس المرجع السابق، ص ٦٧ ز أنظر كذلك: جلال يحيى، التنافس الدولي في شرق أفريقيا، القاهرة ١٩٥٩، ص ١٢.

(٢٦) ياقوت الحموي (الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله، ص ١٢٢٩م). معجم البلدان، بيروت ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦، ج، ص ١٥٢ / أنظر أيضاً حمدي السيد، المرجع السابق، ص ٣٥٦ وما بعدها.

(٢٧) سيد حريز، مساهمة علماء شرق أفريقيا في الحضارة الإسلامية من خلال مخطوطاتهم، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية، بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٥، ص ١٣٨ – ١٣٩.

ومعتنقيه وهي كذلك مرحلة غرس وتأصيل النشأة الفعلية والتطور للحكم الإسلامي في زنجبار، وقد اتبع حكم العمانيين لزنبجبار وبعض بلاد الساحل، اتبعوا النهج الإسلامي في الحكم والقضاء وفي داوئر الأحوال الشخصية وفي الممارسات العامة في الحياة اليومية، وقد حمل حكام العرب في زنجبار بعض الألقاب الإسلامية مثل الإمام والسيد والسلطان، ولقب السيد عرفه العرب قبل الإسلام وهو مرادف لكلمة الشيخ(٢٨).

كذلك انعكست الحضارة العربية والإسلامية على حياة الناس في تلك البلاد – ولا سيما على طبقة الحكام وعلى الصفوة المستنيرة – في أوجه مختلفة من الحياة العامة نذكر منها المأكل والمسكن والملبس والأدب . . . إلخ.

ونتيجة لهذا المد الإسلامي في زنجبار وبلاد الساحل الإفريقي، والذي بهر القوى الأوروبية المسيحية وصمد أمامها، انتشرت الحضارة العربية الإسلامية على امتداد الساحل وجزر المحيط الهندي – ولا سيما الجزر المتاخمة للساحل، وقد تأثرت العديد من المدن والأقطار بهذا المد الحضاري العربي الإسلامي حتى صار بعضها قلاعاً للتراث الإسلامي والحضارة العربية إلى عهد قريب، وذكر من بين هذه الأماكن مقديشيو وممبسة ومالندى وكلوه وزنجبار وبمبا ومافيا وموزمبيق وجزر القمر ومدغشقر. وبالرغم من الغزو العسكري والثقافي الذي تعرضت له تلك الأماكن على أيدي القوى الأوروبية المسيحية إلا أن بعض الحضارة العربية الإسلامية ما تزال تظهر جلية في الحياة العامة في تلك الأماكن وتكاد تهيمن هيمنة تامة على تاريخها وتراثها، والمستودعات الأساسية لهذا التراث الحضاري هي الوثائق العربية الإسلامية المنتشرة على امتداد الساحل الشرقي الأفريقي، والتي تعتبر مساهمة عربية – أفريقية مشتركة وتراثا إسلامياً خالصاً(٢٩).

(٢٨) trimming, ibid, pp. 16 - 17.

(٢٩) trimming, ibid, pp. 16 - scq.

فمن حيث نظم الحكم، نجد الطابع الغالب هو نظام الوراثة، ليس فقط في منصب الحكم الأعلى، شيخًا كان أم سلطانًا، ولكن أيضًا في بعض المناصب الهامة، كولاية القضاء أو الإمارة على بعض الأقاليم التابعة للمشيخة أو السلطنة، وكانت بعض الإمارات التابعة للنبهانيين تتمتع بشئ من الاستقلال الداخلي في شئون الحكم والإدارة مع وجود سلطة عليا عليها ممثلة في الإمارة الحاكمة المسيطرة كما كانت مدن جزر بيت ومافيا الصغيرة تحكمها مجالس تحت اسم الوزاي Wazee وكانت هذه المجالس يرأسها الشيوخ بالوراثة، وهي مسئولة عن الاستقرار الداخلي، ولها قوة التأثير في جباية الضرائب التي يدفعها الوطنيون للحكومة(٣٠).

كذلك وجدت في بعض مدن الساحل وجزره به بعض الألقاب والوظائف الأخرى مثل القاضي والمحتسب ووالي المظالم والكاتب وصاحب الأوقاف والسلاطين والشيوخ... تحيط بهم هالة من التقديس وهي تظهر بوضوح في المناسبات الدينية كضرب الطبول والقرن الخشبي وتحيط بهم كذلك مجموعة من الوزراء والأمراء بجانب ذكر اسم الإمام أو السلطان في خطبة الجمعة.

ويمارس الحكام سلطاتهم بحرية مطلقة وتساعدهم أحيانًا هيئة تسمى الديوان(٣١). وكان القاضي أكبر شخصية في المدينة العربية الساحلية ويلي السلطان في الأهمية فالقاضي رجل زاهد، أو أن يختار من بين الزاهدين الذين صدقت ظواهرهم وبواطنهم، أو من الفقراء الصالحين ويتمتع القاضي بمرتبة سامية منذ دخول الإسلام في البلاد، وقد ذكر ابن بطوطة في هذا الجانب أن القاضي بمرتبة يلي الشيخ في الأهمية والمكانة الرفيعة(٣٢).

(٣٠) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، ط ٧٧٩هـ/ ١٣٦٩م: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، ١٣٢، ص ١٩١.

(٣١) طرخان، إباهيم علي، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة (القاهرة ١٩٥٩ – ص ٤٢، / أحمد إلياس حسين، سير الأباضية، (تحقيق).

(٣٢) محمود طه أبوالعلا، المؤثرات العربية في شرق أفريقيا (محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية بالقاهرة ١١ مايو ١٩٦٠م، ص ٣).

وفي الفصل في القضايا تنظر أحيانًا هيئة مكونة من القاضي والوزراء وكاتب السر، وأربعة من كبار الأمراء، وذلك للفصل بين الناس والنظر في الشكاوي، وما كان مفتقراً إلى مشورة السلطان كتبوا إليه فيه فيخرج من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره.

ويلم القضاة في هذه البلاد إلماماً كاملاً بالفقه الإسلامي والقانون، ويطلعون ويتدارسون في نصوص المذهب الشافعي وتعاليمه، والمذهب الشافعي هو المذهب السائد في تلك البلاد كما انتشر مذهب الأباضية الخوارج في داخل زنجبار(٣٣).

أما عن الحياة الاقتصادية، فالواضح أن زنجبار وما حولها ومناطق الإقليم الجنوبي بصفة خاصة تتمتع بالغنى، والثروة الطبيعية بتلك البلاد وفيرة جداً سواء من الناحية النباتية أو الحيوانية أو المعدنية، وكانت حاصلات زنجبار وما حولها تحتل قيمة تجارية كبيرة في أسواق الهلال الخصيب ومصر. وقد رأى العرب في هذه الحاصلات مورداً تجاريًا هاماً وكذلك تنمية هذه الثروة الاقتصادية الزراعية يعود بثروة طائلة لمستغليها ولذلك وجد النازحون العرب ميداناً زراعيًا يستهويهم للإقامة في مكان استقلال العرب هذا الإقليم. وكان استغلال العرب لهذه المرافق ليس مقصوراً على مصلحتهم فحسب بل ومصلحة السكان الوطنيين أنفسهم(٣٤).

وفي زنجبار بصفة خاصة طاب المقام للجماعات العربية الوافدة من عمان وحضرموت، حتى نجحوا في تأسيس وطن أحالوه إلى جنة خضراء يانعة، وعرفوا أن هذه المنطقة صالحة للزراعة، ويتوفر بها عدد كبير من رقيق الأرض، ويحرثونها ثم يزرعونها، ويقومون بأعمال المنزل المختلفة حتى فقراء العرب الذين وصلوا إلى تلك الجهة أصبحوا في مرتبة الأمراء وكبار الأغنياء(٣٥).

---

(٣٣) guillian. m., documents sur L' feographic de L' afrique orientale, (3) rols. vol. (1) paris 1956, pp. 299-300./ = see also: reusch, op. cit., [75.

(٣٤) محمود طه أبوالعلا، ص ٣.

(٣٥) reusch, Ibid, p. 67

ونزح كثير من عرب عمان وحضرموت واليمن إلى الساحل لزراعة أشجار البخور المقدسة التي كانوا يزرعونها في بلادهم، وكانت أسواق الهلال الخصيب ومصر وحوض البحر المتوسط تتسابق نحو هذه المنتجات الهامة، ولذا نجد أن ساحل شرقي أفريقيا عامة وزنجبار بصفة خاصة لها المزايا الاقتصادية، مما جذب إليها العرب تجاريًا وزراعيًا(٣٦).

وقد اعتمد العرب في بداية حياتهم على صيد الأسماك والحيوان البري، وعملوا في الزراعة لفترة من الزمن حتى تمكنوا من تطوير حياتهم، ومارسوا التجارة على أوسع نطاق وبسرعة مذهلة ازداد حجم ثرواتهم، وازداد دخلهم، وتطورت قراه الصغيرة إلى مدن كبيرة، وأصبحت بدورها مراكز تجارية هامة(٣٧).

وامتازت معظم بلاد الساحل وجزره بصفة عامة بإنتاج بعض المحاصيل الزراعية وجلب العرب الفواكه من الشرق، واهتموا بزراعة الذرة والفول والأرز في الأرض الواقعة حول مجاري الأنهار، إلا أن هذه الزراعة كانت مقصورة على استهلاكهم المحلي، وزرعوا قصب السكر وشجر الكافور التي تجذب رائحتها التجار، وزرعوا كذلك الموز الذي كان غذاء رئيسيًا لهم(٣٨).

كذلك أصلح العرب نظام الري في زنجبار، وشقوا الترع والقنوات بما يكفل الإنتاج الزراعي إلى حد كبير، وأقاموا المجاري، ونهضوا بالزراعة والفلاحة نهضة مباركة كان لها أثرها العظيم في زيادة إنتاج الحاصلات وتعدد أنواعها(٣٩).

وقام العرب بتعدين مناجم الذهب والفضة والحديد والنحاس، وأصبحت

---

(٣٦) غربال، محمد شفيق، الموسوعة الميسرة، القاهرة ١٩٦٥، ص ١١٣٧.

(٣٧) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص ٩١ / – أنظر أيضًا:

Freeman & grenville, the east Africa caost (select documents from the first to the earliest nineteenth century). carend on press 1962., p. 19.

(٣٨) عبدالرحمن زكي، نفس المرجع، ص ٩٢.

(٣٩) أحمد حنفي القضائي الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، القاهرة ١٣٢١هـ/ ٩٠٢ – م، (ق).

ثروتهم الرئيسية هي اللؤلؤ والماس والياقوت ومعادن الذهب والفضة ومعادن هامة مثل صناعة الحديد والمنسوجات القطنية(٤٠).

واهتم العرب أيضًا بتربية الجمل كحيوان عربي أصيل، ومن الصعب أن يتصور المرء أن الجمل قد أدخل هذه الجهات من غير جزيرة العرب(٤١). واعتنى العرب بتربية الماشية والأغنام والماعز هو أثر من الآثار العربية، وكذلك حياة البداوة والتنقل وراء الأمطار طلبًا للرعي فن عربي أصيل، عرف طريقه على هذا الإقليم عن طريق العرب(٤٢).

أما عن صادرات العرب من تلك البلاد، فكانت الصندل والعاج والذهب وريش النعام والعسل والبن والسمن والجلد والشمع والملح والموز واللؤلؤ والأصداف والصمغ واللبان، وكان العرب يقومون بتصدير هذه المنتجات إلى عمان ثم الهند والصين، ويستورد العرب القمح في مقابل العاج وزيت النخيل والرقيق إلى الهند والصين(٤٣).

ومن هذا نستطيع أن نقف على مستوى الحياة العربية والثراء العريق، وحياة الترف في زنجبار وبعض بلاد الساحل في تلك الفترة فقد ذكر بعض المؤرخين أن الرخاء كان شاملاً، ومستوى الحياة عالميًا، ويستدلون على ذلك بأن السكان يرفلون في ملابسهم الحريرية والقطنية، وإن النساء يلبسن حلية من الأحجار الكريمة والضعن، وأن الحكام يعيشون في بذخ ظاهر، وقد أضافوا بأن مدن كلوه وزنجبار تجري فيها الأنهار وحولها عدة قنوات ومياها عذبة ويتاجر أهلها مع سوفالا (في روديسيا الآن) ويجلبون منها الذهب، ويرسلونه إلى كل أنحاء الجزيرة العربية حتى الحبشة(٤٤).

---

(٤٠) محمود طه أبوالعلا، ص ٢١.

(٤١) محمود طه. أبو العلا، ص ٢١.

(٤٢) البستاني، دائرة المعارف، مجلد ١١، ص ٧١. // الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٣٧. // حوراني، فاضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٨٢-٨٣.

(٤٣) حمدي السيد. المرجع السابق، ص ٣١٨-٣٢٦.

(٤٤) dames, m.1.s hakuyt, the book of dautre barbisa, vol.3 (1), pp. 6-29.

لقد كانت التجارة مزدهرة، وكانت البضائع الهندية من ملابس وأدوات الزينة تأتيهم عن طريق التجار العرب، وحالة الرخاء التي سبق وصفها لابد أن تتطلب صُناعًا مهرة في الفنون المعمارية، صناعة الحلي، صناعة التعدين والحياكة وغيرها من الصناعات السائدة في ذلك الحين. ومعنى هذا أن أسباب الحياة من تجارة وزراعة وصناعة وتقسيم العمل قامت على أكتاف العرب النازحين إلى هذه البلاد الذي كان غُفلاً من كل شيء.

اهتم الحكام العرب في زنجبار منذ البداية بتنظيم الإدارة المالية على أن تطابق الشرع الإسلامي ومصادرها متعددة وهي الزكاة والغنيمة والخراج، كذلك وجدت عندهم مكوس التجارة وكانت الغنيمة والجزية تجمع من المدن الخاضعة وتتكون من العاج والذهب.

وكان حكام هذه البلاد المسلمون يكثرون من الإنفاق في سبيل الله، وراعوا الشرع في النظام المالي، وبالإضافة إلى ذلك كانوا يقومون بدفع مرتبات للمجاهدين، ومرتبات أخرى منتظمة للجند النظاميين(٤٥)

أما عن الجزية التي فرضتها زنجبار في أيام السيد سعيد البوسعيد وما قبل ذلك من عهود العمانيين من يعاربه ومزروعيين كانت هذه الجزية التي فرضتها زنجبار على بعض المدن التي أخضعتها في بعض الفترات مثل كيدايو وبيت وممبسة كانت عبارة عن عشرين مثقالاً من الذهب يدفعها كل رئيس قبيلة لسلطان زنجبار. وفي بعض الأحيان فرضت زنجبار على أهل كيتو الذين أخضعتهم لسلطانهم جزية تمثلت في محصول يدفعه كل من يفلح أرضًا في تلك البلاد(٤٦). كذلك فرضت زنجبار جزية عبارة عن العاج على قبائل الماوردنق، كما فرضت جزية على بعض

Trimingham, op.cit.p. 16 seq. (٤٥)

sitigand, op. ci., Pp. 43 - 89./ = reusch, opcit, 185. (٤٦)

القبائل الوثنية في مافيا Mafia كانت عبارة عن الذهب(٤٧). وكانت الغنيمة تتكون من الذهب والفضة والعاج(٤٨).

وقد ضربت في عهد حكام زنجبار عملات برونزية وذهبية وفضية، ولا يزال بعضها موجوداً في المتحف البريطاني بلندن في أحد وجهها اسم السلطان أو الحاكم وفي الوجه الآخر عبارات إسلامية(٤٩). ووجدت في زنجبار وظيفة الحسبة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقوم صاحبها المحتسب بالإشراف على الأسواق ومراقبة المكاييل والموازيين ومعاقبة من يخل بالأمن(٥٠).

والواضح أن العرب والفرس نقلوا معهم إلى تلك البلاد مظاهر حضارتهم فنقلوا النقش والحفر والنحت وأدخلوا معهم الأصول لفنهم من عقود البناء العالية الجميلة، والفيسفساء المتحدة مع الرخام الملون ورسومهم الجميلة، وظهر ذلك جلياً في قصور زنجبار وغيرها من مدن الساحل، كما أدخل الفرس نظاماً معمارياً وهو البناء بالحجارة، بالإضافة إلى استعمال الأسمنت والرمل والخشب، وكان فيها مهندسون برعوا في فن النقش والزخرفة وهندسة البناء(٥١).

ولسكان زنجبار وبعض المدن الساحلية التي خضعت لسلطان العرب العمانيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نجد نوعين من التقاليد، نوع ناتج عن الديانة الإسلامية، والنوع الآخر ناتج عن حياة الوطنيين البدوية، ففي الأعياد ومختلف المناسبات تخرج القبائل في صفوف منتظمة تحت إمرة زعيمها، ترقص الرقصات الوطنية، وتشبه إلى حد كبير الرقصات العربية(٥٢).

(٤٧) resuch, ibid, p. 173./ freeman, op. cit., p. 39.

(٤٨) Resuch, Ibid, p. 123.

(٤٩) Ibid, pp. 170 - 175.

(٥٠) Trimingham, Ibid, P. 16.

(٥١) عبدالرحمن زكي، المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠.

(٥٢) صوار. أحمد. الصومال الكبير والساحل، القاهرة ١٩٥٩، ص ١١.

لقد نفح العرب من هؤلاء السكان حب الأدب والفنون والشعر، وخرج من بينهم شعراء وخطباء وأصبح لهم أدب يعتزون به وبرز كثير من العلماء والشعراء والأدباء باللسان العربي، كالفقيه البليغ فخر الدين أبي عمر بن عثمان بن علي بن محمد البارعي الزيلعي. كما أوردت المخطوطات العربية في زنجبار وبعض بلاد الساحل أسماء بعض العلماء والفقهاء والأدباء، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أسماؤهم وبعض مساهماتهم:

١ - الشيخ برهان محمد مكلي. ومن بين مساهماته: مرشد الفتيان، الألفية الواضحة، نفحة الوردة، وتاريخ جزيرة القمر.

٢ - الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني. ومن بين مساهماته: رحلة أبي الحارث ومقامات أبي الحارث.

٣ - الشيخ حسن بن عمر الشيرازي. ومن بين مساهماته وسيلة الرجاء، مدراج العلي، ومسلك المحتاج.

ويبدو أن العديد من هؤلاء العلماء من أصل عربي، أو هكذا يودون أن يروا أنفسهم وذلك للتأثير العربي العميق في نفوس سكان البلاد الذين صاروا ألصق بالجزيرة العربية بوجه عام وتتضح محاولة تأكيد الصلة بالمواطن العربي أو الإسلامي في أسماء هؤلاء العلماء مثل مكلي نسبة إلى المكلا وغير ذلك[٥٣].

(٥٣) حريز، مساهمة علماء شرق أفريقيا في الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٤١.

خاتمة

في خلاصة هذا العرض الموجز لدور عرب عمان وجنوبي الجزيرة العربية بوجه عام على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في بلاد وقعت تحت التأثير العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: أخلص إلى القول إلى أنه كان للموقع الجغرافي أثر واضح في أن تتصل هذه البلاد الإفريقية منذ الوهلة الأولى بالينبوع الأول للعروبة وأهلها، إذ تقترب هذه المنطقة من عمان وبلاد اليمن، مهد الحضارة العريقة التي عرفها العرب قبل الإسلام، وقامت بينهما علائق وثيقة امتدت خلال العصور الإسلامية المختلفة وازدادت متانة خلال حكم العمانيين حتى نهاية القرن التاسع عشر، وكان العامل الأساسي لتوثيق هذه العلائق هو المنفعة العامة وخدمة الحضارة. وقد سافر طلاب العلم، منهم الأمراء من زنجبار إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وعدن ومسقط وغيرها من المدن العربية الإسلامية، وذلك لنهل علوم المعرفة، وخاصة علوم الدين والفقه، وقد ربطت زنجبار علاقات متينة ببلاد العالم الخارجي في عهد الحكم العربي العماني، وذلك لتوثيق العلاقات الثقافية والتجارية وغيرها، مع مصر وبلاد الجزيرة العربية والهلال الخصيب والعراق، وحتى بلاد الشرق الأقصى في الهند والصين، فتمكن عرب عمان من تطوير هذه البلاد في كافة المجالات، حتى زوال حكمهم ببداية التدخل الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

القواسم ومواجهة الأطماع الأوروبية
في الخليج العربي في القرنين ١٨ - ١٩

تتمتع منطقة الخليج العربي منذ القديم بأهمية اقتصادية وسياسية وعسكرية، هذا بجانب كونها تتمتع بصفة عامة بموقع مميز استراتيجي وجغرافي، وكانت هذه الأهمية التي تمتاز بها هذه المنطقة عامل جذب في استقطاب القوى العالمية للسيطرة عليها على امتداد القرون الغابرة وحتى وقتنا الحاضر.

والأهمية الجغرافية لهذه المنطقة تأتي عن كونها حلقة اتصال مباشر بين الشرق الأقصى من جهة، والشرق العربي وأوروبا من جهة أخرى، وهذا ما جعلها معبراً مائياً لنقل التجارة البحرية بين هاتين المنطقتين. لذلك فإن هذه الأهمية، فضلاً عما حبتها به الطبيعة من إمكانات تجارية وملاحية ومعدنية، هي السبب الأساسي في عناية الكتاب القدامى والمحدثين، الرحالة منهم والجغرافيين، بحيث لا نجد كتاباً من كتبهم يخلو من وصف لمدن الخليج ومياهه وطرق التجارة والملاحة المتبعة فيه ودور قبائل المنطقة المتعاظم في هذه المجالات، وهذه النواحي هي التي ستكون موضوع هذا البحث الذي سيركز تركيزاً هاماً على الدور التاريخي لواحدة من أهم قبائل تلك المنطقة، وهي قبيلة القواسم.

أما الأهمية الإستراتيجية للمنطقة فقد ظهرت من حيث وقوع الخليج بين القارات الثلاث القديمة (آسيا، أفريقيا، أوروبا) مما أوجد له أهمية بالغة كطريق حيوي للتجارة الشرقية، بالإضافة إلى كثرة موارده الاقتصادية مثل: (اللؤلؤ، المرجان، السمك. . .) وأخيراً النفط، إضافة إلى أن عرب المنطقة استحوذوا لفترة طويلة على التجارة الموصلة إلى المحيط الهندي وشرق أفريقيا، ومن هاتين المنطقتين إلى الخليج. وجاء اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي هذا القرن ليغطي على الأهمية التقليدية التي كان يتمتع بها الخليج في السابق، وأصبح تسابق الدول الكبرى للتوغل في هذا الشريان أمراً ملحاً يرتبط بمستقبل صناعتها التي اعتمدت النفط في تحريك جميع مفاصلها. لذلك يمكن القول أن هذا الموقع المتميز هو الذي لفت انتباه الدول الغربية مما جعلها توجه أنظارها إليه من أجل بسط

سيطرتها عليه استغلالاً لثرواته وتقييداً لحرية شعوبه. فبرز الخليج كمجال للصراع الدولي بين القوى الأجنبية للسيطرة عليه بدءًا بالبرتغاليين وانتهاءً بالبريطانيين الذين مثل لهم الخليج إضافة إلى ما سبق طريقًا حيويًا للوصول إلى الهند، «درة التاج البريطاني»، فضلاً على أن احتلال المنطقة يعتبر كذلك وسيلة فعالة لضمان سيطرة بريطانيا على الهند، وتأسيسًا على ذلك، فقد بدأت بريطانيا سلسلة محاولات لفرض سيطرتها على الخليج، لكنها لم تجد الأمر سهلاً كما توقعت، حيث أظهرت شعوب المنطقة إصرارًا ومقاومة لكافة المحاولات الأجنبية. وكانت أبرز القوى المحلية التي وقفت ضد بريطانيا، قوة القواسم البحرية، والتي اتخذت صراعها مع بريطانيا ومع القوى الأخرى المؤيدة لها بُعداً آخر بعد أن أيد القواسم مبادئ الدعوة السلفية. وقد عالجت موضوع الصراع بين القواسم وبريطانيا في بحث مستقل بهذا الكتاب، انتهى ذلك الصراع بعقد سلسلة من المعاهدات والإتفاقيات، ارتكزت عليه السياسة البريطانية في الخليج حتى النصف الأول من القرن العشرين.

إلا أنه كان للقواسم دوراً عظيمًا آخر قاموا به في منطقة الخليج العربي ضد القوى البحرية المختلفة في تلك المنطقة(١).

نال امتداد الخليج العربي وموقعه الممتاز أهمية عظمى سواء بالنسبة للجغرافيين أو المؤرخين أو رجال السياسة(٢)، فالخليج يتغلغل في قلب العالم القديم مشكلاً امتداداً عظيمًا للمحيط الهندي(٣). وحيث أنه لا يمكن تجاهل هذه الأهمية من أجل فهم مسببات وطبيعة الأحداث التاريخية الواقعة عليه، فإنه من

---

(١) أرنولد، ت. ويلسون: الخليج العربي مجمل تاريخي منذ أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبدالقادر يوسف، مكتب الأمل، الكويت. د. ت ص ٣١٠.

(٢) محمد متولي: حوض الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، د. ت، ٢/ ٤٦٤٠ / المرجع السابق، ص ٣١.

(٣) أحمد خليل العطوي: دولة الإمارات العربية المتحدة نشأتها وتطورها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٨٠.

الضروري أن نركز على عاملين أسهما في ترسيخ مفهوم الأهمية الاستراتيجية التي تتمتع به المنطقة :

١ - الموقع الجغرافي .

٢ - الطبيعة الجغرافية .

يعتبر الخليج العربي، الطريق المائي الحيوي الذي يربط العراق وشرقي الجزيرة العربية بالهند وجنوب آسيا وحوض البحر المتوسط والأناضول، وهو في نظر أوروبا المفتاح الذي يفتح مقاليد الشرق(٤). ولم ينل الخليج العربي أهميته في العصر الحديث فقط، بل كان منذ أقدم العصور يحظى بموقع استراتيجي مميز فهو « ... نقطة اتصال تجاري بين بلدان كانت منذ فجر التاريخ مهد حضارات جعلتها في مقدمة الأمم تجاريًا وعمرانيًا(٥). ومما يؤكد هذه الأهمية، المنافسة التي كانت بين الفرس واليونان في القرن الرابع قبل الميلاد، والتي نبّهت الإسكندر المقدوني إلى تلك الأهمية العظمى التي تتمتع بها المنطقة، فحرص على احتلالها لتأمين وضعه في مصر.

واستمر موقع الخليج العربي يزداد أهمية عبر العصور، حتى إذا جاء العهد الإسلامي، ليبرز الخليج في حالة ازدهار وحضارة ولتتطور المشروعات الملاحية فيه مواكبة لنشاط العمانيين البحري المتميز(٦). ونظرًا لما أبدته بعض المواقع في منطقة الخليج من نشاط فكري اتسم بطابع الاستقلالية والمبادرة من أجل التفكير المستقل، فإن المنطقة ازدادت أهميتها وأصبحت في صراع مستمر مع عواصم الخلافة(٧).

---

(٤) جان نانو : اتحاد الإمارات العربية، دار الإعلام العربي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص١٧.

(٥) أحمد خليل العطوي، المرجع السابق، ص ٨٧ . / جان نانو : نفس المرجع، ص١٧.

(٦) أرنولد، ويلسون، الخليج العربي، ص ٣٤-٣٦ . / أحمد خليل العطوي، نفس المرجع، ص ٨٧-٨٩.

(٧) س.ب. مايلز : الخليج العربي، بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله. سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢، ص ٨١.

وفي العصر الحديث برز الخليج كمركز وسيط للتجارة خاصة تجارة المرور[٨]. ولفت ذلك أنظار الدول الأوروبية التي قادت حركة الكشوف الجغرافية كسبيل لاحتلال المناطق التي تكتشفها، ومن ثم نشر الديانة النصرانية بها، فكانت أهمية موقعه سبباً دعا البرتغاليين إلى الاهتمام به والتحكم في أراضيه، الأمر الذي دفعهم إلى إقامة القلاع والحصون على سواحله لحماية سفنهم، وهذه الأهمية أيضاً كانت حافزاً قوياً لبريطانيا بعد ذلك لبسط نفوذها على منطقة الخليج العربي[٩]. ولم يكن موقع الخليج العربي - كما أسلفنا هو الذي أعطاه المكان المميز له، بل إن الطبيعة الجغرافية ساهمت بدرجة كبيرة في هذه الأمر، إذ أنه من المعلوم أن لدراسة التضاريس أهمية كبرى، لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً على نشاط الإنسان على سطح الأرض[١٠].

إن المنطقة الجغرافية التي تنبع الأحداث منها تسمى منطقة (عمان)، وتمتد هذه المنطقة من حدود شبه جزيرة قطر على ساحل الخليج العربي حتى حدود حضرموت. وتقع هذه المنطقة - عمان - في الجنوب الشرقي من شبه جزيرة العرب[١١]. وقد لعبت هذه المنطقة دوراً كبيراً في التاريخ، فعلى حسب استقرار الأحداث التاريخية نلاحظ أن أي قوة دولية تسيطر عليها، تستطيع إن تسيطر على باقي الخليج - ولو مؤقتاً - كما أن الدفاع عن الخليج العربي تحمل أغلبه عرب هذه المنطقة، مؤيدين بعرب المداخل - ابن سعود - في أغلب فترات الدفاع.

وفي خلال الخمسين سنة الأولى من القرن الحادي عشر الهجري (القرن الثامن عشر الميلادي)، كانت أهم أحداث الخليج العربي هي:

---

(٨) محمود الداود: الخليج العربي والعمل المشترك، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٧.

(٩) جمال قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا (١٧٤١-١٨٦١) مكتبة القاهرة الحديثة، ص ٦.

(١٠) محمد متولي، مرجع سابق ٢/ ٤٦٤. / أنظر أيضاً: عبدالفتاح أبو علية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، دار المريخ للنشر ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٨٨.

(١١) محمد متولي، مرجع سابق، ص ٣٣.

١ – الصراع الغافري، الهناوي، وزوال حكم اليعاربة، وتولي البوسعيديين.

٢ – بروز قوة فارس البحرية.

٣ – تبلور الصراع الدولي بين الأوروبيين على منطقة الخليج.

لقد شكل الصراع الغافري – الهناوي الذي حدث خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) القضية التاريخية الكبرى التي شغلت بأحداثها التاريخ العماني، سواء بالإشارة إلى مسبباتها وأحداثها، أو نتائجها التي امتدت زمنًا ومكانًا، فمن حيث الزمن لا يمكن تغافل أن تاريخ عمان السياسي في وقته المعاصر كانت نتيجة لأحداث الصراع الغافري – الهناوي – الذي لم تقتصر تأثيراته على الأراضي العمانية، بل امتدت في نتائجها لتوجد فجوة في ميزان القوى في منطقة الخليج، استغل على إثرها بعضهم الفرصة لتحقيق طموحاتهم، كما حدث بالنسبة لنادر شاه الذي حاول إن يجعل من فارس المهيمن الأول على الخليج أو بالنسبة لبعض القبائل العربية على الشاطئ الشرقي أو الغربي للخليج، والتي حاولت أن تعزز نفوذها بزوال دولة اليعاربة[١٢].

والخلاف الغافري – الهناوي – خلاف قبلي مذهبي، نشأ بين القبائل اليمنية (القحطانية) والتي ينتمي إليها الهناويون، والقبائل النزارية (العدنانية) والتي ينتمي إليها الغافريون، وأن هذا الصراع كان بلورة للخلاف القديم بينهما، إذ يعتقد اليمنيون أنهم أولى بأرض عمان وهم أنهم مالكوها بحكم السبق في الهجرة إليها من التراريين[١٣]. وقد نشأ الخلاف أيضًا من كون أغلب الهناوية ينتمون إلى فرقة الأباضية، بينما أغلب الغافرية ينتمون إلى أهل السنة، ويؤيد

(١٢) زكي السمان ومحمد خير حصرية: عمان، إعداد مكتب سلسلة البحوث العربية للصحافة والنشر والإعلان، دمشق، الطبعة الثانية د.ت ص ١٣. / شاكر حضباك: دولة الرمارات العربية المتحدة، دراسة في الجغرافية الاجتماعية، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٧، ص ١١٠/ محمد متولي مرجع سابق، ١/ ٣٦-٤٠.

(١٣) جون كيلي، بريطانيا والخليج (١٧٩٥-١٨٧٠)، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. د.ت./ ١/ ٠٢١/ أحمد حمود المعمري، عمان وشرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، د.ت، ص٤٢.

أصحاب هذا الرأي قولهم بانضمام الغافرية إلى الدعوة السلفية حينما وصلت إلى عمان في حين عارضها الفريق الهناوي[١٤].

ومنذ أوائل القن الثامن عشر الميلادي تنقسم عمان إلى كتلتين كبيرتين سياسيتين هما «الكتلة الهناوية» و«الكتلة الغافرية»، ولم يعد الأمر مجرد تعصب تقليدي بين القبائل والطوائف، وإنما تشابكت المصالح السياسية والاقتصادية وكان لها أثر كبير في تحطيم الكثير من النزاعات القبلية والمذهبية، وإنما اتخذت هذه التكتلات أيضاً الطابع السياسي المذهبي، إذ أن صلب المشكلة التي دار الخلاف حولها هي مسألة الإمامة[١٥].

كان لهذا الصراع نتائج هامة بعيدة المدى، لكن كان من أهمها:

١ - إن هذا الصراع القبلي كان سبباً في ضعف القوى المحلية الأمر الذي أدى إلى أن ترسل فارس عدة حملات ساعدت على دخولهم البلاد، ونجحت فارس بذلك في إخضاع عمان لسيطرتها بعض الوقت.

٢ - إن طول فترة الانقسام التي عاشتها عمان وانتشار المعارك في طول البلاد وعرضها قد أدى إلى ضعف دولة اليعاربة اقتصادياً وسياسياً وبالتالي سقوطها، وانتقال الأمر إلى أسر البوسعيد[١٦].

٣ - أتاح هذا الانقسام لبعض القبائل في أن تفرض نفوذها، ومن ثم تعلن

---

(١٤) جون كيلي، نفس المرجع، ص ٩-٢١.

(١٥) الفرقة الأباضية، هي أحد فرق الخوارج الخمس، إلا أن الأباضية ينفون عن أنفسهم وصفهم بالخوارج. أنظر: أحمد محمد حلبي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين «الخوارج والشيعة»، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، ص ٦٢-٧٨. أنظر أيضاً: جون كيلي، مرجع سابق ٢ / ٢١. / وأنظر أيضاً: جمال قاسم، دراسات لتاريخ الإمارات في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧-١٨٤٠، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٣٣٠.

(١٦) جمال قاسم، الخليج العربي، دارسة لتاريخ الإمارات، مرجع سابق، ص ١٣٣٠/ نور الدين عبدالله السالمي، تحفة الأعيان بسير أهل عمان، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م ٠/٢/١٢٥. أيضاً: محمد مرسي عبدالله، دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠١/ ١٩٨١م، ص ١٢١٠.

الاستقلال، كما بالنسبة للقواسم، إذ بعد انتهاء أسرة اليعاربة، أعلنوا الانفصال عن حكم آل بوسعيديين.

تضافرت عدة عوامل على ظهور القواسم - كقوة عربية - أصبح لها وزنها السياسي والاقتصادي في منطقة الخليج العربي، ومن ثم فقد قامت بدور عظيم في تاريخ المنطقة السياسي والاقتصادي. وكان للتنظيم القاسمي، الذي برز في خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، الأثر الكبير في انهيار القوى البرتغالية أولاً، ثم مختلف القوى الأوروبية ثانياً.

كانت البرتغال، من أوائل الدول الأوروبية التي وصلت إلى منطقة الخليج العربي وقد تمكنت من فرض سيطرتها على مضيق هرمز في عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م، وتمكنت من فرض سيطرتها وقدراتها الاستعمارية على الخليج حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري «القرن السابع عشر الميلادي»(١٧)،

ومن المفيد أن نذكر أن اعتماد الربتغالين في نشاطهم الاستعماري هذا كان قائماً على أجهزة الدولة المباشرة مثل القادة العسكريين والامبراطور البرتغالي نفسه. إلا أن نجم البرتغال سرعان ما بدأ بالأفول نتيجة للأسباب الآتية(١٨):

١ - نمو قوة عمان البحرية.

٢ - بروز قوة الصفويين في إيران.

٣ - ظهور الهولنديين والانجليز كقوة أوروبية منافسة للبرتغال.

---

(١٧) محمد مرسي، مرجع سابق، ص ١٢١. / أيضاً: محمد علي الزرقا: عمان قديماً وحديثاً، دمشق ١٩٥٩م، ص ١٣٨.

(١٨) محمود علي الدوار، محاضرة أجواء جديدة على تاريخ الخليج العربي الحديث، مستل من تجارب البحوث الوحدية المعاصرة، تجربة وحدة الإمارات العربية المتحدة، نشر مركز دراسات الوحدة العربية. أنظر أيضاً: عبدالعزيز عبدالغني / علاقة ساحل عمان ببريطانيا، ص ١٨ / أنظر أيضاً: نوال حمزة حسين صيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج لعربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، الرياض ١٤٠٣هـ. وانظر سمير أبو ياسين، العلاقات العمانية البريطانية (١٧٩٨-١٨٥٦) منشورات مركز دراسات الخليج العربي، بجامعة البصرة (٤٨)، مطبعة جامعة البصرة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٨.

٤ – الوضع الدولي في أوروبا إذ خضعت البرتغال في ٩٨٩هـ – ١٥٨٨م للعرش الأسباني، وكان أن سخرت إسبانيا موارد البرتغال لصالحها، وهذا الأمر أضر في وضع مستعمرات البرتغال فيما وراء البحار[١٩].

٥ – اعتماد التجارة البرتغالية على الحكومة ذاتها دون الاعتماد على الشركات الأهلية كما فعلت بريطانيا، هولندا، فرنسا بحيث تساهم تلك الشركات في الحفاظ على المصالح في حالة ضعف مركز الدولة في أوروبا[٢٠].

٦ – ضعف الأساس العسكري الذي اعتمدت عليه البرتغال لحماية التجارة بسبب فقدان النظام والافتقار إلى الحصافة المهنية، وكذا إعتمادهم على الجنود المرتزقة[٢١].

٧ – تصاعد الهجمات العسكرية التركية على المواقع البرتغالية واحتلال الأتراك للبحرين واستعادتهم للبصرة[٢٢].

ونتيجة لهذه الأسباب فقد دب الوهن في النفوذ البرتغالي في الخليج وبدأوا يفقدون مراكزهم على ساحل الخليج سواء الشرقي أو الغربي. وكان آخر معقل لهم تحصنوا فيه هو (مسقط) الذي فقدوه على يد سيف بن سلطان الأول ١٠٦٠هـ – ١٦٥٠م.

وعلى الرغم من أن البرتغاليين حاولوا استرجاع نفوذهم في الخليج، وذلك عن طريق مد يد المساعدة لفارس ضد عرب عمان في ١١٣٢هـ – ١٧١٩م حيث هزم

---

(١٩) عبد الأمير محمد أمين، بحث مقاومة إمارات شرق الجزيرة العربية وقبائل الخليج العربي للتغلغل الاستعماري الأوروبي ١٥٠٠–١٨٢٠م، مستل من بحوث التجارب الوحدوية المعاصرة تجربة وحدة الإمارات العربية المتحدة – مرجع سابق، ص ٥٤ / أنظر أيضاً: مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي (١٦٢٢–١٧٦٣م)، المكتبة العصرية، صيدا بيروت د.ت، ص ١٢٩.

(٢٠) عبد الأمير محمد أمين، نفس المرجع، ص ٥٤–٥٥.

(٢١) نوره القعود، الصراع العثماني حول الكويت ١١٦٤هـ – ١٤٢٢هـ(١٧٥٠–١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب الرياض، ص ١٦.

(٢٢) لوريمر، دليل الخليج، ١/ ٦٧ – ٦٨: Gazetter of the presian Gulf, Oman and central Arabia.

الأسطول العماني وأجبروه على الانسحاب إلى رأس الخيمة، إلا أن البرتغاليين لم يحاولوا الاستفادة من أمرين:

أولاً : انسحاب العمانيين.

ثانياً : ظهور المنازعات المحلية القبلية في عمان حول منصب الإمامة(٢٣).

وهكذا كانت بداية القرن الثامن عشر الميلادي نهاية الآمال البرتغالية في منطقة الخليج، إلا أنها لم تكن نهاية المطامع الأوروبية فيه، بل إن التنافس الأوروبي على تجارة الشرق كان من ضمن الأسباب التي أطاحت بالنفوذ البرتغالي.

لقد تمخض الوضع بعد انتهاء أمر البرتغاليين في الخليج في وجود قوتين أجنبيتين إلى جانب القوى الوطنية هما: قوة هولندا، وانجلترا(٢٤). وقد تميزت العلاقة الهولندية - البريطانية في بدايتها بنوع من الصداقة القائمة على المصالح لكلا الطرفين. فقد تعاونتا معًا ضد البرتغاليين، وبعد أن انتهى النفوذ البرتغالي في الخليج، انقلبت هذه الصداقة إلى حالة عداء وصراع من أجل بسط النفوذ في المنطقة(٢٥). وقد سجلت هولندا انتصاراً كبيراً في القرن السابع عشر على التجارة الإنجليزية، وذلك لعدة أسباب:

(أ) اعتماد الهولنديين على أسطول بحري قوي.

(ب) الحصول على اعتمادات مالية ضخمة من الحكومة الهولندية لصالح الشركة التجارية.

---

(٢٣) محمود علي الداود، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، ص ٣١ - ٣٢.

(٢٤) عبدالعزيز عبدالغني، علاقة ساحل عمان ببريطانيا «دراسة وثائقية» مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، أنظر أيضاً: حميد بن رزيق، الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر، محمد محمد مرسي عبدالله، ص ٢٨٤-٢٩١. / العماري، تاريخ عمان، مخطوط غير منشور - الرياض - ص ٦٨.

(٢٥) مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي (١٦٢٢ - ١٧٦٣م). المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت، ص ٢٧١. / عبدالعزيز عبدالغني، مرجع سابق، ص٦٠.

(ت) الامتيازات التي حصل عليها الهولنديين من الشاه صفي خليفة الشاه عباس[٢٦] .

(ث) سياستهم في بيع السلع التجارية بأسعار مخفضة[٢٧] .

(جـ) إن الشركة الهولندية تمتعت باحتكار تام بعكس الشركة البريطانية التي تعرضت للمنافسة من قبل أفراد أو شركات أخرى[٢٨] .

(حـ) تقديم هولندا المساعدات لفارس بينما رفض الانجليز ذلك خوفًا على مصالحهم[٢٩] .

إلا أن الفترة من ١١٠٧ – ١١١٧هـ ١٦٩٥ – ١٧٠٥م والتي شهدت منافسة حادة بين الطرفين الهولندي والانجليزي، أسفرت عن مزيد من الخسائر لهولندا لصالح بريطانيا . وعلى هذا الأساس فإن ميزان القوى ومنذ نهاية القرن السابع عشر، وبداية القرن الثامن عشر، سجل هبوطًا في النفوذ الهولندي لصالح بريطانيا، على الرغم من إن هولندا حاولت أن تساعد إيران بحريًا لقمع حركات التمرد سواء ضد البلوش أو العرب على الساحل الشرقي أو الغربي للخليج، إلا أن ميزان القوى مال لصالح بريطانيا[٣٠] .

وخلال تلك الفترة، ظهر النشاط الفرنسي أيضًا في منطقة الخليج إلا أنه كان متأخراً عن النشاط البريطاني والهولندي[٣١] . ورغم ذلك فإن فرنسا استطاعت أن

---

(٢٦) من الأسباب التي أدت إلى التحالف الهولندي – الانجليزي ضد البرتغال هو : الاتحاد المذهبي إذ ينتمي كل من الهولنديين والبريطانيين إلى مذهب البروتستانت بخلاف البرتغال الكاثوليك، أنظر : سمير أبو ياسين، العلاقات العمانية – البريطانية (١٧٩٨ – ١٨٥٦)، منشورات مركز دارسات الخليج العربي بجامعة البصرة (٤٨) مطبعة جامعة البصرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١ / ١٩٨١م، ص ١٨ .

(٢٧) جمال قاسم، الخليج العربي دارسة لتاريخ الإمارات، ص ١٦٤ .

(٢٨) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ومكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧٤م، ص ٣١ .

(٢٩) صلاح العقاد، ص ٣٣٠ .

(٣٠) لوريمر، مرجع سابق ١ / ١١١ / العقاد ص ٣١ / محمد علي الزرقا، عمان قديمًا وحديثًا، دمشق ١٩٥٩، ص ٢٦ .

(٣١) لوريمر، مرجع سابق، ١ / ١١١ / أنظر أيضًا : مصطفى عقيل الخطيب، مرجع سابق، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

تحقق لنفسها كسبًا استعماريًا في المحيط الهندي وذلك باستيلائها ١١٢٨هـ - ١٧١٥م على جزيرة مورشيوس والتي عرفت باسم Isle de Fran، ثم على جزيرة بوربون عام ١٧٣٥[٣٢].

وهكذا كان الوضع الدولي في منطقة الخليج يشهد في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) صراع بين الدول الأوروبية، بل بينها وبين القوى المحلية والتي كان من أبرزها القواسم.

كان ظهور القواسم على مسرح الأحداث السياسية والاقتصادية وكقوة مؤثرة وفعالة تتزايد نفوذها وسيطرتها على منطقة الخليج، نتيجة لعوامل عديدة يمكن أن نجملها فيما يلي:

أولاً - انهيار القوة البرتغالية :

مارس البرتغاليون إبان فترة وجودهم في منطقة الخليج نوع من الأسلوب العسكري القائم على البطش والظلم وهو أمر عانت منه القبائل العربية المستقرة في منطقة الخليج، لهذا فقد كان تحرير المنطقة من البرتغاليين هدفًا شغل البعاربة حكام المنطقة العمانية ومن ساعدهم من القبائل العربية[٣٣]. ولم يأت عام ١٠٦١هـ - ١٦١٥م إلا وقد سقط آخر معقل للبرتغاليين في منطقة الخليج وذلك لسقوط مسقط في يد سلطان بن سيف، ونتيجة لذلك فإنه لم يبق للبرتغاليين موطأ قدم في المنطقة فانهار وجودهم، وترك ذلك فرصة للقوى الأخرى، عربية وأجنبية للبروز في الفراغ الذي خلّفه الانهيار البرتغالي.

ثانيًا - سقوط دولة اليعاربة :

كانت عمان في بادية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) تشهد صراعًا قبليًا (الغافرية - الهناوية) وكانت من نتيجته: سقوط دولة

(٣٢) مصطفى عقيل، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٣٣) جمال قاسم، الخليج العربي، مرجع سابق، ص ١٧٥.

اليعاربة، وازدياد قوة القواسم الذين تجمعوا في الشمال(٣٤) وحيث أن بعض المؤرخين يعتبر سقوط دولة اليعاربة سبباً في قيام حلف القواسم، إلا أننا نلاحظ أن سقوط هذه الدولة كان دافعاً لزيادة مدى الحلف وليس لوجوده، فالحلف موجود منذ الدولة اليعربية، وقد ساند الحلف الفريق الغافري في الصراع الأهلي الذي كان قائماً في نهاية الدولة اليعربية. وقد ذكر المؤرخون لهذا الصراع، إن القواسم كانوا موجودين كحلف وقوة مؤثرة يعتمد عليها حتى قبل سقوط اليعاربة وقبل ظهور نادر شاه، وأن عدد أفراد التحالف القاسمي كان يتزايد باستمرار(٣٥).

ثالثاً - الفوضى في بلاد فارس :

انتهز القواسم فرصة الغزو الأفغاني لفارس سنة ١١٣٥هـ - ١٧٢٢م فتمكنوا من السيطرة على باسيدو(٣٦) في جزيرة قشم، ومن هناك استطاعوا زعزعة التجارة البريطانية في بندر عباس، فوجهت بريطانيا لهم حملة سنة ١١٤٠هـ - ١٧٢٧م(٣٧) كما برزوا في مجال القوى في الفترة التي أعقبت اغتيال نادر شاه(٣٨) سنة ١١١٣هـ - ١٧٤٧م عندما عمت الفوضى فارس، ووقع بعض قطع الأسطول الفارسي في أيدي القواسم(٣٩)، ليؤكدوا سيطرتهم على جزء من الساحل الشرقي عبر التحالفات التي عقدوها مع الحكام المحليين هناك(٤٠).

---

(٣٤) غانم محمد وميص، معركة تحرير مسقط، بحث مستل من أبحاث الندوة التاريخية المقامة في رأس الخيمة من الخليج، ج١ (الاستعمار البرتغالي في الخليج)، ٢٠٧ - ٢٠٨. / أنظر أيضاً: الإزكوي، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٣٥) جمال قاسم، الخليج العربي دارسة تاريخ الإمارات العربية، مرجع سابق ص ٢٤١.

(٣٦) الإزكوي، ص ١٢٤٠. أنظر أيضاً: السالمي، تحفة الأعيان، ٢/ ١٢٤.

(٣٧) باسيدو: ميناء يقع في الطرف الغربي من جزيرة قشم على مسافة حوالي ٢٥ ميل إلى الشرق من ناحية الشمال لمدينة لنجة. أنظر: لوريمر، مرجع سابق، القسم الجغرافي. / ٣٣٧.

(٣٨) أحمد قاسم البوريني، الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، د.ت، ص ١.

(٣٩) جمال قاسم: الخليج العربي، نفس المرجع، ص ٢٤٦.

(٤٠) جمال قاسم، المرجع نفسه، ص ٢٤١.

رابعاً – ضعف الوجود العثماني في الخليج :

واجه العثمانيون منافسة قوية من الفرس وحلفائهم من الدول الأوروبية التي كانت تتنافس مع بعضها من أجل السيطرة على طريق الهند . ولم يكن العثمانيون يبدون اهتماماً كبيراً ببناء الأساطيل وتحسين الموانئ في الخليج العربي، ولم يكن الاهتمام بجنوب مضيق هرمز واضحاً، بل كان محدوداً، الأمر الذي ساعد على إضعاف نفوذهم في الخليج العربي عموماً، وإن استطاعوا الاحتفاظ بمراكز نفوذهم في بعض أجزاء المنطقة (العراق – الكويت – الأحساء – القطيف وقطر) حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي .

ونتيجة لحدة المنافسات الأوروبية وضعف الأسطول العماني في الخليج، فقد ترك العثمانيون مياه الخليج لأساطيل الدول الأوروبية للسيطرة على طريق الهند[٤١] . كما يجب أن نضع في الاعتبار أن الدولة العثمانية أولت غربي الجزيرة العربية اهتماماً عظيماً، نظراً لوجود المدن المقدسة (مكة المكرمة – المدينة المنورة) التي كان العثمانيون يعتبرون وجودها في الامبرطورية رمزاً دينياً بالغ الأهمية، له علاقة مباشرة بالخلافة والشعائر الإسلامية وولاء عامة المسلمين للخلافة الإسلامية في استامبول[٤٢] .

خامساً – الاتجاه التجاري ثم السياسي للقوى الأوروبية :

وجهت الدول الأوروبية التي حلت محل البرتغال في منطقة الخليج (بريطانيا – هولندا – فرنسا) اهتمامها بالأمور التجارية عن فرض السيطرة العسكرية – وكان ذلك في بداية أمرها – مما جعل المجال مفتوحاً أمام القوى العربية للنمو، وتوسيع دائرة نفوذها[٤٣] . ثم بعد ذلك حولت هذه القوى الأوروبية نشاطها

---

(٤١) عبدالقوي فهمي، القواسم نشاطهم البحري وعلاقاتهم بالقوى المحلية والخارجية (١٧٤٧ – ١٨٥٣م) مطبعة رأس الخيمة الوطنية، ص ٨٦ .

(٤٢) محمود علي الداود، عوامل الوحدة والتجزئة وعلاقاتهم بالقوى المحلية والخارجية (١٧٤٧ – ١٨٥٣)، مطبعة رأس الخيمة الوطنية، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٤٣) المرجع السابق، ص ٣٥ .

التجاري إلى محاولة سياسية عسكرية، لفرض السيطرة. وهذا التحول كان سبباً في الاصطدام بالقوى العربية التي استفادت من هذا الاصطدام عن طريق كسب السفن والمعدات وذلك زادت قواتها.

سادساً - الدعوة السلفية :

كان وصول الدعوة السلفية إلى الساحل العماني، ووقوف القواسم وحلفائهم معها المؤيد، سبباً في تزايد قوى الحلف القاسمي، ولعل ذلك سبب رئيسي. فمن الملاحظ تزايد قوة القواسم وسطوتهم تجاه السفن في الخليج، واتخاذ صراعهم مع القوى الأخرى الشكل «الجهادي». ثم إن بريطانيا كانت تحسب ألف حساب قبل أن تضرب ضربتها على الموانئ القاسمية، مخافة أن يجرها ذلك إلى حرب في داخل الجزيرة العربية. كل ذلك يثبت أن تأييدهم لمبادئ الدعوة السلفية كان عاملاً رئيسياً في بروزهم على ساحة الأحداث في الخليج بشكل أكثر فاعلية ومن خلال منظور جديد هو «الجهاد».

سابعاً - الفتن الداخلية في عمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد :

عانت عمان فتنا داخلية شغلت أحمد بن سعيد مؤسس الدولة وكانت هذه الفتن والانشغال بها، فرصة لبروز القواسم وتأكيد استقلالهم في الجزء الشمالي من عمان، ومن هذه المشاكل:

(أ) خروج سيف وسلطان أبناء الإمام أحمد عدة مرات على أبيهما[٤٤].

(ب) انتفاضة وتحرير اليعاربة ضد الإمام أحمد بن سعيد[٤٥].

(جـ) تمرد محمد بن ناصر بن محمد الفاخري ضد الإمام أحمد بن سعيد[٤٦].

(٤٤) الحازمي، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٤٥) حمد بن رزيق، مصر د سابق، ص ص ٣٧٢ - ٣٧٩.

(٤٦) حمد بن رزيق، العدد نفسه، ص ص ٣٦٧ - ٣٧٠.

ساعدت كل تلك العوامل على ظهور قوة القواسم كقوة سياسية واقتصادية مؤثرة، تلعب دوراً هاماً وبارزاً في مجرى الأحداث المختلفة في منطقة الخليج العربي، وتناضل بشتى الوسائل والسبل التدخل الأجنبي، المتمثل في محاولة القوى الأوروبية فرض نفوذها في المنطقة، وعلى الأخص منه، النفوذ والتدخل البريطاني.

أما القواسم من ناحية الأصل القبلي والمكاني، فيمكن القول، إن مصطلح القواسم يتسع مدلوله، ليشمل بمعناه العام كل رعايا وأتباع الشيخ القاسمي في منطقة الشارقة ورأس الخيمة، بغض النظر عن الأصل القبلي للقبائل التي ينتمون إليها(٤٧). وفي معناه الخاص، يعني أسرة القواسم التي تحكم التحالف القاسمي. أما تسمية القواسم أو الجواسم، فقد ظهرت إلى حيز الوجود، وأصبحت معروفة في منطقة الخليج منذ القرن الثامن عشر الميلادي(٤٨).

لقد تعددت الآراء والروايات التي تبناها المؤرخون لتحديد أصل أو نسب القواسم، ويمكن أن نجمل هذه الآراء فيما يلي:

١ - رأي يذكر أنهم عرب أقحاح.

٢ - الرأي الثاني يميل إلى أنهم فرس.

٣ - أما الرأي الثالث فيقول أنهم من الأشراف من سلالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

٤ - هناك آراء أخرى كثيرة، وروايات تتضارب في هذا الشأن، فمنهم من يقول إنهم من ظفير، ومنهم من يقول أنهم من النزارية، أو بني غافر أو بني ناصر... إلا أن الأغلبية تركز على عروبتهم، أما من عرب الهولة أو من قبيلة المعاول أو أنهم ينتمون إلى قبيلة سبيع.

---

(٤٧) المصدر السابق ص ٣٨٣ - ٣٨٥.

(٤٨) زهدي سمور، تاريخ ساحل الصلح البحري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، جـ١، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ - ص ٦٣.

ويتبنى رأي النسب القرشي بصورة مؤكدة أحمد السامرائي، إذ يقول: «يعتبر القواسم من القبائل العربية العريقة بالدم، مسكنهم الأصلي الجزيرة العربية وهم من قريش، ومن سلالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم[٤٩]: ومن المؤرخين من يرى أن القواسم عرب عدنانيون يرجعون بالأخص إلى قبيلة الظفير[٥٠]. إلا أن الثابت أن معظم المؤرخين استبعدوا الأصل الفارسي، واتفقوا تماماً على أنهم عرب عدنانيون[٥١].

أما عن الأصل المكاني للقواسم، فهناك اختلاف سببه يرجع إلى صعوبة تحديد الأصل القبلي للقواسم، ذلك أن الذين أرجعوا القواسم إلى أصول عربية حددوا أصل القواسم المكاني جزيرة العرب أو العراق، بينما الذين قالوا بأصل القواسم الفارسي، حددوا أصلهم المكاني بلاد فارس أو الساحل الشرقي للخليج العربي، وبين هذين الرأيين من قال بأن القواسم عرب يرجعون في أصلهم المكاني إلى الساحل الشرقي للخليج العربي.

أما الإطار الجغرافي للحلف القاسمي، فكان في فتراته الأولى لم يتجاوز جلفار أو رأس الخيمة التي قامت على أنقاضها، إلا أن هذا الحلف سرعان ما توسع في نطاقه الجغرافي، لتمتد سيطرة القواسم على طول الساحل من رأس مسندم حتى البحرين. وفي الداخل من حد الباطنة إلى قطر، وقد حدث ذلك في الفترة التي أخضع فيه القواسم بني ياس الذين كانوا يستقرون في المنطقة من خور العديد

---

(٤٩) محمد العيدروس، التطورات السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣، ص ٢٩ – ٣٠.

(٥٠) أحمد السامرائي، القواسم والخليج العربي وعربستان، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ٢٣ – ١٢٤.

(٥١) حمد الحقيل: كنز الأنساب ومجمع الأداب، الطبعة الحادية عشر، مطابع الفرزدق – الرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٥٥. / ابن غنام، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام – حققه ناصر الدين الأسد، مطابع شركات الصفحات الذهبية، الطبعة الثالثة ١٠٤٣ – ص ص ١٨٨ – ١٨٩.

حتى دبي. وفي فترة زمنية أخرى من تاريخ القواسم توسعوا في خليج عمان(٥٢). ليكون من نصيبهم شيناص وخور فكان وغيرها(٥٣).

ولم يقتصر النطاق الجغرافي لحلف القواسم على الساحل الغربي للخليج، بل امتد نفوذهم على الساحل الشرقي فمتلكوا لنجة، وجزيرة قشم وجزيرة لارك.. وكنجون، وكان لهم أيضاً بندر مسلم وبندر بستان.. وبندر مفو.. وبندر دوان، بندر بلوه، وبندر شناص، بندر جشه، بندر كنك. كما امتدت سيطرتهم على هرمز في سنة ١١٣١هـ - ١٧١٨م، ثم في سنة ١١٤٢هـ - ١٧٢٩م. وكانت سيطرتهم على تلك الأجزاء من الساحل الفارسي منذ زمن مبكر. ويتميز الساحل الذي سيطر عليه القواسم بأنه ساحل منخفض ورملي، ويمتد على التقريب ١٥٠ ميلاً جنوب غرب رأس مسندم نحو جزيرة قطر، والشاطئ مليء بالأخوار الضحلة والشعاب المرجانية(٥٤).

لقد ساعدت كل تلك العوامل، قبائل القواسم وتحالفهم - أن تمكنوا من فرض سيطرتهم على تلك المنطقة، وساهموا في ازدهارها من كافة الجوانب بشرياً

٥٢ - حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١/٩٧./ حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة - الرياض، مطبعة مصر، القاهرة د.ت، ص ٧٢./ حمد بن لعبون: تاريخ حمد بن لعبون، الناشر مكتبة المعرفة، الطائف، مطبعة المدني، القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٨./ كيلي، بريطانيا والخليج، مرجع سابق، ١/٣٥. انظر أيضاً: الغاخري: الأخبار النجدية، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، د.ت، هامش ص ١٣٣. وانظر أيضاً: جمال قاسم: الخليج العربي، دارسة لتاريخ الإمارات العربية، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٥٣) محمد البسام التميمي النجدي، كتاب الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر. (قبائل العرب)، تحقيق ونشر سعود بن غانم الحدران العجمي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م./ العيدروس، مرجع سابق، ص ١٧. مايلز، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(٥٤) شيناص، مدينة هامة على ساحل الباطنة في سلطنة عمان تقع على بعد ٣٠ ميلاً غرب مدينة صحار، أنظر: لوريمر، مرجع سابق، القسم الجغرافي/٧/٢٣٦٣/ أما خورفكان، فتقع في وسط ساحل الشميلية على بعد حوالي ٢٣ ميلا شمال خور كلبا، و٢٠ ميلا جنوب الجنوب الشرقي من دبا، تحيط بها الجبال ومدخلها صنيعة بين جبلين. أنظر: لوريمر، القسم الجغرافي ٤/٢١٧٠، عبدالله المطوع، مرجع سابق، ص ٦٠.

وعمرانياً، بل لقد تأثرت المراكز العمرانية - سواء التي أوجدها القواسم مثل رأس الخيمة أو التي كانت موجودة سابقًا - بطبيعة الأنشطة البحرية والعسكرية للقواسم، فظهر ذلك واضحًا على الأنماط العمرانية لتلك المراكز. ولم يكن الطابع العسكري هو الطابع المميز للقواسم في الفترة التي سبقت اصطدامهم بالقوى الأجنبية، بل إن القواسم كانوا يمارسون أنشطة سلمية عديدة لفتت أنظار العديد من الرحالة الأوربيين، الذين زاروا المنطقة، وقدموا صورة حية لنشاط القواسم في كافة المجالات(٥٥). ولقد برع القواسم في النشاط الاقتصادي بصورة ممتازة، فمارسوا الصيد واستخراج اللؤلؤ، كما برعوا في التجارة بصورة كبيرة، وتدل الوثائق الهولندية المكتشفة حديثًا وتؤيدها الوثائق البريطانية على أهمية الدور التجاري الذي مارسه القواسم في منطقة الخليج والمحيط الهندي. وفي إطار هذه الحركة التجارية التي مارسها القواسم، استطاعوا أن يجعلوا من رأس الخيمة مركزاً تجارياً مرموقًا. وبرزت كذلك الشارقة ضمن أهم ثلاثة مراكز بارزة على الساحل الغربي للخليج وكان يجلب لها الأرز والتمر من البصرة ليباع على غواصي اللؤلؤ وعرب الصحراء. كذلك استطاعوا أن يؤسسوا في جزيرة قشم قوة تجارية فعالة، استطاعت أن تنترع لبعض الوقت الأهمية التجارية من بندر عباس، وبذلك تمكنوا من توجيه ضربة جزئية للتجارة البريطانية(٥٦).

ونجحت تلك العوامل الاقتصادية والتجارية والمحاولات البحرية الجزئية للهيمنة والنفوذ، وصد محاولات القوى الأجنبية للتغلغل إلى الداخل، ساعد كل ذلك النجاح أن يتحكم القواسم في تجارة الخليج، ونجحوا في إقامة قواعد في باسيدو

(٥٥) محمود مرسي عبدالله: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، ص ١٢٤. / أنظر أيضًا: لوريمر، مرجع سابق، القسم الجغرافي ٤ / ٢٣٦٥. / أنظر كذلك: السامرائي، مرجع سابق، ص ١٢٦. / وأيضاً: عبدالأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي / ص ٣٣.

(٥٦) من أمثال كارستن نيبور Carsten Nieububur الذي زار المنطقة سنة ١٧٦٥ وبيكنجهام Backingham الذي زارها ف يأوائل القرن ١٣هـ ١٩م. مرجع سابق / ص ٢٥١-٢٥٢. / = جون كيلي، بريطانيا والخليج، مرجع سابق ٢ / ٤٢.

في جزيرة قشم وغيرها، الأمر الذي أزعج بريطانيا، فحاولت بشتى السبل سلب هذه المكانة التجارية والبحرية من القواسم، فكان ذلك سبباً من أسباب الصراع بين الطرفين[٥٧]. بل إن اهتمام القواسم بهذه الممارسة الاقتصادية والبحرية، كان محور المفاوضات التي جرت بين القواسم وبريطانيا، التي قادت إلى معاهدة سنة ١٢٢١هـ - ١٨٠٦م وهذا الصراع وتلك المفاوضات التي كانت تدور باستمرار بين الطرفين حتى مطلع القرن العشرين، قمنا بعلاجه في بحث آخر مفصل في هذا الشأن[٥٨].

وخلاصة القول أن ممارسة القواسم للتجارة والنشاط البحري بكثافة هائلة، كان من أهم الأسباب التي أدت إلى صراعهم مع القوى الأخرى التي حاولت هي الأخرى نزع تلك التجارة، فكان أن اتحد القواسم مع ابن سعود، وقاموا بتأييد مبادئ الدعوة السلفية، دافعاً للجهاد ضد من حاول سلبهم معيشتهم، فكانت النتيجة أنهم دوخوا الإنجليز طيلة القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين. ذلك أن إنجلترا قد ارتبط اهتمامها كما سبق القول بالخليج العربي، والبحر الأحمر باستعمارها للهند، واستطاعت إن تحتل مكان الصدارة في البحار الشرقية بعد الهولنديين، فأسسوا شركة الهند الشرقية (East India Comp.) في أواخر عام ١٦٠٠م، وقامت على أكتاف هذه الشركة دعائم الإمبراطورية في الهند. ومنذ ذلك الحين أخذت شركة الهند الشرقية تتطلع بنظرتها إلى الخليج العربي لتخضعه لنفوذها، نظراً لأهميته الاقتصادية كمحطة على طريق مواصلاتها إلى الشرق، وتأميناً لوجودها الاستعماري في الهند. على أن ذلك لم يكن سهل المنال، إذ كانت القبائل العربية البحرية في الخليج العربي تشكل حجر عثرة في هذا السبيل،

---

(٥٧) محمد مراد، صراع القوى في المحيط الهندي، الخليج العربي، جذوره التاريخية وأبعاده، دار دمشق للنشر، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ٢٧٤. / أنظر أيضاً: أحمد جلال التدمري، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٥٨) أنظر للمؤلف موضوع: الصراع بين القواسم وبريطانيا (١٧٧٨) بموضوع: الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول.

وعلى رأس هذه القبائل: القواسم، الذين أصبحوا يشكلون قوة بحرية كبيرة ويعملون في نقل التجارة. وعندما ظهرت شركة الهند الشرقية الانجليزية على المسرح هددت هذا النشاط، ولم يستطع القواسم منافسة الشركة تجاريًا، لذلك تصدوا لسفن هذه الشركة، ونشب صراع طويل بين الطرفين من الربع الأخير للقرن الثامن عشر إلى مطلع القرن العشرين ١٧٧٨ - ١٨١٩م. ١١٩٢ - ١٢٣٤هـ ومن الثابت أن اهتمام بريطانيا بمنطقة الخليج ازداد بشكل بالغ من القرن الثامن عشر، وذلك لدوافع اقتصادية وسياسية وعسكرية واستراتيجية، وهي عوامل متفاعلة ومتلازمة فيما بينها، وتدرجت تلك المراحل التي مرت بها أهمية الخليج، جنبًا إلى جنب مع ازدياد النفوذ وترسيخ أقدامه. وتم ذلك عبر سلسلة من الإجراءات التي عمدت بريطانيا إلى تنفيذها لفرض سيطرتها عبر الخليج العربي. وتطلب ذلك منها أن تخوض صراعًا مع الدول التي كانت تمارس نشاطها في تلك المنطقة، وفي نفس الوقت كانت تعمل من جهة أخرى لدعم سيطرتها على أهالي المنطقة وحملهم على الانصياع لإرداتها. ولأجل تحقيق ذلك حاولت بريطانيا ربط شيوخ المنطقة بعدة معاهدات تضمن من خلالها الحفاظ على أمن المنطقة والامتناع عما يضر بمصالحها التجارية، وإخضاع علاقاتهم الخارجية لسياستها. ولجأت بريطانيا أيضًا إلى استخدام القوة ضد مقاومة القبائل العربية التي رفضت الرضوخ للسيطرة البريطانية. ولعل أبرز دليل على ذلك تلك المعارك التي خاضتها قبيلة القواسم على ساحل عمان، ضد السيطرة البريطانية منذ مطلع القرن التاسع عشر(٥٩) وقد تصدى القواسم بشكل عنيف لمحاولات بريطانيا احتكار النفوذ وبسط السيطرة على منطقة الخليج لتأمين احتياجات إمبراطوريتها في تلك البحار المؤدية إلى الهند.

وكان القواسم قد اشتهروا بالمهارة في ركوب البحر منذ وقت مبكر. وبسبب

---

(٥٩) المؤلف، الصراع بين القواسم وبريطانيا.

هذا النشاط البحري الذي مارسه القواسم أطلق الأوروبيون على الساحل الشمالي للخليج الممتد من رمس جنوبًا اسم «ساحل القرصنة».

وكان القواسم قد اتحدوا على مواجهة النفوذ البريطاني المتمثل في شركة الهند الشرقية الانجليزية بشتى الوسائل. ولأنهم لم يستطيعوا منافسة الشركة تجاريًا فإنهم تصدوا لسفنها، ونشب صراع طويل بين الطرفين امتد من عام ١٧٧٨ إلى عام ١٨١٩م، وكان يتخلل هذا الصراع سلسلة من المعاهدات تنعقد بين الطرفين من وقت لآخر، كان من أهمها معاهدة عام ١٨٠٦م – ١٠٠٩هـ. التي كان من أبرز أهدافها أن يلتزم الطرفان الهدوء، حتى يسود الأمان والاستقرار، وضمان السفن التجارية في هدوء، إلا أن هذا الهدوء كان يشوبه الحذر والتحوط، فكان القواسم من جانبهم يعملون على تكثيف استعدادتهم البحرية والتحوط، فكان القواسم من جانبهم يعملون على تكثيف استعداداتهم البحرية، كما كانت بريطانيا هي الأخرى تراقب الموقف بحذر وتعمل على تطوير نشاطها البحري في منطقة الخليج لعوامل محلية أخرى دولية متمثلة في نشاط فرنسا والدولة العثمانية، بالإضافة إلى تطور العلاقات المتميزة بين ابن سعود والقواسم والتقارب الشديد بينهما. وتجددت الحملات الحربية بين القواسم وبريطانيا، كان أهمها حملة ١٨٠٩م ١٢٢٤هـ، وحملات أخرى في أعوام ١٨١٤م ١٢٢٤هـ، ١٨١٥م ١٢٣١هـ، ١٨١٨م ١٢٣٤هـ.

ورغم أن هذه الحملات أضعفت من قدرات القواسم العسكرية التي كانت تفتقد أيضًا إلى القدرة السياسية التي تسندها، إلا أن القواسم استطاعوا ولفترة طويلة أن يتحدوا السيطرة البريطانية، وتكبيدها الكثير من الخسائر البشرية والمادية، وعملوا على إعاقة تقدمها ردحًا من الزمن.

« الصراع بين القواسم وبريطانيا »

(١٧٧٨ - ١٨١٩)

يعالج هذا المبحث موضوع الصراع بين بريطانيا أكبر القوى الاستعمارية الأوروبية في ذلك الوقت وبين قبيلة القواسم العربية التي تتمتع بقوة بحرية عظيمة في منطقة الخليج منذ القدم إلى مطلع القرن التاسع عشر، وهي تحاول في هذا الصراع الدفاع عن مصالحها التجارية ضد الأهداف الاستعمارية التي اتجهت أنظارها لمنطقة الخليج لأسباب استراتيجية واقتصادية وتجارية، بالإضافة إلى الأهداف الاستعمارية.

والثابت أن اهتمام بريطانيا بمنطقة الخليج قد ازداد بشكل بالغ من القرن الثامن عشر، وكان الخليج أول منطقة اتجهت إليها أنظار المغامرين من رجال التجارة البريطانيين في الشرق كذلك ارتبط اهتمام بريطانيا بالخليج العربي، والبحر الأحمر باستعمارها للهند، واستطاع الانجليز أن يحتلوا مكان الصدارة في البحر الشرقية بعد الهولنديين، وأسسوا شركة الهند الشرقية (East India Company) في أواخر عام ١٦٠٠ (أي في أواخر القرن السادس عشر) وقامت على أكتاف هذه الشركة دعائم الإمبراطورية البريطانية في الهند وقد استهلت شركة الهند الشرقية نشاطها في منطقة الخليج، عندما نزلت أول شحنة للبضائع على شواطئ الخليج وأقامت علاقات مع فارس في بداية الأمر، ثم أخذت الشركة ترنو ببصرها بعد ذلك على بقية مناطق الخليج العربي لتخضعه لنفوذها، نظراً لأهميته الاقتصادية والإستراتيجية كمحطة على طريق مواصلاتها إلى الشرق، وتأمينها لوجودها الاستعماري في الهند، إلا أن ذلك لم يكن سهل المنال إذ كانت القبائل العربية البحرية في الخليج تشكل حجر عثرة في هذا السبيل وعلى رأس هذه القبائل «القواسم»، الذين كانوا يشكلون قوة بحرية كبيرة، وكانوا يعملون في نقل التجارة، ولكن شركة الهند الشرقية الانجليزية هددت هذا النشاط ولم يستطع القواسم منافسة الشركة تجارياً، لذلك تصدوا بكل عنف للسفن التجارية البريطانية في منطقة الخليج وفي داخل المحيط الهندي فنشب صراع طويل بين

الطرفين امتد من الربع الأخير للقرن الثامن عشر إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي ١٧٧٨ – ١٨١٩م.

لقد كانت الدوافع، أو المصالح بتعبير آخر، ذات الاعتبارات الاقتصادية والاستراتيجية في خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر هي التي شكلت هذا الصراع الحاد بين الطرفين، هذا بالإضافة إلى الدوافع الوطنية والدينية التي حتّمت على القواسم أن يتصدوا بقوة وضراوة للوجود البريطاني في المنطقة. ولا يخفى كذلك أن أقطار الخليج تعتبر أسواقًا مهمة للتجارة البريطانية، إضافة إلى أهميته كمركز لتمويل الصناعة البريطانية بالمواد الأولية المختلفة التي تحتاجها منتجات الثورة الصناعية، هذا بالإضافة إلى كون المنطقة منطقة مشجعة لاستثمار رؤوس الأموال البريطانية فيه.

لقد دار الصراع العنيف بين بريطانيا والقواسم في منطقة الخليج إلى داخل المحيط الهندي، وهذه المنطقة تتمع بأهمية الموقع الاستراتيجي المختار بين القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، ونقطة التقاء طرق التجارة المختلفة، ولعل هذه الميزة تبدو أكثر أهمية بالنسبة لبريطانيا ومصالحها في القارة الهندية، حيث يعتبر الخليج أبرز الطرق التجارية المؤدية إلى آسيا والهند، التي تعد أغنى الممتلكات البرطانية آن ذاك، ولقد اكتسب الخليج العربي بحكم هذا الموقع الاستراتيجي أهمية عسكرية، وصار منطقة هامة لإقامة القواعد البحرية وغيرها. ولقد ازداد تمسك بريطانيا بنفوذها في الخليج أكثر وأكثر منذ القرن الثامن عشر، إضافة لتلك الدوافع الأساسية، اكتشاف النفط في المنطقة كذلك فغطى ذلك على تلك الدوافع وأصبح السمة البارزة لأهمية الخليج العربي الأمر الذي أدى ببريطانيا إلى مضاعفة جهودها للتمسك بالمنطقة والانفراد بها، كما تم لها في السابق، وأصبح لزامًا عليها مواجهة التغلغل الغربي الآخر في الخليج المتمثل في هولندا بعد القضاء على النفوذ البرتغالي ثم المواجهة مع ألمانيا بعد ذلك، هذا بالإضافة إلى نزاعها

الطويل ضد القوى العثمانية. إلا أن أكثر ما شغل التفكير البريطاني وكاد أن يقضي على كل آمالها في المنطقة كان صراعها الطويل مع قبيلة القواسم العربية في منطقة الخليج، وهو صراع أنهك قواها وكاد أن يفقدها كل أمل في السيطرة لتحقيق أهدافها التي سبقت الإشارة إليها.

أما القواسم الذين يشكلون الشق الثاني في هذا الصراع، فقد كانوا قوة بحرية عظيمة في منطقة الخليج منذ القدم، وقد كانوا الفئة العربية الأقوى في البحر دون منازع، وكان مفهوم لفظة «القواسم» يعني تلك الجماعة التي تدين بالولاء لشيوخ القواسم في الشارقة ورأس الخيمة، وإن كان المدلول الأصح للكلمة يعني الارتباط الأقوى بأسرة القبيلة المذكورة ورأس الخيمة هي أهم موانئ المنطقة، وتعتبر الشارقة الميناء الثاني للقواسم.

وقد ظهر القواسم كقوة بحرية منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر، حيث سيطروا على المنطقة الممتدة من رأس مسندم إلى الزبارة على الساحل الشمالي الغربي من عمان، وأدى ذلك إلى انتعاش كثير من الموانئ التي كان من أبرزها رأس الخيمة معقلهم الرئيسي، والشارقة التي كانت تعتبر القاعدة الثانية هذا بالإضافة إلى جزيرة الحمراء وأم القوين والحميرية وعجمان. وكان القواسم يعتمدون في معيشتهم على صيد الأسماك، واستخراج اللؤلؤ ونقل التجارة والأسفار البعيدة التي كانوا يقومون بها إلى سواحل الهند وشرق أفريقيا، وكان اشتراكهم في نقل التجارة يدر عليهم ربحًا وفيرًا. ولقد امتاز القواسم بالصلابة والشجاعة وحب المغامرة، واتصفوا بأنهم من أنظم القبائل القاطنة على سواحل الخليج العربي بوجه عام، الأمر الذي مكنهم من امتلاك سفن كثيرة ساعدتهم على السيطرة البحرية ردحًا من الزمن، ومواجهة سفن شركة الهند الشرقية البريطانية، وإنهاك القوى الاستعمارية البريطانية نفسها لفترة طويلة. لقد مر الصراع بين بريطانيا والقواسم بمرحلة طويلة ومتعددة، فأخذ أطوار الحرب والعنف أحيانًا كثيرة، ثم أخذ أطوار

المسالمة في بعضها الاخر، ونرى أنه منذ بدأ النزاع بين الطرفين، كان القواسم يوجهون أشد هجماتهم ضد السفن البريطانية، بينما تصدت بريطانيا على تلك الهجمات بإرسال العديد من الحملات البحرية، إلا أن تلك الحملات لم تتمكن من القضاء على قوة القواسم فاضطروا إلى عقد عدة اتفاقيات مع القواسم، كان من أهمها اتفاقية عام ١٨٠٦، واتفاقية ١٨٠٩، واتفاقية ١٨٢٠. إلا أن الظروف السياسية في منطقة الخليج والجزيرة العربية أثرت سلبًا على نشاط القواسم البحري تمهيداً لفرض سيطرتهم السياسية والاقتصادية على منطقة الخليج العربي التي كانت محط أنظار القوى الأوروبية الأخرى والتي كانت تطمع أيضًا في الوصول إلى إحتلال الخليج، إلا أن انجلترا انفردت في نهاية الأمر بفرض سيطرتها على منطقة الخليج لفترة طويلة، كما جعلت لها حلفاء من سلاطين ومشايخ في الخليج، ليساعدوها على تحقيق أهدافها.

ومهما يكن من أمر فإن المؤرخين اتفقوا على أمر هام وهو أن هذه القبيلة «القواسم» مقدامة سكن قسم منهم الشارقة وحكموا فيها وسكن آخر في رأس الخيمة وحكموا فيها وفي لنجة حكموا أيضًا وكانوا في جميع حالاتهم كرماء أجواد وشجعان وتم لهم الاستقرار في هذه المنطقة منذ النصف الأول للقرن الثامن عشر وظهروا منذ ذلك الحين كقوة بحرية متفوقة على غيرها كما بسطوا سلطانهم على ساحل عمان بين قطر وخور فكان ووقفوا نداً لسلطان مسقط وغيره من زعماء المنطقة بل امتدت سيطرتهم إلى الأراضي الإيرانية وإلى بعض أرجاء الخليج وارتحل قسم من القواسم من رأس الخيمة واستوطنوا لنجة حيث أسسوا لهم دولة وحكموا فيها ردحًا من الزمن ومن أشهر حكامها «الشيخ محمد القاسمي» الذي حكم في لنجة وتوابعها[١].

فلما حاولت بريطانيا احتكار النفوذ وبسط السيطرة في منطقة الخليج لتأمين

---

(١) عن الأمير محمد أمين: المصالح الريطانية في الخليج ١٧٤٧ - ١٧٧٨ بغداد ١٩٧٧.

احتياجات إمبراطوريتها في تلك البحار إلى الهند تصدى القواسم بشكل عنيف لتلك المحاولة وكان القواسم قد اشتهروا بالمغامرة والمهارة في ركوب البحر منذ وقت مبكر وبسبب مزاولة القواسم لهذه الأعمال أطلق الأوروبيون على الساحل الشمالي للخليج الممتد من رمس جنوبًا اسم «ساحل القرصنة» وكان القواسم قد اتحدوا على مواجهة النفوذ البريطاني المتمثل بشركة الهند الشرقية الانجليزية بشتى الوسائل، ولأنهم لم يستطيعوا منافسة الشركة تجاريًا لذلك تصدوا لسفنها ونشب صراع طويل بين الطرفين امتد من عام ١٧٧٨ إلى عام ١٨١٩. ولقد مهدت بريطانيا لحملتها بمحاولات عزل القواسم عن أي حلفاء محتملين وعن أي قوى مركزية وبادرت إلى تكتيل قوى عديدة ضدهم وقد سارت تلك الخطوات في اتجاهات عديدة(٢).

مد القواسم نفوذهم إلى الشاطئ الشرقي للخليج بعد تحالفهم مع بني معن الذين يملكون قشم وهرمز، وقد أعطى هذا التحالف للقواسم قوة بحرية ضخمة ومما ساعد على ظهور هذه القوة اضطراب الأوضاع السياسية في فارس على إثر وفاة كريم خان زند عام ١٧٧٩م وانشغال شركة الهند الشرقية الانجليزية في هذا الوقت بتدعيم نفوذها في الهند. ولذلك لم تلبث أن تشتت قواها ودخلت في صراع مع القواسم قبل أن توطد نفوذها في الهند ولذلك تمكن القواسم من السيطرة على الشؤون التجارية والعسكرية في الخليج لكن هذه السيطرة أخذت في الضعف حينما استعادت شركة الهند الشرقية الانجليزية نشاطها وأصبحت تسيطر على التجارة في الخليج بفروعها ووكالاتها التجارية ونشاطاتها الاقتصادية والسياسية.

وعجز القواسم عن منافستها فأرادوا الانتقام من هذه الشركة وقاموا بمغامرات بحرية للاستيلاء على أي سفينة تحمل العلم الانجليزي وتمر بسواحلهم، ففي أواخر عام١٧٧٨م هاجمت ست داوات قاسمية(٣) سفينة انجليزية تحمل رسائل بريدية،

---

(٢) د. جمال زكريا قاسم: دولة آل بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧١٤ – ١٨٦١ القاهرة ١٩٦٧م.

(٣) الداو: وهو المركب ذو الشراع الواحد المثلث بالشكل الذي يعمل في المحيط الهندي والخليج العربي.

وهي في طريقها من بومباي إلى البصرة، وأخذتها إلى رأس الخيمة وتم دفع فدية لها قدرها أربعة آلاف روبية[٤] وفي أوائل عام ١٧٧٨م هاجم القواسم السفينة الشراعية (سكسس – Success) وهي في طريقها من مسقط إلى البصرة، ولكنها تمكنت من الهرب، وفي الشهر التالي هاجم القواسم السفينة الانجليزية الصغيرة (اسستانس) التي كانت تحمل على ظهرها بعض الجنود، البلوش من مسقط، ولكنها تمكنت من الوصول إلى بوشهر[٥] بأمان، لهذا أرسل المقيم الانجليزي قوة لتدمير أسطول القواسم، ولكن تعليمات الشركة إلى وكيلها كانت تقتضي الاستمرار في المحافظة على العلاقات الودية مع القوى المتعددة في الخليج من أجل ضمان رسائل الشركة والتجارة الانجليزية والمسافرين[٦] ويعلل لوريمر ذلك بأن إرهاق الشركة كان نتيجة لسلسلة الحروب التي خاضتها في الهند والتي استمرت من ١٧٧٥ – ١٧٩٢م.

غير أنه من الجدير بالذكر أن هذه الاشتباكات بين القواسم وسفن شركة الهند الشرقية في الخليج لم تكن تتم بمعزل عن الاشتباكات بين القواسم وإمام مسقط، مما يرجح أن مهاجمة القواسم للسفن الانجليزية لم تكن بقصد « القرصنة » كما يصفها الانجليز، بل كانت بسبب ميل الانجليز إلى إمام مسقط في عدائه مع القواسم[٧]، وفي ١٧٩٠م استولى القواسم على السفينة الانجليزية باجلربج (Baj-lerbej) وهي في طريقها من البنغال إلى بوشهر بالقرب من رأس مسندم، ويبدو أنها تحطمت إذ يذكر أنها ظلت على الصخور عدة سنوات[٨] وفي مايو ١٧٩٧م هاجمت اثنتان وعشرون سفينة قاسمية السفينة الانجليزية (باسين – Bassein)

(٤) Miles, Samuel: The Countries & the tribes of the Persian Gulf, Lonndon 1966,0279.

(٥) Kelly, John' Britain and the Persian Gulf 1795 - 1880, London 1968, P. 106.

(٦) Miles, S. Op. Cit, pp. 275 - 276. أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت، المجلد الول، القسم الأدبي، الكويت ١٩٦٧، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٧) لوريمر. ج. ج. – دليل الخليج – القسم النتريخي – قطر – ص ٢٣١.

(٨) Miles, S. Op. Cit. p. 248.

على مقربة من الرمس (Rams) وكانت تحمل رسائل من البصرة، وتم احتجازها لمدة يومين ثم إطلاق سراحها[٩]، وفي اكتوبر من نفس العام ١٧٩٧م وصل إلى بوشهر اسطول قاسمي تحت قيادة الشيخ صالح ابن أخ رئيس القواسم وكان في ذلك الحين في حرب مع إمام مسقط، وذلك لقطع الطريق على غرب صور التابعة لمسقط وطلب الشيخ صالح من المقيم الانجليزي في بوشهر بألا يحمي السفن العمانية، ولا أن يشحنوا عليها أية بضاعة انجليزية[١٠]، ثم طلب إمداده بالبارود والطلقات، وبعد أن قدمت له سفينة الشركة فايبر (Viper) ذات الأربعة عشر مدفعاً الذخيرة المطلوبة قام على ضمها، وتمكنت فايبر من صد الهجوم وإجبار سفن القواسم على الهرب إلى عرض البحر، بعد أن تكبدت فايبر خسائر جسيمة، احتج ممثل شركة الهند الشرقية في البصرة لدى ممثل القواسم على هذا العمل واعتبره عملاً عدائياً، فأجاب الشيخ صقر رئيس القواسم بأن الهجوم لم يقع إلا بعد أن أطلقت فايبر النيران على قوارب القواسم، وقرر بأن ابن أخيه الشيخ صالح هو الذي قاد الهجوم وأنه غادر رأس الخيمة واتجه نحو ساحل فارس وانفصل عن التحالف القواسمي، وأنه ليس بين القواسم والانجليز أية خلافات، ودلل شيخ القواسم على صدق نواياه بزيارة لممثل شركة الهند الشرقية (مانسيتي – Manisty) في البصرة، وأكد صداقة القواسم الإنجليز، وطالب بعدم حماية انجلترا لسفن مسقط وعدم إرسال بضائع إليها، وأعلن عن عدم مسؤوليته عن أي خسائر تتعرض لها السفن الانجليزية[١١]. هذا يؤكد ما ذهب إليه بعض المسئولين الانجليز بسبب مهاجمة القواسم للسفن الانجليزية لتدخل انجلترا في المنازعات العربية في الخليج، وعدم الوقوف على الحياد كما يؤكد أهمية مسقط لإنجلترا لتأمين سفنها كما كان لمسقط تأثيرحيوي في الملاحة بين الخليج والهند[١٢].

(٩) يذكر مايلز: أنها تمت بالقرب من قشم بينما كيلي يذكر بأنها تمت بالقرب من جزيرة قيس.

(١٠) Selection from the records of Bombay Government. Vol. 24, P. 302.

(١١) Ibid, Vol. 24, P. 302.

(١٢) جمال زكريا: دولة بو سعيد ١١٠ – ١١١.

لقد أخذ القواسم يسددون هجماتهم ضد السفن الانجليزية لإقناعهم بالمساعدات التي تقدمها هذه السفن إلى سلطنة مسقط، وعلى الرغم من تعدد الحوادث في منطقة القواسم البحرية فقد استمرت حكومة بومباي تنظر إلى تلك الأحداث بأنها أمور لا تستدعي التدخل ضد القواسم، بل كانت حكومة بومباي تصدر تعليمات لبحارتها بعدم البدء في إطلاق النيران، مما أدى إلى وقوع كثير من السفن الانلجيزية في أيدي القواسم كما يذكر (باكنجهام – Bekinjham)، وهو صحفي وضرب مثالاً على هذا الكلام بأن الملازم جوان قد أطلق النار من السفينة فيورى على عدد من القوارب التي تجمعت أمامه بنية عدائية، وحين رجوعه إلى بومباي تلقى نقداً حاداً من الحاكم العام على هذا العمل(١٣).

رغم ذلك ظلت إنجلترا متمسكة بسياسة المسالمة إزاء القواسم، حتى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، وكانت توجه اللوم إلى قواد السفن الذين لا يلتزمون بتعليماتها، غير أن انجلترا غيرت سياستها في المنطقة، والتي كانت تهدف إلى حماية مصالحها التجارية إلى سياسة استعمارية هدفها السيطرة على المنطقة وذلك على إثر ظهور نابليون بونابرت واحتلاله لمصر، ومحاولته مد نفوذه إلى الشام واتصاله بسلطان مسقط وميسور في الهند، لذلك خشيت انجلترا على مصالحها في الخليج، ونشطت للقضاء على محاولات فرنسا، وتقوية نفوذها في الخليج، لذلك استولت على جزيرة برية عام ١٧٩٩م، وعقدت معاهدة مع سلطان مسقط ١٨٠٠م تعهدت فيها بالوقوف ضد محاولات فرنسا في بلاده.

بعد أن تخلصت إنجلترا من خطر نابليون بونابرت واجهت انتشار الدعوة السلفية في الخليج وترحيب القواسم لهذه الدعوة، وتعاهدهم مع الدرعية عام ١٧٩٩م، وصعدوا نشاطهم الجرئ في الخليج ضد السفن الانجليزية، لذلك بدأت

(١٣) Buckingham: Travels in Assyria, Media, and Persia 2 Vol London, 1829. pp. 226 - 227.
لم نجد هذا الحادث إلا في قول بكنجهام – أنظر لوريمر ج٢ من القسم التاريخي ص، ٩٧٦.

إنجلترا تضرب القواسم دون أن تصطدم بالدولة السعودية الأولى، وأمام ذلك أخذ القواسم يهاجمون أي سفينة تحمل العلم الانجليزي بدافع الجهاد[١٤]، ففي عام ١٨٠٤م هاجمت السفينة الفرنسية (لافرشن – Lavorshion)، ذات الثمانية والثلاثين مدفعًا السفينة الانجليزية (فلاي – Fly) ذات الأربعة عشر مدفعًا وأسروها بالقرب من مدينة قيس، وكان بحارتها قد تمكنوا من إخفاء خزينتها والرسائل التي كانت تحملها في مكان ضحل المياه أثناء المطاردة، وبعد أن أطلق سراحهم في بوشهر ركبوا سفينة أهلية تنقلهم إلى بومباي، وفي الطريق بين جزيرة طنب ورأس مسندم أسرهم القواسم بعد أن أخرجوا بعضهم وهم يحاولون المقاومة، وحين وجدوا أنفسهم أسرى في رأس الخيمة أرشدوا القواسم إلى مكان الخزينة في مقابل إطلاق سراحهم، ولكن القواسم أخذوا الخزينة بالإتفاق مع أهل جزيرة قيس، ثم رحلوا بعد فقدها تاركين الأسرى لمصيرهم في هذه الجزيرة، ولم ينجح منهم إلا رجلان فقط هما ضابط في البحرية التجارية وبحار اسمه بيثول، أما باقي الجماعة فقد لقوا حتفهم بين قيس وبوشهر، بعضهم غرقت به السفن التي حاولوا أن يستقلوها والبعض الآخر قضي نحبه بين مصاعب الطريق[١٥].

من ناحية أخرى أدى الصراع الذي نشب بين الدولة السعودية الأولى وسلطنة مسقط إلى جر القواسم إلى دائرة هذا الصراع، حين انحازوا إلى الدولة السعودية الأولى ضد سلطنة مسقط وخشيت حكومة بومباي أن تتحول مسقط إلى ممارسة القرصنة بضغط القواسم وابن سعود عليها، وتأكدت هذه المواقف حين أرسل سلطان بن أحمد وكلاءه إلى الدرعية يطالبون بإعادة شيناص وغيرها من القلاع التي استولى عليها ابن سعود، فاحتجزهم ابن سعود، وكانوا يهدفون بهذا الضغط على سلطان مسقط لأمر سفنه بمعونة ابن سعود في الهجوم على البصرة أو يبرهن

(١٤) صادق نشأت، تاريخ الخليج السياسي، ترجمه عن الفارسية، أحمد كمال حلمي، وبدر الدين عباس، الكويت ١٩٧٢م، ص ١٣٠ – ١٣٢.

(١٥) لوريمر : ج٢ ، ص ٩٧٤.

على محبته لقضية المسلمين، بإرسال حملة للاستيلاء على المستودعات الانجليزية في سواحل الهند، وهددوا بأنهم سيهاجمون مسقط بعد انتهاء حج عام ١٨٠٣م(١٦).

حاول سلطان بن أحمد سلطان مسقط الاتفاق مع السلطان العثماني في البصرة ضد الدعوة السلفية فتربص به جماعة من القواسم وقتلوه أثناء عودته من البصرة، أثناء مروره بسواحلهم عام ١٨٠٤م، وقد أدى ذلك إلى القضاء على نفوذ مسقط في الساحل الشرقي من الخليج وورث القواسم نفوذ مسقط في بندر عباس وسيطرتهم على جانبي مدخل الخليج فاعتبرت شركة الهند الشرقية هذا تهديداً للملاحة الانجليزية في هذه المنطقة(١٧).

استقبلت بومباي أنباء موت سلطان بن أحمد سلطان مسقط، وما تبع ذلك من انطلاق القواسم وازدياد نشاطهم بقلق شديد، إذ أن سلطان بن أحمد كان قد تولى حماية تجارة الخليج منذ إغلاق دار المقيم الانجليزي في مسقط في أواخر عام ١٨٠٣م، مما جعل حكومة بومباي تسارع في تقديم العون والمساعدة لخليفة سلطان بن أحمد. فصدرت الأوامر إلى المقيم الانجليزي ديفد سيتون ليرجع إلى مسقط كي يعيد فتح دار المقيمية، ويساعد أحد ولدي سلطان في كسب وراثة الحكم، ولم يترك له سوى القليل من التصرف بحرية، إذ طلب إليه الحاكم العام السيد (جورج بارلو – Georje Barlow)، أن يقدم عودته للمتقدم الذي ترتكز دعواه على العدل، على أن يتم ذلك دون مخاطرة بتوريط الحكومة الانجليزية في عداوات مع مسقط أو الدرعية أو حكومتي تركيا وفارس ووضعت مور تنجبتون – وهي سفينة حربية بقيادة الكابتن سنكر تحت تصرفه ليستخدمها في أي تحرك قد

(١٦) الخارجية السعودية، التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية، ج١، ص ١١٧. جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧ – ١٨٤٠ – ١٩٨٥، دار الفكر العربي، ص ٢٩٦.

(١٧) لوريمر: ج٢، ص ٦٧٥.

يقوم به لمعاونة السلطان الجديد من أجل استعادة السفن والبضائع التي استولى عليها القواسم(١٨).

ولكن قبل أن يغادر سيتون بومباي كان النزاع على وراثة السلطنة قد انتهى لصالح شقيق سلطان المدعو بدر بن سيف(١٩). تحالف بدر بن سيف مع قبائل العتوب ضد القواسم فاستغلت انجلترا هذه الخلافات بين القواسم ومسقط حتى يصفي كل منهما الآخر(٢٠)، ثم أرسلت حملتها العسكرية الأولى إلى الساحل العماني في عام ١٨٠٥م، وكان ذلك لعدة أسباب أولها ازدياد عمليات القواسم ضد السفن الانجليزية. ففي عام ١٨٠٥ أسر القواسم سفينتين انجليزيتين هما (شانون - Shanon)، بقيادة الكابتن بايوك وتريمر - Trimmer) بقيادة الكابتن كانجر، فيما جاور جزيرة قارور، والسفينتان مملوكتان لصوميل مانسيتي ممثل لشركة الهند الشرقية في البصرة(٢١)، واقتادوها إلى رأس الخيمة، وقد أعدم القواسم البحارة الهنود الذين كانوا عليها، كما حكم على الكبتن بايوك بقطع ذراعه، لأنه شوهد يطلق النار من بندقيته خلال الاشتباك(٢٢)، أما بقية الأسرى الأوروبيين فقد نقلوا إلى الساحل العربي، حيث استطاعوا الفرار واحداً بعد الآخر،

---

(١٨) India office Board'scollection 4155 Vo. 190,extract from [ombay political Connsultation, 6 March 1805, draft Instructions issued to seton 3 Mar. 1805.

(١٩) Kelly, j: Op. Cit. p. 102.

(٢٠) Bombay Government Section from Historical Sketch of Utoobe tribe of Arabs, 1716 - 1852, p. 361.

(٢١) كان كبار المسؤولين في حكومة الهند يستغلون وظائفهم، ويحاولون تكوين ثروات عن طريق التجارة الخاصة مثل مانيستي الذي كان يملك معظم تجارة البصرة ولذلك كان أحياناً تقوم مشاحنات بين ممثلي الشركة الذين لهم تجارة خاصة وبين التجار الوطنيين نتيجة للمنافسة على التجارة، وقد لجأ هؤلاء الممثلين إلى السفن الحربية التابعة للشركة لمساعدتهم، ولذلك أصدرت الشركة أمراً لسفنها بعدم إطلاق النار على السفن الأخرى إلا إذا بدأت تلك السفن بإطلاق النار عليها.

Buckingham: Op. Cit. p. 226. Low, Charles R: History of the Indian Navy 1613 - 1863. 2 Vol, London 1877, p. 317.

(٢٢) Bombay Government, Historical Sketch of the Joasmee Tribep of Arabs, p. 303.

وأثبتت التحريات بعد ذلك بأن أصبحت تريمر من نصيب أهل رأس الخيمة، وقد تحولت كلتا السفينتين إلى سفينة حربية، وأصبحتا تستخدمان بانتظام في عملية «القرصنة» وظن مانيستي أنه بوسع أمير الدرعية إصدار أوامره بإعادة السفيتنين، وأرسل وكيلاً للقائه في عاصمته، لكن شيئًا لم يتحقق من تلك السفارة مما يؤكد أن القواسم لم يقوموا بهذا العمل بتأثير من حكام الدرعية كما كان شائعًا(٢٣)، وفي يناير ١٨٠٥م حاول أسطول القواسم المكون من أربعين سفينة الأطباق على السفينة الحربية الانجليزية (مورنتجون – Morntinjton) التي كانت تجوب الخليج لتأمين التجارة ولكنها تمكنت من صد الهجوم، واضطر المهاجمون للتراجع، كما أسر القواسم السفينة (هكتور – Hector)، وشنوا هجومًا آخر على السفينة الحربية (كويين – Queen) قرب مسقط في آخر أبريل ١٨٠٥م، وتمكنت هذه السفينة من صد السفن المهاجمة لها، وأدت هذه الاعتداءات إلى اقتراح (دنكان – Duncan)، حاكم بومباي على سيتون المقيم الانجليزي في مسقط لتقديم المساعدة الحربية إلى حكومة مسقط في حربها ضد القواسم، وقد كتب بهذا الخصوص إلى مجلس إدارة الشركة الهندية الشرقية(٢٤).

رأت انجلترا ضرورة تقديم المساعدة العسكرية إلى مسقط حتى لا تخضع إلى سلطة الدرعية، مما يضر بالتجارة الانجليزية في الخليج، كما أن خطط أمير الدرعية هي الاستيلاء على البصرة والسيطرة على الخليج(٢٥)، ويؤيد هذا القول أن سيف بن بدر عندما وجد إمكانية الحصول على مساعدة من الانجليز بدأ يعمل ضد القواسم، كما رفض الاشتراك في حملة كان الأمير سعود يزمع القيام بها ضد البصرة، بعد أن هدده المقيم البريطاني بالعمل ضده، كما كان المقيم البريطاني في مسقط يرى أنه من المحتمل أن يعرض سيف بن بدر إعطاء البريطانيين بندر عباس أو جزءًا منها تقديرًا

(٢٣) I.O.R: Board's Collections F/4, 140, collect 4155, from Mansty to Grant. April 19th, 1809.

(٢٤) I.O.R.: L/pes/6/164 from Duncan to the count directors Feb. 21, 1809.

(٢٥) I.O.R.: L/pes/6/169 from Seton to Duncan Maay 5th, 1805.

لمساعدتهم له، ويضيف أنه إذا تم ذلك فستكون محطة جيدة للسفن الانجليزية، ومن ناحية أخرى فإن إنتاج بندر عباس من الفضة والملح والنحاس بكميات كبيرة سيغطي كل التكاليف، ولا يوجد مكان آخر في الخليج مساوٍ لها(٢٦).

أما السبب الأخير فيرجع إلى ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة السيد صموئيل مانيستي الذي كتب إلى حكومته عام ١٨٠٥م، يؤكد أن خطر «القراصنة العرب» أصبح يقاومه خطر أعداء إنجلترا القوميين ويقصد بذلك الفرنسيين، كما أن حوادث القرصنة أصبحت تسبب لحكومة الهند متاعب أكبر بكثير من القاعدة التي تتعرض لها نتيجة المنازعات الدولية في بحار الشرق(٢٧).

وأمام ذلك وجدت إنجلترا ضرورة التدخل المباشر ضد القواسم فقط، على أن تتحاشى الصدام بالدولة السعودية، ورأت أن تقتصر الصراع على الداخل دون الخارج وعهدت إلى الكابتن ديفيد سيتون المقيم الانجليزي في مسقط في مارس عام ١٨٠٥م مهمة تنظيم حملة. أما سبب اختيار الكابتن سيتون قائداً للحملة أنه كان وكيلاً لإنجلترا في مسقط قبل أن تتوقف بسبب عدم اهتمام حكومة الهند الشرقية بسلطنة عمان، وعهدت حكومة الهند إلى الكابتن سيتون بأن يبحث وسائل التعاون مع سلطنة مسقط(٢٨). أخذ في الاعتبار، ما كان يتعرض له السلطان بدر بن سيف من صراع وخلافه مع القواسم، وأشار إليه بأن يكف عن عمله إذا تدخل ابن سعود، وأن يحاول الوصول إلى السلام عن طريق المفاوضات، وأن يتفادى أية صعوبات أو خلاف مع الحكومة العثمانية أو حكومة فارس وأن يعمل بالتنسيق مع مانيتسي وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة والملازم بروس المقيم الإنجليزي في بوشهر(٢٩).

---

(٢٦) Ibid.

(٢٧) Ireland philip: Iraq, London, 1954, p. 52.

(٢٨) جمال زكريا: الخليج العربي، ص ٢٩٨.

(٢٩) لوريمر: دليل الخليج، ج٢، ص ٩٧٦ – ٩٧٧.

أرسل سيتون تقريراً عن الموقف لحكومة بومباي أوصى فيه أن تتحاشى حكومة بومباي التدخل العسكري المباشر، وأن تبادر بإرسال عدة سفن لمساعدة بدر بن سيف في حروبه ضد القواسم، ووافق مجلس حكومة بومباي على تنفيذ تلك الوصية بعد تردد وتخوف كبيرين، لأن ذلك كان يعني التخلي عن السياسة التقليدية التي سنتها حكومة الهند والخاصة «بالابتعاد عن التدخل في المنازعات القبلية في الخليج»، ولذلك فقد أرسلت تعليمات أخرى إلى سيتون تطلب منه أن يتصرف بأكبر قدر ممكن من الحكمة والاعتدال وأن يسعى إلى تهدئة الموقف ما أمكن بواسطة المفاوضات(٣٠). وزودت سيف بن بدر بثلاث سفن كبيرة، وخمسة وعشرين مدفعًا للقيام بحملة لاستعادة بندر عباس من أقارب القواسم بني معن.

ولعل نقل العمليات العسكرية إلى بندر عباس والساحل الشرقي للخليج يرجع إلى تحاشي الاصطدام بابن سعود ورغبة سيف بن بدر في الهجوم على بندر عباس وهرمز.

استطاع بدر بن سيف مستعيناً بالخبرة الانجليزية، واشتراك الكابتن سيتون معه في الحملة والسفينة الحربية مورنتجون التحرك نحو بندر عباس في السابع من يونيو عام ١٨٠٥م وبعد قتال استمر يومًا واحداً استسلمت حامية بندر عباس(٣١) مما أدى إلى تضرر القواسم، لأن جميع الموانئ التي كانت تتبع لهم كانت تستخدم بندر عباس وهرمز لتزويدها بمؤنتها المعيشية، غير أن توجيه الحملة الانجليزية إلى الساحل الشرقي للخليج أثار احتجاج السلطات الفرنسية.

وقبل أن يتأزم الموقف بين الحكومة الفرنسية وحكومة بومباي وصلت أنباء إلى الكابتن سيتون بأن أسطولاً قاسميًا مكونًا من ثلاثين سفينة يحمل حوالي ألف رجل في طريقه إلى مدخل الجزيرة، ولكن الحملة المشتركة تمكنت من محاصرة

---

(٣٠) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة – ترجمة فؤاد حداد، وعادل صلاحي، لندن، بدون تاريخ، ص ٤٦.

(٣١) Kelly: Op. Cit.p. 108.

أسطول القواسم، ووضعت القواسم في وضع لا يحسدون عليه[٣٢]، إلا أن سيتون بناء على تعليمات حكومته وافق على فتح باب المفاوضات مع القواسم، وعقد هدنة معهم مدتها سبعين يوماً، حتى تصل إليه أوامر حاكم الهند، وإذا وافق حاكم الهند على الاتفاقية فعندها تعاد السفن ويعلن السلام.

ولعل الدافع الذي دفع سيتون إلى هذا الموقف أنه كان يعلم أنه لن يستطيع ضرب القواسم دون الإساءة إلى حكومة فارس وإلى ابن سعود، كما أن هذه الهدنة فرصة له حتى يتصل بحكومته، وتصل إليه أوامرها، كما أن شريكه في الحملة بدر بن سيف رحب بهذه الهدنة حتى تعطيه الفرصة لتقوية أسطوله بانضمام سفنه التي كانت في طريقها من البحر الأحمر إلى البصرة محملة بالبن.

دارت المفاوضات بين سيتون والقواسم وقام بدور الوسيط الملا حسين شيخ جزيرة قشم وكان هذا الوسيط يلح في ضرورة التقاء الكابتن سيتون شخصياً بشيخ القواسم سلطان بن صقر، لكن سيتون رفض هذا اللقاء حي لا يواجه ضغطاً من أجل الموافقة على مطالب القواسم مثل السماح لهم بالمتاجرة مع موانئ الهند[٣٣].

وجاءت تعليمات حكومة بومباي إلى الكابتن سيتون بالموافقة على المفاوضات لعقد الصلح على أن تكون الاتفاقية المطلوبة شاملة كل الخليج، وأن يتمسك بالمطالبة بالتعويض الكامل عن كل الخسائر التي لحقت بالسفن الانجليزية، فرفض القواسم لأنهم لا يستطيعون دفع أكثر من عشرة آلاف روبية، وعلى أقساط سنوية لذلك أهمل سيتون هذا الأمر وتم الإتفاق على أنه في حالة إعادة القواسم تريمر وشانون خلال خمسة وعشرين يوماً ومعهما كتاباً من شيخ القواسم يعتذر فيه عن مسلك رعاياه، ويعلن عجزه عن دفع التعويضات ويتعهد بالكف عن هذا المسلك في المستقبل فمن الممكن أن يكون هذا أساساً لمعاهدة توقع بين الطرفين.

---

(٣٢) لوريمر : دليل الخليج، ج٢، ص ٩٧٧.

(٣٣) Bombay, G: Historical sketch of the Joasmee tribe of Arabia pp
لوريمر : دليل الخليج، ج٢، ص ٩٧٨.

وقد حاول القواسم في هذه المفاوضات أن يخففوا من الضغوط الإنجليزية عليهم مبررين عملياتهم البحرية ضد السفن الانجليزية بأنها كانت بإتفاق مع ابن سعود[٣٤].

وتم عقد أول معاهدة بين بريطانيا والقواسم في بداية عام ١٨٠٦م في ميناء بندر عباس، ووقع هذه المعاهدة الكابتن سيتون وعبدالله بن كروش ممثل الشيخ سلطان بن صقر مشايخ القواسم وصدق عليها حاكم الهند بتاريخ ٢٩ أبريل ١٨٠٦م وتتكون هذه المعاهدة من ست مواد هي:

المادة الأولى:

وتنص على إقامة سلام داءم بين شركة الهند الشرقية وبين سلطان بن صقر وتوابعه، وأن يحترم كل منهما علم وممتلكات الطرف الآخر.

المادة الثانية :

نصت على أنه إذا أخل القواسم بما جاء بالمادة الأولى فإن عليهم أن يدفعوا غرامة قدرها ثلاثين ألف دولار[٣٥]، وفي مقابل ذلك يتغاضى الكابتن سيتون عن المطالبة بحمولة السفينتين تريمر، وشانون.

المادة الثالثة :

تضمنت نصاً على استعادة الممتلكات البريطانية التي كانت موجودة على أسطول الصوريين.

المادة الرابعة :

تعهد القواسم على مساعدة وحماية السفن الانجليزية التي تقف على شواطئهم للتزود بالوقود أو الماء.

---

(٣٤) لوريمر : دليل الخليج، ج١، ص ٢٨٠ - ٢٨٢.

(٣٥) المقصود بالدولار ريال ماريا تريزا وهي عملة نمساوية كانت سائدة في منطقة الخليج العربي ويطلق عليها بالمنطقة اسم « ريال فرانسي ».

المادة الخامسة :

نصت على أنه إذا أرغم ابن سعود أمير الدرعية القواسم على نقض هذه الاتفاقية فعليهم إنذار كل الأماكن البريطانية قبل نقض الاتفاقية بثلاثة شهور.

المادة السادسة :

فقد سمحت للقواسم بالتردد على الموانئ الانجليزية من سوزات إلى البنغال بعد أن كانت محظورة على القواسم منذ عام ١٨٠٤م نتيجة للاعتداءات على السفن البريطانية في الخليج.

إذا درسنا شروط هذا الاتفاق نلاحظ مدى القوة التي وصل إليها القواسم، والتي قدرتها بريطانيا حتى أن هذه الاتفاقية وصفها الكثيرون بأنها من المعاهدات المتكافئة، لأنها احتوت على بنود ملزمة للطرفين، كما أنها عقدت بين ممثلين عن حكومة القواسم وحكومة بريطانيا، حيث عقدها الكابتن سيتون ممثلاً لحكومة الهند وعبدالله كروش ممثلاً لشيخ القواسم، ومعنى ذلك أنها أقرت بزعامة القواسم الموحدة[٣٦]. أما ما اشتملت عليه المادة الخامسة من أنه إذا أرغم ابن سعود أمير الدرعية القواسم على نقض الاتفاقية فعلى القواسم إنذار كل الأماكن البريطانية قبل ذلك بثلاثة شهور فقد فسره بعض المؤرخين الانجليز بأنه نتيجة لما أوضحه سلطان بن صقر من أن ابن سعود هو الذي أجبره على مهاجمة السفن البريطانية.

أما المادة السادسة والخاصة بالسماح لهم بالتردد على موانئ الهند من سورات إلى البنغال فكانت لما أبداه سلطان بن صقر بأن من أهداف القواسم المتاجرة مع الموانئ الهندية وقد قبلت حكومة الهند هذه المعاهدة حتى توفر الهدوء والأماكن لسفنها وتجارتها في الخليج العربي وفعلاً التزم القواسم الهدوء وكفوا عن أعمالهم المعادية تجاه السفن الانجليزية خلال السنتين اللتين تلتا توقيع المعاهدة، ولذلك تعتبر هذه المعاهدة نهاية للمرحلة الأولى من الصراع بين بريطانيا والقواسم[٣٧].

---

(٣٦) جمال زكريا : الخليج العربي، ص ٣٠١.

(٣٧) Hawley Donald: the trucial states, London 1970. pp. 100-101.

ولقد سارت الأمور بهدوء في منطقة الخليج على إثر التوقيع على اتفاقية عام ١٨٠٦م ولكنه كان هدوء يشوبه الحذر والتحوط. فعلى الرغم من أن القواسم قد احترموا عقود الاتفاق المشار إليه، إلا أنهم اتخذوا جانب الحيطة والحذر من الغدر البريطاني المتربص بهم في مياه المحيط وجوانب الخليج، لذلك أعدوا العدة اللازمة لأية مواجهة محتملة، واستمروا في استعداداتهم الحربية وكثفوا من وجودهم البحري في مياه الخليج، بل وفي داخل المحيط، وذلك بالتدريب وزيادة عدد سفنهم، هذا بالإضافة إلى العمل الدؤوب بالاتصال بأشقائهم العرب وتوثيق عرى الصداقة بينهم، وتقوية علاقتهم خاصة مع الدولة السعودية في الدرعية. ومن جانب آخر كانت بريطانيا هي الأخرى تراقب الموقف بحذر، وتراقب التطورات السياسية الجارية عن كثب، وفي نفس الوقت كانت تكثف من وجودها وتعمل على تطوير نشاطها البحري في منطقة الخليج لعدة أسباب نذكر منها على سبيل المثال:

١ - كانت السياسة الفرنسية في ذلك الوقت تعمل على تهديد المصالح البريطانية في تلك الجهات، وكان الوجود الفرنسي المتنامي في المنطقة وتهديداته للسفن البريطانية بين البصرة وبومباي يسبب إزعاجاً مستمراً لبريطانيا وللسياسة البريطانية نفسها.

٢ - كانت الدولة العثمانية من وقت لآخر تشير إلى مصالح لها في المنطقة، وترنو ببصرها باستمرار إلى منطقة البصرة والجزيرة العربية، وتحاول مد أي نفوذ أو سيطرة عن طريق بعض حلفاء لها في المنطقة العربية.

٣ - كانت العلاقات المتطورة بين ابن سعود والقواسم، والتقارب مع سوء العلاقات المتدهورة باستمرار بين مسقط ورأس الخيمة بقلق السلطات البريطانية الشديد، وتزامن ذلك. على الرغم من أن السياسة البريطانية تنتهج سياسة التهدئة مع الدولة السعودية، وتخشى الدخول في عداء ومعارك معها، الأمر الذي يهدد

مصالحها ووجودها في المنطقة، لذلك كانت بريطانيا تعمل باستمرار على تحييد ابن سعود، وتتعامل مع القواسم على أنهم قوة مستقلة، ومع ذلك فإن بريطانيا كانت لا تغفل دور ابن سعود في تحريض القواسم ودعمهم للقيام بالهجمات ضد السفن البريطانية.

٤ - انفتح المجال للقواسم وازداد نشاطهم البحري بعد أن سحبت بريطانيا بعض قواتها البحرية من مياه الخليج لتعزيز قوتها الأخرى لمواجهة فرنسا في البحار الأخرى، فامتد نشاط اقواسم إلى البحار الهندية - لأول مرة - وبالتحديد في ساحل شمال بومباي منذ شهر أبريل من عام ١٨٠٨م - وقد أدى كل ذلك إلى أن تعيد بريطانيا النظر في سياستها مع القواسم، وترى أن ذلك يعتبر خرقًا لإتفاقية عام ١٨٠٦م، المبرمة بين الطرفين(٣٨).

لكل ذلك انطلقت السياسة البريطانية إلى وضع سياسة حازمة، ترمي إلى وضع حد للنشاط القاسمي، وذلك عن طريق تدمير القوى البحرية للقواسم تدميراً تاماً، للأسباب السابقة الذكر، ولمحاولة إطلاق سراح بعض رعاياها وغيرهم ممن وقع في أيدي القواسم، هذا بالإضافة إلى محاولة بريطانيا استعادة هيبة سلطان مسقط، والعمل على إعانته ضد أي تهديد يحتمل من ابن سعود، وذلك عن طريق إعادة المواقع له، وهي المواقع التي طلبها هذا السلطان في السابق. وقد عمدت بريطانيا كذلك على فرض اتفاقية على القبائل العربية الأخرى، وذلك لكي تضمن سلامة الملاحة في الخليج مستقبلاً، وإعادة الهيبة للأسطول البريطاني(٣٩).

ومن مجمل الأهداف البريطانية يتضح أن القضاء على ما تسميه بريطانيا «بالقرصنة» لم يكن الهدف الوحيد لتصفية حساباتها مع القواسم الذين أظهروا احترامًا لإتفاقية عام ١٨٠٦م، لذلك يمكن القول أن الهدوء الذي تلى توقيع

---

(٣٨) أحمد عبيدلي: لحملة العسكرية على رأس الخيمة ١٨١٩ - ١٨٢٠، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣١، رمضان ١٤٠٢هـ - يوليو ١٩٨٢م جمعة الكويت.

(٣٩) لوريمر: المرجع السابق، ص ٩٩٣.

اتفاقية عام ١٨٠٦م، كان هدوءاً مسلحًا لابد أن ينتهي في يوم من الأيام، ولقد تلت تلك المرحلة، مراحل كثيرة امتدت من عام ١٨٠٧م إلى عام ١٨١١م من أهمها حملة ١٨٠٩م – ثم مرحلة أخرى امتدت من عام ١٨١١م إلى عام ١٨١٩م، فكانت كلها مراحل أكثر مرارة في تاريخ ذلك الصراع.

لقد ضاقت بريطانيا ذرعًا باستعدادات القواسم وتحفزهم باستمرار لرد أي عدوان بريطاني محتمل عليهم، ومواجهته بعنف وضراوة، الأمر الذي جعل السلطات البريطانية بالهند تتخذ قراراً بشن حملة تكون أكثر شراسة وعنفًا لكسر شوكة القوى البحرية المتطورة للقواسم، إلا أن السلطات البريطانية سرعان ما قررت تأجيلها بسبب اضطراب الأوضاع في الهند، وعندما استقرت الأوضاع في الهند وساد فيها الهدوء، عادت بريطانيا تجمع المعلومات مرة أخرى وبشكل مكثف لإعادة ترتيب الأوضاع في الخليج، تمهيداً لإعداد حملة قوية تتمكن بموجبها من كسر شوكة القواسم ووضع حد لنشاطهم الذي بات يهدد المصالح البريطانية أكثر من أي وقت مضى، وفي ظل هذه الظروف أصدر الحاكم العام في الهند أوامره بإعداد حمل عسكرية يكون هدفها الرئيسي تدمير القوى البحرية للقواسم، وإطلاق سراح الرعايا البريطانيين، والعمل على إعادة سيطرة السيد سعيد سلطان مسقط على بعض المناطق التي انتزعها منه القواسم في خليج عمان، وكان من أهداف الحملة أيضًا حماية السيد سلطان عمان من قوة ابن سعود، ورغم أن بريطانيا عملت على تجهيز حملة قوية لمحاربة القواسم، إلا أنها كانت ترمي في نفس الوقت إلى التوصل لوضع تسوية ودية مع القواسم، لأنها ربما اقتنعت بأن الحرب المستمرة مع القواسم قد لا تأتي بنتيجة حاسمة لهذا الصراع الطويل وربما اقتنعت أيضًا بقوة شكيمة القواسم واستعدادهم لحرب قوية قد تجر أطرافًا أخرى في هذا الصراع مثل فرنسا وألمانيا وتركيا، وبذلك تتبدد آمال بريطانيا الرامية إلى وضع يدها بصورة مستديمة في منطقة الخليج، وكان من أهداف بريطانيا أيضًا

تجهيز هذه الحملة، والحصول على معلومات طبوغرافية كافية عن المنطقة كلها، بالإضافة إلى رصد كامل لموانئ القواسم بصفة خاصة، وفي نفس الوقت الذي بدا فيه إعداد الحملة وتجهيزها بصورة مناسبة كان التفكير البريطاني يجري على قدم وساق لاختيار جزيرة استراتيجية على الساحل المجاور للقواسم لاتخاذها قاعدة بحرية أو مقراً لمقيمية بريطانيا(٤٠).

تحركت الحملة من بومباي في ١٤ سبتمبر من عام ١٨٠٩م، وهي الحملة المعروفة في تاريخ هذا الصراع بحملة عام ١٨٠٩م، ووصلت إلى مسقط في ٢١ أكتوبر من نفس العام، وكان السيد سعيد سلطان مسقط متخوفاً من النتائج التي قد تترتب عليها مجريات الأمور في حالة وقوع الحرب مع القواسم، وذلك لعدة أسباب منها:

كان في اعتقاده أن هذه الحملة قد أعدت على عجل، وقد رأى صغر حجمها، وضعف إمكانياتها، وثانيا كان يتابع عن كثب استمرار استعدادات القواسم وتأييد ابن سعود المستمر لهم.

ومهما يكن من أمر فإن الحملة التي تحركت من مسقط في الخامس من نوفمبر من نفس العام ١٨٠٩م، وصلت إلى رأس الخيمة في الحادي عشر من نفس الشهر، حيث دارت معارك برية وبحرية انتهت باحتلال وسط المدينة - رأس الخيمة - ورفع العلم البريطاني على منزل الشيخ، وأعمال الحرق والسلب والنهب، ولكن وبينما كانت الأحداث تتابع على ذلك النحو، وصلت أنباء عن تدافق أعداد كبيرة من المقاتلين العرب للانضمام إلى صفوف المقاتلين القواسم، الأمر الذي أزعج جنود الحملة وقادتها، وخشيت بريطانيا من وقوع نكسة تطيح بكل آمالها، فأسرع قائد الحملة بإصدار أوامره بالانسحاب والفرار خوفاً من الاحتكاك مع قوات ابن سعود، فانسحبت الحملة بعد أن هاجمت أماكن متفرقة لم تؤدي إلى نتيجة مرجوة، ثم توقفت العملية الحربية والبحرية بعد معارك عنيفة(٤١).

---

(٤٠) Berrely, Ler Golfe persigue, 38.

(٤١) Miles, Samuel, Op. Cit, p. 108 Seq.

وفي أعقاب هذه الحملة تميز نشاط القواسم البحري بالهدوء، وذلك لتعبئة القوى وتجديد الأسطول وسفنه التي أنهكتها الحملات المتواصلة، وازداد تبعًا لذلك ازدياد نشاط القواسم وتحركهم وتتبعهم للسفن البريطانية ومهاجمتها في المحيط الهندي، فوصلوا بنشاطهم ومغامرتهم إلى مسافة قريبة من بومباي، وتوالت الأحداث بعد ذلك ليشهد الخليج أخطر هجوم قاده القواسم، وكان موجهًا ضد السفينة التجارية منييرفا – Minerva(٤٢)، والتي كانت في رحلتها من بومباي إلى بوشهر حيث تم اعتراض سبيلها بالقرب من جزيرة قيس، وبعد مطاردة استمرت لمدة يومين تم اقتحامها والصعود على ظهرها، كما تم سحب السفينة إل رأس الخيمة حيث ركب عليها عشرون مدفعًا وضمت إلى الأسطول القاسمي(٤٣).

ومن خلال مما تقدم يمكن القول أن حملة عام ١٨٠٩م كانت وبالاً على بريطانيا، لأنها لم تحظ بأي نصر حاسم، كما أنها لم تتمكن من الحصول على إعتراف القواسم بالهزيمة، ولم تحصل منهم على تعهد بوقف نشاطهم في المستقبل، كما لم تتمكن الحملة من عقد معاهدة مع القواسم نظرًا لخضوعهم لابن سعود(٤٤). وهو الأمر الذي اتضح بعد المساعدات القيمة التي قدمتها قوات ابن سعود ضد القوات المشتركة، كما أن من الأسباب التي جعلت بريطانيا لا تتمكن من عقد معاهدة مع القواسم هو أن الأمر يتطلب توغل القوات المشتركة في الداخل حيث انسحب لقواسم وهو الوضع الذي سيكلف القوات المشتركة المزيد من العمليات العسكرية في البر، ومن نتائج هذه الحملة البارزة أيضًا عدم قدرتها على تدمير الأسطول القاسمي، وقد كان ذلك من أبرز أهداف الحملة، ذلك أن معظم سفن القواسم تم إخفاؤها في الخلجان العميقة في الجانب الغربي من شبهه جزيرة

(٤٢) السيابي، سالم حمود، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، مراجعة أحمد التدمري، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، دمشق، ص ٨٨ وما بعدها.

(٤٣) Kelly, Britain and the persian Gulf, p. 144., Buckingham, Op. Cit., p. 236.

(٤٤) Kelly, Op. Cit. p. 121.

مسندم، وهي غير معروفة للبريطانيين يضاف إلى ذلك أن كثيراً من سفن القواسم كانت تقوم بمهمات بعيدة في البحر الأحمر وسواحل أفريقيا الشرقية(٤٥).

لقد اتضح لبريطانيا جليًا مدى ارتباط القواسم بابن سعود، وكانت قمة مظاهرة النجدة التي بعثتها الدرعية لنصرة القواسم، وأن الدكتور جمال زكريا قاسم(٤٦) يذكر أن من نتائج الحملة أنها وجهت ضربة قوية للسعوديين في شيناص حيث تم تحييدهم في النزاع بين بريطانيا والقواسم واستدل على ذلك بالخطاب الذي أرسله الإمام السعودي سعود بن عبدالعزيز إلى المقيم البريطاني في الخليج والذي فيه تأكيد بمنع إتباعه من مهاجمة السفن البريطانية، إلا أنني لا أميل إلى هذا الرأي، لأن هذا الخطاب مشكوك فيه وأخلص إلى القول في هذا الجانب أنه اتضح تماماً مدى الثقل الذي تمثله الدرعية في سياسات المنطقة، ذلك أن السيد سعيد أرسل في صيف ١٨١٠م، للحكومة البريطانية في الهند يطلب مساعدتها ضد الدولة السعودية، لكنها رفضت ذلك، بل طلبت منه بأن لا يشير في أي ردود إلى صلته بالحكومة البريطانية، بل أكدت عليه أن يسالم السعوديين طالما ذلك متفق مع استقلالية وأمن مسقط(٤٧) وهو الأمر الذي جعل سلطان مسقط يتجه إلى فارس للحصول على مساعدة منهم، فأمدوه بمدفعية خفيفة يديرها بعض الروس اللاجئين، إضافة إلى طائفة من الجند، وقد قاتل بهم السيد سعيد ضد قوات ابن سعود في الباطنة، لكن مطلق المطيري هزمهم وصالحهم على مبلغ (٤٠,٠٠٠ ريال)، ويلاحظ أن تورط السيد سعيد بالصراع مع ابن سعود لم ينقذهم منه إلا تقدم القوات المصرية – التركية إلى نجد بعد ذلك بعامين(٤٨).

(٤٥) Low, History of the Indian Navy, p. 336.

(٤٦) جمال زكريا قاسم ن دولة بو سعيد، ص ١٦٩.

(٤٧) Miles, Op. Cit, p. 381.

جمال زكريا قاسم، دولة آل بوسعيد، ص ١٥٠ أنظر أيضاً: عرض المملكة العربية السعودية، مجلة الأساس، ص ١٢٩، اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند. أنظر كذلك جمال زكريا: الخليج العربي دراسة لتاريخ الخليج، ص ٣١١.

(٤٨) Kelly, Ibid, p. 130.

ومن النتائج التي ترتبت عليها حملة عام ١٨٠٩م، أن هذه الحملة أضعفت السيد سعيد، وأدت إلى تدهور موارده العسكرية وضعف نفوذه في المنطقة(٤٩). وقد اضطر أن يترك المنطقة الشمالية من عمان والمنطقة الغربية من الباطنة للدولة السعودية(٥٠). كما يمكن اعتبار المعارك التي دارت بين ابن سعود والعمانيين في نتيجتها نكسة شديدة على معنويات العمانيين وسمعتهم الحربية(٥١). كذلك فشلت الحملة فشلاً ذريعًا في تحقيق جملة أهداف كانت من وراء إرسال هذه الحملة من الهند إلى الخليج يمكن أن نحملها فيما يلي:

١ – لم تقم الحملة بعملية المسح الطبوغرافي الشامل المطلوب منها.

٢ – لم تتمكن من إنشاء القاعدة البريطانية في الخليج.

٣ – لم تستطع الحملة أن تنفذ التعليمات الخاصة بعدم الاحتكاك بإبن سعود.

٤ – تم إرجاء فتح دار المقيم البريطاني في مسقط.

٥ – لم يتمكن الانجليز وأتباعهم من تنفيذ قرارهم الخاص بمنع تصدير الأخشاب إلى المنطقة للحيلولة دون بناء السفن، ذلك أن القواسم تمكنوا من الحصول على الأخشاب من طرق أخرى.

٦ – اتجاه حكومة الهند إلى الدبلوماسية بعد فشل الأسلوب العسكري في محاولة منها لامتصاص رد الفعل السعودي، فكانت المراسلات السعودية البريطانية قبيل الحملة الثالثة ١٨١٦م.

لقد شهد العامين التاليين لحملة عام ١٨٠٩م هدوءاً في النشاطات القاسمية، ذلك أن طرادا شركة الهند الشرقية بينارس وبرنس أوف ويلز كانا مرابطين في الخليج العربي والساحل العماني(٥٢)، ويبدو أن الرأي السائد في بومباي في تلك

---

(٤٩) Ibid

(٥٠) عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي وص ٢٧ وأنظر كذلك: لوريمر، دليل الخليج، ج٥، ص ٢٤٩٥. = أنظر: Bombay: op. Cit., p. 307.

(٥١) I.O.R.L./p.s/6/172: Aletter to the Cont of Cont of Directors - London, dated 16 - 4 - 1814.

(٥٢) I.O.R.L: Aletter to the Cont of Directors - London dated 22 - 8 1815. See alsio: Buckingham, p. Cit., p. 245.

الفترة، أن القواسم أصبحوا غير قادرين على العودة إلى فعالياتهم البحرية، إلا أن الأعوام التي تلت فترة الهدوء شهدت توهجًا في الشاطات، مما جعل الاعتقاد يميل إلى أنهم استعادوا قوتهم حيث تم تأسيس أسطول قوي لهم، إما عن طريق بناء السفن أو شرائها، إضافة إلى قيامهم ببناء قلاع جديدة وبناء على ذلك فقد امتدت الهجمات القاسمية إلى ساحل كوتش والسند، كما قام القواسم بتدمير العديد من المراكب الكبيرة والصغيرة التابعة لموانئ البصرة وكونجون، ولم تنج السفن الملاحية التي ترفع العلم البريطاني من تلك الهجمات، واستطاعت السفن القاسمية أيضًا أن تجبر عددًا من السفن على البقاء في مياه بور بندر (Pore Bunder) دون حراك أو ممارسة لنشاطاتها التجارية(٥٣).

لقد أدى النشاط البحري من جانب القواسم «الجهاد القاسمي» إلى محاولة بريطانيا زيادة نشاطها واستعدادها لدفع هذا الخطر المستمر على الوجود البريطاني والمصالح البريطانية على طول تلك المنطقة من المحيط الهندي غربًا إلى شرق آسيا شرقًا، وتعزيز قواتها باستمرار.

فاتجهت حكومة الهند إلى إعداد العدة من جديد لتوجيه ضربة قاسية للقواسم، خاصة وأن ظروف المنطقة عامة كانت تساعد على ذلك، لذلك أرسلت بريطانيا حملاتها المستمرة خلال الفترة من ١٨١١م - ١٨١٩م، وتمكنت بعد معارك شرسة من تدمير رأس الخيمة، بعد أن صمد القواسم كثيرًا. وتم توقيع عدة معاهدات كان آخرها سنة ١٨٢٠م، لكنها شملت كل مشايخ المنطقة، وبذلك تمكنت بريطانيا من توطيد نفوذها السياسي في الخليج واستمرت تعمل على تأكيده طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

---

(٥٣) I.O.R.L./6/172, Aletter to the Count of Directors - London dated 16 - 4 - 1814.

تذكر تلك الوثيقة تبريرًا لعدم وجود سفن قاسمية، أنه قبل وصول القوة إلى بوربندر عادت السفن القاسمية إلى الخليج معتزمة العودة في الموسم التالي.

لذلك لابد من الإشارة ولو بشيء من الإيجاز إلى أن الفترة التي تلت حملة سنة ١٨٠٩م، كانت متوافقة مع الهجمات التي تعرضت لها الأطراف الغربية للدولة السعودية من قبل الجيوش المصرية والتركية، وهو الأمر الذي حفز السعوديين حلفاء القواسم إلى انتهاج سياسة تتفق مع متطلبات الأوضاع الحالية حيث رغب الإمام السعودي في مسالمة مختلف القوى في الخليج بهدف التأكد من إغلاق كافة الجبهات، والتفرغ للخطر الذي تتعرض له البلاد من الغرب.

وفي سنة ١٨١٤م حاول السيد سعيد أن يحصل من حكومة بومباي على معونة من خلال حلف هجومي - دفاعي، إلا أن السلطات البريطانية في الهند رفضت تفسيره للإتفاقيات المعقودة بينها وبينه على أساس أنها حلف، ووجهت السيد بروست بالسير مع الحملة من أجل تحقيق الأهداف المشار إليها. ونصحت السيد سعيد بقبول حالة السلم مع ابن سعود إذا كان لا يتعارض مع استقلال وأمن مسقط(٥٤)، كما سبق القول.

وفي بداية سنة ١٨١٤م استولى القواسم على عدد من السفن التي كانت تسير بالقرب من كاثياورا على الساحل الهندي، عند ذلك صدرت الأوامر إلى ثلاثة من الطرادات للبحث عن القواسم وتحذيرهم من القتراب من المياه الهندية(٥٥). وقد اندفع القواسم في شن هجماتهم على السفن الانجليزية دون الاهتمام بالاحتجاجات التي قدمتها السلطات البريطانية، مما اضطر الانجليز إلى إصدار التعليمات لسفنهم الحربية بمصاحبة سفن الشركة خلال رحلاتهم المختلفة، ومهاجمة سفن القواسم للإيقاع بها وتدميرها أو الاستيلاء عليها، لكن هذه الإجراءات لم يكن لها أي جدوى من منع القواسم في مواصلة نشاطاتهم، بالرغم

---

(٥٤) Miles, op. Cit., p. 321.

(٥٥) I.O.R.L./p+s/6/173, Aletter to the Count of Directors - London, dated 18 - 12 - 1816.
Miles, op. Cit. pp., 345-6.

من أن بعض السفن الانجليزية نجحت في الإيقاع بهم عدة مرات ما بين عام (١٨١٥ - ١٨١٩م).

شملت هجمات القواسم منطقة واسعة في الخليج العربي والبحر الأحمر والمياه الهندية، وكانت في البدء مركزة على السفن الوطنية أولاً ثم امتدت لتشمل السفن التي تحمل العلم البريطاني. لقد كان هذا النجاح الذي أحرزته القوى القاسمية حافزاً لمعظم موانئ الخليج الأخرى لتسلك مسلكهم حيث أبدى شيخ خارك رغبته في الاتصال برأس الخيمة، كما أن شيخ البحرين أبدى رغبته في أن يسلك نفس مسلك القواسم. وواصل القواسم نشاطهم الحربي طيلة أعوام ١٨١٤ و١٨١٥م، حيث هاجموا من القوارب الصغيرة، وهاجموا السفينة دريا دولت وهي سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية، كما هاجموا سفن تابعة لجنسيات أخرى، مثل الهجوم على السفينة فارس، وهاجموا السفينة ماكولاي وسفينة فرنسية صغيرة كانت في طريقها من جزر مورشيوس إلى البصرة، بالإضافة إلى الهجوم على السفينة الأمريكية سنترا(٥٦).

لقد دفعت هذه الهجمات الجريئة التي قام بها القواسم على السفن البريطانية حكومة الهند إلى التفكير في إرسال حملة جديدة إلى رأس الخيمة بقيادة برجز Brges، وكان ذلك في عام ١٨١٦م، إلا أن هذه الحملة لم تحقق أي نتيجة تذكر، لأن القواسم شنوا بعد هذه الحملة هجوماً كبيراً على بعض السفن على ساحل كتسن حيث استولوا على ١٢ سفينة. وفي فبراير ١٨١٧م هاجمت سفينة قاسمية إحدى السفن التابعة لحكومة بومباي، وقد تم أسرها بالقرب من بور بندر حيث قتلوا ١٧ من بحارتها وتم أسر الباقي(٥٧). وقد أحدث ذلك النشاط الرهيب

---

(٥٦) لوريمر: دليل الخليج العربي، ج١، ص ٣٠٢ز
جمال زكريا: الخليج العربي، ص ٣٢٦.

(٥٧) Kelly, op. Cit., p. 366./Bel graner, op. Cit, p. 37.

للقواسم قلقًا بالغًا لدى السلطات البريطانية في الهند وكان ابن سعود قد احتج لدى الانجليز الذين ضربوا رأس الخيمة في حملة ١٨١٦م، فأرسل الإمام عبدالله بن سعود رسالة احتجاج قوية إلى المقيم في بوشهر الكولونيل بروس Bruce يحتج فيها على مثل هذه العمليات التي تتعارض مع الاتفاقيات التي عقدها زعماء رأس الخيمة مع البريطانيين[٥٨].

في عام ١٨١٨م شكل وجود القوات المصرية والتركية في الجزيرة العربية دافعًا للقواسم للتفكير في تعزيز قواتهم وتحصيناتهم. وقد كانت فترة التوهج والنشاط الكبير الذي اتسم به القواسم في مواجهة القوى البحرية البريطانية في خلال الفترة ما بين عام (١٨١٠م إلى ١٨١٨م) قد أجبر ذلك الحكومة البريطانية على التفكير بشكل جدي في إعداد حملة عسكرية كبرى ضدهم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا التفكير لم يكن وليد اللحظة في عام ١٨١٨، وإنما كان ذلك منذ ديسمبر سنة ١٨١٦م، عندما كتب نيبين إلى الحاكم العام بشأن استخدام القوة للقضاء على قوة القواسم البحرية بشكل نهائي، وربما كان الذي عجل بالتفكير الجدي في ذلك هو سقوط الدولة السعودية الأولى مما أتاح الفرصة أمام بريطانيا للقيام بعملية حازمة ضد قوى القواسم المتزايدة[٥٩].

وخلاصة القول، أن بريطانيا أعدت حملتها المعروفة باسم معركة رأس الخيمة عام ١٨١٩م، والتي استمرت لمدة ستة أيام وتدل أحداثها أنه على الرغم من عدم تكافؤ القوى على الشجاعة الفائقة التي بذلها القواسم للدفاع عن مدينتهم، إضافة إلى القوى المهاجمة التي استنزفتها بريطانيا في هذه الحملة، الأمر الذي يدلل على مدى تقدير بريطانيا لقوة القواسم.

(٥٨) عبدالعزيز عبدالغني، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، ١٩٧٥، ص ٢٠، أنظر كذلك: لوريمر – دليل الخليج، ج٢، ص ١٠٢٦ ١٠٢٧. See also: Kelly, op. Cit., p. 126. أنظر كذلك: عبدالعزيز عبدالغني، المرجع السابق ص ٢٠٠.

(٥٩) S.R.B.G., vol. 24, p.p. 80 أنظر كذلك: عبدالعزيز عبدالغني – المرجع السابق، ص ٢٠٠.

وقد تمخض عن حملة ١٨١٩م نتائج سياسية وعسكرية كانت بداية لتكريس الهيمنة البريطانية على الساحل العربي للخليج، إذ بعد هذه الحملة بدأت تتبلور السياسة البريطانية والإشراف البريطاني على سير الأمور في المنطقة.

وبخلاف كون الحملة أجهزت على قوة العرب في الخليج في تلك الفترة، وألغت بذلك أية محاولات لغزو عمان براً وبحراً فإن أهم النتائج التي تمخضت عنها الحملة ما يلي:

١ - تكبيل شيوخ المنطقة بعدد من المعاهدات الخاصة والمنفردة التي مهدت للإتفاقية العامة التي وقعت في عام ١٨٢٠م.

٢ - القيام بمسح المنطقة ووضع خارطة للشاطئ العربي من الخليج رؤوسه وخلجانه.

٣ - إنشاء قاعدة عسكرية مؤقتة في المنطقة.

٤ - عمليات المراقبة العسكرية البحيرية من خلال ما يسمى بالقوة البحرية المتجولة.

٥ - تعزيز التدخل السياسي في المنطقة من خلال إنشاء الوكالة السياسة في الخليج.

وقد حرصت بريطانيا على التعامل مع شيوخ القبائل كل على حدة معتبرة أن كل شيخ يمثل كياناً مستقلاً هادفًا من ذلك تكريس التجزئة السياسية من أجل الحيلولة دون قيام اتحاد بينهم. ومن أجل ذلك عمدت بريطانيا على إجبار شيوخ القبائل على توقيع معاهدات معها تتناول هذه المعاهدات الإجراءات العملية المناسبة لكل مشيخة من المشيخات. وقد وقع هذه المعاهدات كل من شيخ رأس الخيمة - أبوظبي - دبي - الشارقة، أم القوين... وخلال الفترة من ١٥ يناير ١٨٢٠م. وكانت الأهداف الرئيسية للإتفاقيات تتبلور حول... تسليم السفن والبراج والمدافع على أساس وعد باستمرار عمليات الغوص على الؤلؤ وصيد الأسماك وإطلاق سراح الأسرى الهنود(٦٠).

وقد نصت المعاهدة المعقودة مع سلطان بن صقر والتي وقعها بتاريخ ٦ يناير ١٨٢٠م على أن يسلم سلطان بن صقر إلى الجنرال وليام جران كير كل الحصون والمدافع والمراكب في كل من الشارقة وعجمان وأم القوين وتوابعها. وفي مقابل ذلك يترك الجنرال للقواسم القوارب الخاصة بصيد اللؤلؤ وقوارب صيد السمك كما أن على سلطان بن صقر أن يسلم الأسرى والهنود إذا كانوا عنده، وعلى الجنرال أن يمنع جنوده من دخول المدن وتخريبها وإذا تم التزام سلطان بن صقر بهذه الأمور فإن له الحق في الدخول في معاهدة الصلح مثل بقية (العرب الأصدقاء المتعاهدين)، كما أنه في هذه المعاهدة سوف تنتهي جميع العداوات بين الجنرال وسلطان بن صقر وأتباعه[٦١].

ويلاحظ أن هذه المعاهدة قد حصرت سلطة السلطات القاسمي على الشارقة وعجمان وأم القوين وتوابعها فقط. إلا أن كل الاتفاقيات التي أبرمتها بريطانيا مع شيوخ الخليج صارت الأساس الذي ارتكزت عليه الهيمنة السياسية والاقتصادية البريطانية على أقطار الخليج العربي، وتحددت بموجبها علاقات بريطانيا بهذه المعاهدات باعتبارها جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه من إمبراطوريتها في الهند.

وأخلص إلى القول في هذا الشأن إلى أن بريطانيا ما كانت لتنجح - أخيراً - في محاولاتها الجادة لإحكام سيطرتها على المنطقة لولا توفر ظروف أسهمت وساعدت في تمهيد الطريق لها، لتحقق من خلالها ضغوطها العسكرية والدبلوماسية تسخير قدرات الخليج لها، إدعاء بمحاربة (القرصنة) وتحقيقاً لما ادعته لحفظ الأمن وتطوير إمكانات أهله مع أننا نعلم أن بريطانيا لم تستطع أن تفسر لماذا اشتهر نشاط القواسم وغيرهم من العرب مع مجئ القوى الأوروبية وليس قبل ذلك؟ وذلك يدحض ادعاءاتهم بأن الأسباب الاقتصادية هي التي أدت إلى ممارسة القواسم لنشاطهم الذي أسموه «بالقرصنة». ويمكن أن نطرح سؤلاً: هل حدث تغيير في النمط الاقتصادي إلى الأسوأ؟ ولماذا لم يطلع البريطانيون وغيرهم

على التفوق الاقتصادي الذي كان القواسم وغيرهم من سلطان الساحل الخليجي يتميزون به، وهو التفوق الذي كان سبباً لقيام الحملات البريطانية ضده من أجل سلبه من القواسم، كما أنه كان سببًا لكثير من الحملات القاسمية ضد السفن البريطانية التي حاولت امتصاص هذا التفوق لصالحها.

نعود لجملة الأسباب التي أدت إلى نجاح بريطانيا أخيراً ونذكر منها ما يلي:

١ - الضعف العام الذي عانت منه الخلافة الإسلامية، مما أدى إلى افتقاد العالم الإسلامي لقوة عسكرية إسلامية كبرى تقف في وجه الطلائع الاستعمارية.

٢ - الانحلال العام في التكوين الوحدوي للقبائل العربية في الخليج العربي، إضافة إلى كثرة المنازعات والحروب القبيلة، وهو أمر أدى إلى فتح المجال للنفوذ البريطاني للبروز في الثغرات التي تسفر عنها النزاعات إيحاء بتحقيق «الأمن والسلام الخليجي» كما تدعيه.

٣ - مقابل التطور في المقدرات العسكرية البريطانية شهدت التكوينات القبلية العربية في المنطقة ضعفاً في نظامها العسكري، وهو أمر أسهم بسقوطها.

٤ - إن المواجهة التي قادها الحلف القاسمي ضد المحاولات البريطانية لغزو المنطقة ساعدت في تأجيل خضوع المنطقة لهذه المحاولات لمدة ليست بالقصيرة، بدءاً من أول مواجهة بين الطرفين إلى سنة ١٨٢٠م، عندما تمكنت بريطانيا من عقد معاهدة السلام.

٥ - أن القواسم يفتقدون القدرة السياسية التي تساند المقدرة العسكرية، ومن هذه الثغرات نفذت بريطانيا عن طريق معاهداتها للسيطرة على المنطقة.

٦ - لكننا يمكن أن نخرج من هذا الصرع الطويل إلى القول والتركيز على أهمية الخليج، وهي أهمية لم تكن وليدة الساعة بالنسبة لاهتمام الدول الأوروبية في العصر الحديث، وإنما حظي بالأهمية منذ أقدم العصور، وهذه الأهمية لم تلق عناية الباحثين الذين ركزوا فقط على عصره الحديث متناسين الدور العظيم الذي

مارسه الخليج في نقل الحضارات الهندية إلى مناطق الشرق الأدنى القديم. ويضاف إلى ذلك أن تاريخ الخليج تاريخ متشابك في أحداثه مؤثر بعضه في بعض وهي تأثيرات أدت في بعض فترات التاريخ إلى حدوث تقارب أو تنافر في تكويناته السياسية. مما أدى إلى إيجاد نوع من التحالفات البسيطة في المنطقة مثل تحالف القواسم مع الملا على شاه والتي استمرت لبعض الوقت. كما أن صيغة العلاقات السعودية - القاسمية، صيغة فريدة، فقد كان القواسم خاضعين للدولة السعودية، تبعاً لمعاهدة سنة (١٧٩٩م) وقد أعطوا من قبل السعوديين وضعاً متميزاً فلا يمكن مقارنتهم بأي منطقة أخرى امتد لها التوسع السعودي، ذلك أنه من الممكن أن يكون لموقعهم وعلاقاتهم الخارجية المتعددة دور في ذلك، وكان لتطور هذه العلاقات الدور الكبير في تهديد المصالح البريطانية في المنطقة كما أنها أدت بشكل واضح إلى توحيد الجهود العمانية - البريطانية.

٧ - لقد كان القواسم خلال هذا الصراع الطويل والمرير، يرون في عملياتهم البحرية الحربية ضد بريطانيا بأنها نوع من الجهاد الديني، وقد تأصل ذلك بعد ترحيبهم بالدعوة السلفية. وفي مقابل هذا التوجه حاربت بريطانيا القواسم تحت شعار محاربة القرصنة.

٨ - وفي الختام يمكننا القول بأن قوة القواسم لم تكن قوة بحيرية فقط، إذ تمتع القواسم بقوة برية كبيرة، وإن كانت الصفة البحيرية غالبة على نوعية القوة لديهم نظراً لتوجيه معظم القبائل المنتمية للحلف - فضلاً عن الزعامة القاسمية ذاتها نشاطها بحراً. كما ثبتت أيضاً أن تمتع القواسم بهاتين القوتين (البحرية - والبرية) كان منذ زمن مبكر. وقد وضح في الدراسة أيضاً أن التنظيم الحربي للقواسم لم يكن أمراً يستهان به، من جهة تنوع القوة أو من حيث الأساليب الحربية أو التسلح.

الخاتمة:

إن الحديث عن هذه الحقبة الهامة من تاريخ الخليج العربي - تاريخ القواسم - تعد الجذور الأصلية لجميع الأحداث التي مرت بمنطقة الخليج العربي - فالوجود البريطاني في منطقة الخليج لم ترس دعائمه إلا بعد أن نجحت بريطانيا في كسر شوكة القواسم الحربية وفي تقييد شيوخ الساحل العماني بمعاهدات ساهمت في إضعاف القوى العربية المحلية وفي تحويلها إلى قوى هامشية تكتسب سلطتها ونفوذها من الوجود البريطاني ذاته! حتى باتت منطقة الخليج كما يصفها بعض الساسة الإنجليز «بحيرة بريطانية».

ولعل من أهم النتائج التي يمكن استنتاجها من خلال القراءات السابقة :

- إن من أهم عوامل التقارب السعودي القاسمي والتي لم يشر لها في المراجع هو اتحاد مذهب كل منهما، فالسعوديون والقواسم يعتنقون المذهب السني في حين أن هذه المنطقة تشهد تباين في المذاهب ففيها المذهب الأباضي - في عمان - وفيها المذهب الشيعي - في الإحساء والبحرين.

- يمكن اعتبار الحملة البريطانية ١٨٠٥م هي أولى خطوات السيطرة البريطانية بالقضاء على القوى المحلية في المنطقة، فقبل هذا التاريخ كانت بريطانيا تسعى لفرض سيطرتها على منطقة الخليج بمحاربة القوى الأجنبية الأخرى (ففي عام ١٦٥٠م طردت البرتغاليين من هرمز وفي عام ١٧٦٥م انفردت بالخليج بعد طرد الهولنديين) أما بعد هذا التاريخ - ١٨٠٥م - فقد أصبحت بريطانيا تسعى لهذه الغاية بفرض سيطرتها على القوى المحلية العربية.

- أن الحرص البريطاني في الحصول على الدعم من قوات محمد على باشا أو

الدعم العُماني للقضاء على قوة القواسم في حملة ١٨١٩م جاء تحقيقًا لأهداف سياسية أكثر منها أهداف عسكرية فبريطانيا كانت ترغب في عدم إثارة الدول الأوروبية الأخرى بالظهور بمظهر المنفرد بأوضاع المنطقة لذلك سعت إلى تغطية أطماعها بستار محلي عربي.

● إن مزاعم بريطانيا بأن وجودها في المنطقة بدافع المحافظة على الأمن والاستقرار فيها ظهر زيفًا في حالتين الأولى: حينما تخلت عن سلطان مسقط وجعلته يواجه القوات السعودية منفردًا والثانية: حينما اكتفت بالتزام الصمت أمام الخلاف القائم بين مشيختي الشارقة وأبوظبي والذي امتد أكثر من عشر سنوات والذي نتج عنه اضطراب الملاحة في المنطقة مما أدى بدوره إلى سوء الأحوال الاقتصادية للسكان المحليين.

● إن معاهدة ١٨٢٠م تعد الركيزة الأساسية للوجود البريطاني واللبنة الأولى التي بني عليها هذا الصرح الاحتلالي، فبنود هذه المعاهدة - المشار إليها سابقًا - فرضت قيود شديدة على الحكام المحليين حتى أصبحوا أداة طيعة في يد الحكومة البريطانية.

● إن التواجد البريطاني بعد معاهدة ١٨٢٠م بلغ درجة كبيرة من القوة والثبات جعلته يستمر ما يقرب من قرن ونصف من الزمان حيث أنه زال تمامًا مع عام ١٩٧١م، فقد حصلت بهذا التاريخ الأقطار الخليجية على استقلالها وإن كانت المنطقة تعيش في الوقت الحاضر صورة أخرى من الهيمنة الأجنبية متمثلة في النفوذ الأمريكي فإن هذا النفوذ لم تقم له قائمة إلا بالمشورة البريطانية.

● إن أعمال القواسم ضد السفن البريطاية ليست قرصنة كما أنها ليست جهادًا في الوقت ذاته إنما هي أشبه ما تكون بـ (هجمات أو نشاط أو أعمال) بدوافع اقتصادية ودينية وسياسية، ولتفصيل هذا الرأي لابد من الإشارة إلى أن حركة القواسم قد أخذت أبعادًا مختلفة في المراجع الأجنبية والعربية ولإيضاح

ذلك أسرد ما توصلت إليه في هذا التحليل الشامل للآراء المختلفة تأكيداً على صحة هذا التحليل: ما نعت المؤرخون الغربيون «القرصنة» حتى لم تكن كتاباتهم تخلو - من هذه العبارة التي تحمل في طياتها - لديهم أعمال السلب والنهب وحتى القتل ولعلهم بالغوا في تقدير أعمال القواسم حتى صدقوا أكذوبتهم الزاعمة بأنهم قد أنقذوا أهالي منطقة الخليج من هذه المهنة - أي مهنة القرصنة - التي تهدد الاستقرار السياسي والتجاري للمنطقة، ويطلق لوريمر هذا الوصف في كتابه اشترك الكابتن سيتون - الذي كانت التعليمات الصادرة له تتعلق أساساً بمكافحة القرصنة حتى زادت هذه الأعمال زيادة مروعة - في حملة بحرية أبحرت من مسقط.

حتى أن القارئ في هذا الموضوع يجد أن تحليل الغربيون لنشاط القواسم ووصفه بالقرصنة تحليلاً غريباً يظهر النظرية الأوروبية في التعامل مع القوى المحلية العربية فمثلاً نجد أن البريطانيين كما يذكر العقاد يرون أن أعمال البحارة الغربيين ضد بعضهم البعض يعد نوعاً من الحروب الرسمية وليست «قرصنة» أي أنه إذا تم الاستيلاء على السفن المعادية لحساب الدولة فإن ذلك يكون من أمور الحرب المتعارف عليها وإذا استولى عليها أفراد لحسابهم الخاص أصبحت قرصنة كما هو الحال بالنسبة للقواسم ولعلنا نرد على هذا الرأي بما ستتبعه العقاد في كتابه الآخر «الاستعمار في الخليج الفارسي» أن هذه النظرية تحمل في طياتها الكثير من الخطأ خاصة بعد «انضمام القواسم إلى دولة كبيرة كالدولة السعودية.

ولعل تلك النظرية البريطانية تظهر بشاعة الوجه الاحتلالي البريطاني إذا علمنا أيضاً أن الإنجليز كانوا يرون أن القرصنة إذا كانت مدفوعة بواجب قومي وديني فهي عمل بطولي يفتخر به حتى أن الملكة الزابيث قد أطلقت على القرصان البريطاني المشهور «داريك» والمعتبر بطلاً قومياً بالنسبة للإنجليز لقب ملك القرصنة باحتفال كبير بسبب مهاجمته المستمرة للسفن الأسبانية في أعالي البحار

وكان سلب السفن الأسبانية يعتبر عملاً قوميًا فلماذا إذن يعتبر البريطانيون القواسم قراصنة وأعمالهم تلك تشابه معها في الشكل وإن اختلفت في المضمون؟

أما بالنسبة للمؤرخين العرب فقد تذبذبوا في آرائهم حول القواسم فمنهم من سار في ركب الغربيين ووصفوهم بالقراصنة فمثلاً العابد يظهر هذا التذبذب في كتابه نجده يوصف القواسم بالقراصنة فيقول: «كانت القبائل البحرية العربية في الخليج حجرة عثرة وعلى رأس هذه القبائل كان القواسم يتربعون إذ أنهم استطاعوا بقوتهم البحرية العربية أن يكونوا عامل إزعاج للمخططات البريطانية فأخذوا في العمل بالقرصنة التي هددت السفن البريطانية ردحًا من الزمن وأخذت تعد العدة للقضاء على القرصنة فكانت خلال خمسة عشرة عامًا توجه حملات رئيسية على التوالي لم تنجح منها سوى الحملة الثالثة وقضت على الأسطول القاسمي.

ومن الكتاب العرب من نصب نفسه مدافعًا عن أعمال القواسم ونشاطهم على مختلف مراحله باعتبار أن أعمالهم تلك كانت من الحروب الرسمية التي تشنها الدول ضد بعضها البعض كما أن تلك الأعمال أعمال جهادية قام بها القواسم وقد جاء هذا الرأي في ثنايا كتاب محمد عدنان مراد إذ يقول: «أنه من الإنصاف التاريخي أن لا يصفوا – أي القواسم – بالقرصنة بل هم أبطال مجاهدون قاتلوا قتال الأبطال ولم يهبوا المدافع والمراكب الحديثة فهم بقية السيوق العربية المجاهدة وأول من قاتل الاحتلال في العصر الحديث.

هذا باختصار تحليل رأي المؤرخين الغربيين والعرب لأعمال القواسم، أما إذا تتبعنا الموضوع بشفافية متناهية نجد في ذلك رأي آخر تبلور مع صفحات هذا البحث فإذا كان وصف القرصنة لا ينطبق على أعمال القواسم لأنها تهمة غريبة كما ذكرنا (وأنها تتنافى كثير من واقع التاريخ الغربي نفسه فإنها في الوقت ذاته لا أرى أن تلك التصرفات جهادية في جميع مراحل النشاط القاسمي).

ولم يقصد بهذا الرأي التقليل من دور القواسم السياسي في تلك الحقبة أو

دفاعًا عن تلك الهجمات الشرسة التي واجهتها بريطانيا ضدهم في (١٨٠٥ - ١٨٠٩ - ١٨١٩م) بل أقصد به أن يحلل من منظور تاريخي ينطلق من سند الباحث المسلم وهو القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فكون أعمال القواسم بعيدة عن القرصنة وقد تم توضيحها من قبل عدد من المؤرخين ذكرت تحليلاتهم في مواضيع مختلفة أما كون القواسم ليسوا مجاهدين في كل مراحل صراعهم مع الإنجليز فهذا ما سنوضحه في هذه الدراسة.

إذا اعتبرنا أن القواسم أصبحوا مجاهدين منذ أن حالفوا الدولة السعودية الأولى وانضموا إلى لوائها في محاربة القوى الأجنبية والذي بدأ في حوالي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ١٧٩٩م حينما عاهد الشيخ صقر القائد السعودي مطلق المطيري على الدخول في تبعية الدولة السعودية واستمرت حتى عام ١٨٠٦م حينما عقد القواسم معاهدة في هذا العام مع بريطانيا على أثر الحملة التي وجهت ضدهم في عام ١٨٠٥م.

أما لماذا هذا التحديد الزمني وكيف حدد؟. فالجواب هو أن القواسم متى ما عقدوا معاهدة مع أعدائهم ملزمون ببنودها حتى ولو كانت تلك المعاهدات معقودة مع غير المسلمين قال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عادتهم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً أن الله يعلم ما تفعلون»[٦٣]، فالإسلام اعتبر الوفاء بالعهود والمواثيق وتحريم الغدر والخيانة في الظاهر والخفاء من أحكام الإسلام القطعية النافذة على الأفراد والجماعات وليس مجرد مبدأ خلقي يستعمل حينًا ويهمل حينًا آخر حتى تصبح المعاهدة قصاصة ورق.

إذن فأعمال القواسم بعد نقض هذه المعاهدة ليست جهاداً لأنها خالفت في طبيعتها روح الإسلام الصحيحة ومبادئه الوثيقة ولعل ما يزيد هذا الرأي تمسكًا هو الشرط الذي وضع في نصوص معاهدة ١٨٠٦م، وهو أنه في حالة نقض القواسم وخروجهم عن هذه المعاهدة عليهم أن ينذروا السلطات البريطانية برغبتهم تلك

في مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وعلى الرغم من أن عدداً من المؤرخين قد استخفوا عن مضامين الجهاد الإسلامي فهذا الاقتناع أنقله للقارئ متى ما علم بتفسير قوله تعالى « وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين » .

فمضمون هذه الآية أن يصون المسلم عهده ولا يخونه أما إذا خاف الخيانة من عدوه فهو ينبذ العهد القائم بينهما جهرة وعلانية ويصارح عدوه بأنه نفض يده من عهده فليس بينه وبينهم أمان . فالإسلام لا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة ومن ثم فالإسلام لا يحب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة فالنفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ . فكيف يحق للقواسم نقض عهدهم خاصة إذا أضفنا لذلك أن أعداء القواسم « الإنجليز » قد شرطوا عليهم فيالمعاهدة الشروط السابقة .

وعلى أي حال فإنني أدرك تماماً مدى الضغط الاقتصادي وحتى السياسي الذي مارسته الحكومة البريطانية على القواسم وأن تلك السياسة كانت دافعاً إلى قيام القواسم بأعمالهم السابقة .

ورداً لهذا اللبس الذي وصمت به أعمال القواسم (سواء بالقرصنة أو الجهاد) فإنني أميل كل الميل إلى إطلاق عبارة هجمات أو نشاط على أعمال القواسم ضد السلطات البريطانية البحث ومن التحليل السابق أصل إلى قناعة تامة أن القواسم قد جاهدوا أعدائهم إلى معاهدة ١٨٠٦م ثم التزموا بعهد لا يحل لهم نقضه مهما كانت غايته لذلك فأعمالهم التالية بعد هذا التاريخ بعيدة عن الجهاد وهي أقرب ما تكون لهجمات حربية تحقق أهداف اقتصادية وسياسية بالدرجة الأولى .

التنافس البريطاني العثماني
في الخليج
قبيل الحرب العالمية الأولى

الاهتمام البريطاني بالخليج

حرص البريطانيون على توفير الأمان لسفنهم العاملة في الخليج العربي وفي البحر العربي والمحيط الهندي لضمان انتقال المتاجر دون عقبات بين بريطانيا والهند عبر مياه الخليج والمحيط الهندي، ثم ضمان المواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها في القرن الثامن عشر، ومن ثم دخلت بريطانيا في منافسة مع الهولنديين للاستئثار بالنفوذ والعلاقات مع عرب الخليج، ولحماية التجارة والمواصلات البريطانية.

وما دمنا قد وصلنا إلى القرن الثامن عشر وإلى السيطرة البريطانية على مياه الخليج العربي فيجدر بنا أن نشير إلى أن عرب الخليج كانت لهم السطرة على مختلف ألوان النشاط البحري في مياههم خلال القرن الثامن عشر الميلادي والثاني عشر الهجري، حيث مارسوا صناعة بناء السفن والغوص للحصول على اللؤلؤ، كما أداروا حركة الملاحة التجارية بين موانئ الخليج العربي بعضها ببعض، وبينها وبين موانئ شرق أفريقيا والهند، ثم صارت لهم السيطرة على جزر الخليج، وعلى أجزاء مختلفة من الشاطئ الشرقي للخليج أيضاً.

كما يجدر بنا أن نفرق بين نوعين من العمليات البحرية والعسكرية التي قامت بها سفن عرب الخليج، النوع الأول موجه ضد سفن الدول الأوروبية انطلاقاً من كراهية العرب لكل ما هو أوروبي بسبب ما لاقوه على أيدي البرتغاليين من وحشية، وهذا النوع هو ما نسميه بعملية الجهاد البحري الإسلامي. والنوع الثاني من تلك العمليات تلك التي تقوم بها سفن عربية ضد سفن أخرى في الخليج لأسباب عدائية، كالتي تحدث في الصحراء بين القبائل بعضها وبعض أو لمطامع رئيس قبيلة أو تنفيذاً لسياسة قوى أخرى أكبر. ومن العجب أن يطلق الكتّاب الأوروبيون على النوعين من العمليات اسم القرصنة.

وعلى هذا فإننا عند الحديث عن عمليات الجهاد البحري نجد أن السفن البريطانية العاملة بالخليج العربي لم تسلم من تلك العمليات على يد السفن العربية، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فنحن نقرأ قراراً أصدره مجلس مديري شركة الهند الشرقية البريطانية المنعقد في لندن إلى وكيل الشركة في الخليج ما نصه: إذا فشلت جميع الجهود المبذولة لقمع اتجاهات القرصنة - يقصد الجهاد البحري - لدى الإيرانيين والسلطات الأخرى في الخليج في تحصيل تعويضات عن الأضرار الناتجة عن القرصنة، فإن عليكم إبلاغ ذلك إلى الرئاسة لتعرض الأمر على قائد الأسطول الغربي في جزر الهند الشرقية لمحاولة الحصول على المعونة في الظروف والأحوال التي تقتضيها كل حالة بمفردها.

وكان ذلك نتيجة تأثر حركة التجارة البريطانية منذ أوائل القرن الثامن عشر بعمليات الجهاد البحري التي قام بها عرب الخليج والإيرانيون المسلمون، وكان خط الملاحة الرئيسي في الخليج يسير بمحاذاة الساحل الشرقي ولم تغامر سفينة أوروبية بالتوجه إلى القسم الغربي من الخليج منذ خروج البرتغاليين، وكانت تتجنب دائماً هذا الجانب من الساحل لأن القليل هو ما كان يعرف عنه، وكان يعتبر منطقة غير مأمونة.

وكان اهتمام بريطانيا راجعًا لاهتمامها بتأمين طريقها إلى الهند فقد كان الخليج أحد الطرق الموصلة بين أوروبا والهند، وإذا كان البحر الأحمر هو أقصر الطرق باعتبار الطرق أن معظم مسافاته بحرية، وأن المسافة البرية خلاله قصيرة بين السويس والقاهرة، فإن التجارة الأوروبية لم تكن في العهد العثماني المملوكي بمصر بمنأى عن السطو والنهب من قبل المماليك أو قطاع الطرق دون حماية آمنة من المماليك.

أما الخليج فقد استطاعت بريطانيا أن تنشئ لها وكالات تجارية في بلاد الشام والعراق وفارس من أجل حماية المواصلات بين الهند (المستعمرة البريطانية)

وبريطانيا، وإذا كانت شركة الهند الشرقية البريطانية المسؤولة عن إدارة الأمور في الهند غير راغبة في صرف الأموال - كشركة احتكارية تجارية - للتوسع في الخليج، إلا أنه كان يهمها ضمان مرور مواصلاتها عبر الخليج ومن ثم ركزت في هذا السبيل على الوسائل الدبلوماسية.

وكن مجيئ الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م قد بدل خطط شركة الهند البريطانية، فمع اقتناع إدارة الشركة في لندن باستبعاد غزو نابليون لمنطقة الخليج، والوصول إلى الهند، إلا أنها اتخذت خطوة إيجابية لتدعيم الموقف في منطقة الخليج لصالحها وضد الفرنسيين، من ذلك توقيع معاهدة مع سلطان مسقط في ٢ اكتوبر ١٧٩٨م وإرسال مبعوثين إلى إيران والعراق وجدة وتوجيه أسطول بريطاني للسيطرة على مدخل البحر الأحمر عند باب المندب وأسطول آخر يقف أمام سواحل الهند لمواجهة أي احتمال(١).

إن إتفاق البريطانيين مع سلطان بن أحمد حاكم مسقط ليدل بوضوح على قلق السلطات البريطانية من مشاركة دولة أخرى للنفوذ في منطقة الخليج. فقد نص ذلك الاتفاق على اعتراف بريطانيا باستقلال سلطان مسقط، وقيام صداقة بين مسقط وبريطانيا وأن يدفع البريطانيون للسلطنة مبلغ ٢٨٢٠ روبية، نظير أن يتعهد السلطان بعدم السماح للفرنسيين بدخول بلاده. وكان هذا أول إتفاق تعقده بريطانيا مع إحدى مشيخات الخليج العربي وفيه التزمت بريطانيا بتأييد حكام مسقط ضد شعب عمان(٢).

ورغم أن هذه الخطوة الإيجابية البريطانية في الخليج قد اتخذت نتيجة للغزو الفرنسي لمصر واتجاه أفكار بونابرت واتصالاته مع عرب الخليج والجنوب العربي، فإن هذه السياسة بقيت حتى بعد أن جلت الحملة الفرنسية عن مصر عام

---

(١) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٧٠ رسالة من دنكان إلى مهدي خان بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٧٨م.

(٢) أمين سعيد: الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، ص ٣٨.

١٨٠١م. وظلت الحكومة البريطانية حساسة تجاه أي نشاط فرنسي أو صديق للفرنسيين، وهي تتذكر في ذلك قول بونابرت وعينه على الهند: (إن هزيمة بريطانيا تأتي من جعل أنفسنا سادة مصر، إن الرجل البريطاني وقد تدعمت امبراطوريته - في الهند - كان مستعداً للسير خطوات أكثر إيجابية للاحتفاظ بالهند الحبيبة وضمان طرق المواصلات إليها)(٣) ولعل هذا يفسر لنا احتلال بريطانيا لمصر في الثمانينات من القرن التاسع عشر والسيطرة على الخليج والجنوب العربي.

وكانت مقاليد السياسة البريطانية في الخليج بيد حكومة بومباي البريطانية وظلت حتى عام ١٨٧٥م عندما قامت ثورة الهند في ذلك العام فأعيد تنظيم الإدارة البريطانية هناك، وصدر من أجل ذلك مرسوم يقضي بحل شركة الهند الشرقية البريطانية، وبذلك أصبح تصريف شؤون الهند والمناطق التابعة لها يتم عن طريق وزارة الهند واقتضى الأمر إيجاد منصب جديد هو نائب الملك في الهند أو ما كان يطلق عليه VICEROY واستمر هذا المنصب قائماً حتى استقلال الهند عام ١٩٤٧م.

ومنذ تواجد النفوذ البريطاني في الخليج ممثلاً في شركة الهند الشرقية البريطانية كان يمارس تحقيق هذا النفوذ مقيم عام بريطاني في الخليج، وكان للمقيمين البريطنيين التابعين لحكومة بومباي الصلاحيات الواسعة في التصرف المطلق بما في ذلك عقد المعاهدات والقيام بالإجراءات التي تحقق أمن الوجود البريطاني في المنطقة حتى عام ١٨٥٧م(٤).

وظلت بريطانيا تراقب حركات الأمبراطور نابليون الأول واتجاهاته التي ترمي

---

(٣) The American Assembly: The U.S. and the middle East p. 149

(٤) جمال زكريا: مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السجلات البريطانية - سجلات وزارة الهند (وثائق شركة الهند الشرقية البريطانية) سجلات الوكلات.

إلى محاربة المصالح البريطانية في الهند رغم فشل حملته على مصر، ومن هذه التحركات وضع خطة منذ عام ١٨٠٥م لا تزال قوات فرنسية في لبنان تزحف عبر العراق عن طريق وادي نهر الفرات إلى الخليج، كما قدمت فرنسا لحافظ باشا وإلى العراق مساعدات فنية ومعدات حربية لإعداد وحدة عسكرية نظامية على النسق الأوروبي منذ عام ١٨٢٠م(٥) وقد استخدم هذه الوحدة سليمان باشا الصغير - ابن أخي حافظ باشا - للسيطرة على الأمور في العراق عام ١٨٠٧م بعد اغتيال حافظ باشا، كما ساعدت فرنسا سليمان الصغير حتى حصل على فرمان الولاية من السلطان العثماني ولكنه عزل عام ١٨١٠م بتأثير البريطانيين بسبب صداقته للفرنسيين.

الاهتمام العثماني بالخليج

لم تكن حملة مدحت باشا على مشيخات الخليج العربية أول اهتمام عثماني بهذه المشيخات، إذ أن العثمانيين مدوا نفوذهم من العراق إلى سواحل الخليج العربية في القرن السادس عشر عندما احتلوا الأحساء ضمن احتلالهم لمسقط حتى البصرة.

وكان وجود العثمانيين في منطقة الخليج في الفترة الممتدة من منتصف القرن السادس عشر وحتى حملة مدحت باشا عام ١٢٨٨هـ ١٨٧١م على الكويت والأحساء وقطر والبحرين وجوداً إسمياً فقط لأن شيوخ القبائل المسيطرين على هذه المناطق احتفظوا باستقلالهم وتعاملوا مع العثمانيين بحذر.

وكانت حملة مدحت باشا والي العراق العثماني محاولة جديدة في أواخر القرن التاسع عشر لفرض الهيمنة العثمانية على مشيخات الخليج العربية للوقوف أمام النفوذ البريطاني المتزايد منذ أوائل القرن التاسع عشر.

---

(٥) رأفت الشيخ: في تاريخ العرب الحديث ص ٦٩.

وقد استعان مدحت باشا لتحقيق غرضه في الاستيلاء على الأحساء وعاصمتها مدينة الهفوف بناصر باشا السعدون رئيس قبيلة المنتفق، وعبدالله بن الصباح حاكم الكويت وزعماء قبيلة بني خالد حكام الأحساء. وبعد الاستيلاء على الأحساء ألحقها مدحت باشا بولاية البصرة العثمانية.

وقبيل الحرب العالمية الأولى - عام ١٣١٣هـ ١٩١٣م - عزم السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد آن ذاك على الاستيلاء على الأحساء لأن العثمانيين كانوا يتخذونها قاعدة لأعمالهم الحربية ومؤامراتهم السياسية في منطقة الخليج عامة وضد سلطنة نجد السعودية خاصة. وقد تم لعبدالعزيز بن سعود ما عزم عليه.

لم يكن الوجود العثماني في الخليج قبل حملة مدحت باشا يتعدى الولاء القبلي والديني من قبل أهالي المنطقة للدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية، ذلك الولاء الذي اكتفى به العثمانيون بعد محاولاتهم الأولى للوصول إلى المنطقة في النصف الأول من القرن السادس عشر عقب استيلاء البرتغاليين عليها عام ٩١٣هـ ١٥٠٦م، تلك المحاولة التي انتهت بخروجهم من المنطقة بعد مواجهة البرتغاليين عام ٩٨٩هـ ١٥٨١م.

وعند رحيل العثمانيين من منطقة الخليج اكتفوا بالولاء الديني من أهالي المنطقة. والحقيقة أن التواجد العثماني الأول في الخليج لم يكن جاداً على الرغم من النتائج الطيبة التي حققها، فقد استطاع سليمان باشا الذي توجه للخليج على رأس أسطول بحري قوامه(٨٠) سفينة أن يستولى على مسقط ومحاصرة جزيرة هرمز بعد سيطرته على عدن وأجزاء من اليمن، وقد أحسن أهالي المنطقة استقبال العثمانيين هناك، حيث ثار أهالي القطيف على البرتغاليين وأخرجوهم من قلاعهم ليسلموها للعثمانيين.

وقبل حملة مدحت باشا على منطقة الخليج كان للعثمانيين سيادة كاملة على

بعض مناطق الخليج، وكانت لهم سيادة اسمية فقط على مناطق أخرى منه، ومع النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي، ونتيجة لمنافسة البريطانيين على النفوذ في المنطقة، فكر العثمانيون في إعادة ترتيب حساباتهم في المنطقة فعمدوا إلى تعديل خططهم الرامية إلى التصدي للنفوذ البريطاني المتزايد في الخليج(٦).

وعندما صار مدحت باشا واليًا على العراق في عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م بدأ يتطلع إلى مشيخات الخليج العربية لضمها لولايته، وتصادف أن تم افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية في نفس السنة، ومن ثم تطلع العثمانيون لربط العراق بعاصمة الدولة في استانبول بواسطة خط ملاحي تجاري دائم عبر مياه الخليج ومياه البحرين الأحمر والمتوسط، وبذلك يتم ربط أطراف الدولة العثمانية بعضها ببعض.

ويحتاج هذا العمل إلى تقوية قبضة الدولة العثمانية على مشيخات الخليج العربية، ومن ثم انتهج مدحت باشا سياسة ترمي إلى إنشاء أسطول عثماني قوي في مياه الخليج(٧) وتقوية القبضة العثمانية على كل من الأحساء وقطر ونجد وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية والخليج، وكان يتحين الفرصة المناسبة لتحقيق هذه الخطة(٨).

ولقد استغل العثمانيون كل الامكانات لفرض سيادتهم على مشيخات الخليج العربية ليتدعم وجودهم هناك، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا أغرى العثمانيون شيخ البحرين بإعلان تبعيته لهم وتسجيل سفنه في السجلات العثمانية، وأخطروه بأن حاكم الكويت رفع العلم العثماني على سفنه وسجلها

(٦) I.O.R.L/ p 5 / 7 / 238, p. 8.

(٧) جون كيلي : ترجمة محمد أمين عبدالله : بريطانيا والخليج جـ٢ القاهرة – مطبعة الحلبي – ١٩٧٩م ص ٥٨٥.

(٨) صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٨٣م ص ١٧٤.

بسجلات الإدارة العثمانية بالبصرة تشجيعًا لشيخ البحرين لاتخاذ هذه الخطوة، ولكن البريطانيين حالوا دون ذلك استناداً إلى معاهدة عام ١٨٢٠م التي جعلت من البحرين إمار مستقلة مرتبطة ببريطانيا.

وبالنسبة لمشيخة قطر فقد صارت مشيخة مستقلة عام ١٨٦٨م بموجب إتفاقية بين الشيخ محمد بن ثاني نيابة عن رؤساء قبائل قطر وبين مشيخة البحرين بترتيب من المقيم السياسي البريطاني في الخليج لفض الاشتباك بين المشيختين نظير قدر معين من الأموال تدفعها القبائل القطرية لحكام البحرين نظير تنازلهم عن ادعاءاتهم على شبه جزيرة قطر.

وقد أصبحت قطر قائمقامية عثمانية منذ ١٨١٧م وتم تعيين الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قائمقام عثماني بالدوحة، ولكن الخلاف ما لبث إن حدث بين الطرفين، أدى إلى صدام عسكري عام ١٨٩٣م، ومع ذلك ظلت قطر قائمقامية عثمانية حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، حيث انسحب العثمانيون نهائيًا من منطقة الخليج.

وبالنسبة للكويت فقد كان العثمانيون يدركون أنها المدخل الرئيسي لمد نفوذهم على مشيخات الخليج العربية، ولذلك سارع نابق باشا والي العراق العثماني بالعمل على تحسين علاقته بحكام الكويت ليضمن مد النفوذ العثماني ليس فقط إلى الكويت بل أيضًا إلى الأحساء، حيث تم إنشاء مركز جمركي عثماني بالكويت، وأسند منصب القائمقام العثماني إلى الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وأعفى القائمقامية من الضرائب والرسوم الجمركية.

ومع ذلك ظلت السيادة العثمانية على الكويت سيادة اسمية بسبب موقف بريطانيا التي عقدت مع حاكم الكويت معاهدة حماية في يناير عام ١٨٩٩م، حتى تم خروج العثمانيين نهائيًا من منطقة الخليج عام ١٩١٤م.

التنافس العثماني البريطاني

كانت منطقة الخليج موضع تنافس بين بريطانيا والدولة العثمانية، وقد تجلى هذا التنافس في كل مشيخة من مشيخات الخليج العربية، وفيما يلي عرض لمظاهر هذا التنافس في مشيخات الخليج.

بالنسبة لمشيخة قطر فقد استفاد الشيخ محمد بن ثاني من الظروف المحيطة بقطر والأحداث العربية التي تعرضت لها منطقة الخليج، وأعنى الحرب بين القطريين من ناحية وكل من حكام البحرين وأبوظبي من ناحية أخرى عام ١٨٦٧م، فانضم إلى السعوديين الذين ناصروه، وفاوض المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل بيلي Billy باسم القطريين في اجتماع عقد بمدينة الوكرة القطرية.

وقد تمت هذه المفاوضات بتدخل من الكولونيل بيلي، وبموجب الصلاحيات المتعلقة بالأمن البحري، ومن ثم أُنشئت عبر هذا التدخل أول علاقة رسمية على شكل اتفاقية مع الشيخ محمد بن ثاني في ١٢ سبتمبر ١٨٦٨م، كانت بمثابة اعتراف بريطاني بالشيخ محمد بن ثاني كحاكم يمثل قطر(٩).

وقد أدخلت هذه المعاملة قطر عضواً في معاهدة الهدنة البحرية، وكانت تقضي في مجملها على ألا يرتكب أهالي قطر أعمالاً عدوانية في البحر، وأعطت شخصيتها الكاملة، واعترف بعدها بآل ثاني حكاماً لقطر حتى اليوم(١٠).

ومما هو جدير بالذكر أن قطر دخلت متأخرة في معاهدات الهدنة البحرية عن غيرها من إمارات الخليج العربي التي دخلت هذه المعاهدات منذ عام ١٨٢٠م،

---

(٩) إبراهيم أبو ناب : قطر قصة بناء دولة ص ٧١.

(١٠) عبدالعزيز المنصور : التطور السياسي لقطر (١٩١٦ - ١٩٤٩م) ص ١٢٨.

تلك المعاهدات التي التزمت فيها هذه المشيخات العربية الخليجية - بعد معركة بريطانيا مع القواسم في رأس الخيمة عام ١٨٢٠م - بنبذ الأعمال العدائية ضد بعضها البعض أو ضد الغير في مياه الخليج وقبول وساطة المقيم العام البريطاني في الخليج في أي نزاع يتعارض مع هذه المعاهدات. وهذا التأخير في الانضمام لمعاهدات السلم البحري قد جعل لقطر وضعًا متميزًا حتى عن البحرين التي وقعت معاهدة مماثلة مع بريطانيا عام ١٨٦١م.

وقد تضمنت المعاهدة بين الشيخ محمد بن ثاني والكولونيل بيلي على وثيقتين الوثيقة الأولى تعهد من الشيخ محمد بعدم خرق المعاهدة البحرية، وهذا التعهد يتضمن خمسة بنود أهمها عودة الشيخ محمد وبقية القبائل القطرية المتحالفة إلى سكن مدينة الدوحة وتعميرها بعد أن تركوها أثناء هجوم حكام البحرين وأبوظبي عليها، وعدم القيام بأية أعمال حربية في مياه الخليج، ورفع أمر أي نزاع ينشأ بين قطر وأية مشيخة خليجية أخرى إلى المقيم العام البريطاني، وأن تكون علاقة قطر بالبحرين علاقة طيبة وأن يدفع الشيخ محمد بن ثاني قدراً من المال وقدره ١٥,٠٠٠[١١] لحاكم البحرين كل سنة وذلك عن طريق المقيم العام البريطاني، ووقع هذا التعهد كل من الشيخ محمد بن ثاني والكولونيل س لويس وبيلي في ٢٤ جمادى الأولى ١٢٨٥هـ ١٢ سبتمبر ١٨٦٨م[١٢].

وأما الوثيقة الثانية التي اشتملت عليها معاهدة ١٨٦٨م بين قطر ويمثل حاكمها الشيخ محمد بن ثاني والمقيم السياسي البريطاني العام في الخليج العربي الكولونيل بيلي فهي عبارة عن تعهد من زعماء القبائل القطرية بدفع مبلغ ١٥,٠٠٠ قران سنوي متضامنين وعن طريق حاكم قطر الشيخ محمد بن ثاني الذي يسلمها للمقيم العام البريطاني الذي يسلمها بدوره لحاكم البحرين من آل خليفة.

---

(١١) يذكر أحمد أبو حاكمة في كتابه: تاريخ شرق للجزيرة العربية نقلاً عن تقرير المستر واردن أن «القرآن» عكلة ضربت في فارس وهي تعادل الريال الحجازي.

(١٢) عبدالعزيز المنصور: التطور السياسي لقطر (١٨٦٨ - ١٩١٦م) ص ٢١١.

وقد نصت هذه الوثيقة على ما يلي :

نقر نحن شيوخ القبائل الموقعين على هذا والمقيمين مع قبائلنا في الأراضي القطرية، ونوافق على أن ندفع للشيخ علي بن خليفة حاكم البحرين المبالغ المالية التي كنا ندفعها سنويًا من قبل لحكام البحرين وهذه المبالغ كلها نسلمها للشيخ محمد بن ثاني شيخ الدوحة الذي يقوم بتسليمها للمقيم العام البريطاني الذي يقوم بدوره بتسليمها لوكيل حاكم البحرين في بوشهر، وهذه المبالغ موزعة على النحو التالي :

- قبيلة المهاندة تدفع (١,٧٠٠) قران .
- قبيلة البوعينين والنعيم تدفع (١,٥٠٠) قران .
- قبيلة سميسمة (قبيلة البوكوارة التي تسكن في سميسمة) وتدفع (٥٠٠) قران .
- قبيلة كليب وتدفع (٥٠٠) قران .
- قبيلة السودان وتدفع (١,٥٠٠) قران .
- محمد بن ثاني (زعيم قبائل المعاضيد والمسلم) ويدفع (٢,٥٠٠) قران .
- قبيلة العمامرة وتدفع (٨٠٠) قران .
- الجملة ٩٠٠٠ قران .

وقد تحرر هذا التعهد في ٢٥ جمادى الأول عام ١٢٨٥هـ الموافق ١٣ سبتمبر ١٨٦٨م أي في اليوم التالي لتوقيع الوثيقة[١٣] .

ولم يكن هذا التساهل من جانب الشيخ محمد بن ثاني حاكم قطر إلا تحقيقًا لهدف أكبر وهو نيل الاستقلال، وإبعاد النفوذ العثماني عن شبه جزيرة قطر، وهو النفوذ الذي ظهر فجأة في الأحساء والبحرين حتى يبعد وطنه عن الصراع الأكبر

(١٣) F.O. 424, Confidential (10376), part X,;no. 238, pice No. 492; India office, to Foreign office, india, June 28, 1913. inclosure 2 in No. 492; Extract forn AAitchison's Treaties "4th" edition, Vol. XII, p. 148.

بين القوتين المتنافستين بريطانيا وتركيا، وهو يدرك أن قطر لا قبل لها بهذا الصراع، ومن الخير لها عمل التوازن بين القوتين.

ومن ثم لا نعجب أن نجد بريطانيا عن طريق معاهدة ١٨٦٨م تسهم في تأسيس مركز مستقل لقطر عن البحرين لأول مرة في تاريخ شبه جزيرة قطر(١٤).

ولكن بريطانيا رغم توقيعها معاهدة ١٨٦٨م مع قطر فإنها لم تنجح في فرض نفوذها كاملاً بالسرعة التي نجحت بها في البحرين بسبب إمساك الشيخ قاسم بن محمد آل ثان زمام الأمور في شبه الجزيرة القطرية من والده الذي بلغ الثمانين من عمره، وكان الشيخ قاسم في الرابعة والأربعين من عمره عندما تسلم زعامة قطر عقب توقيع اتفاقية عام ١٨٦٨م مع البريطانية، وقد عمل الشيخ قاسم على الاستفادة من مزايا تلك الاتفاقية والتخلص من مضارها عند أول فرصة سانحة. وقد سنحت الفرصة بحدوث غزو تركي لشبه جزيرة قطر عام ١٨٧١م بعد توقيع الاتفاقية القطرية البريطانية لعام ١٨٦٨م بثلاث سنوات، حيث اعتبرت تركيا قطر قائمقامية عثمانية، واختارت الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قائمقام لحكم قطر.

جاء تعيين الشيخ قاسم في منصب القائمقام لحكم قطر اعترافًا من تركيا بسلطة آل ثاني على قطر ذات الكيان السياسي، وكان البريطانيون يعترفون بموجب معاهدة ١٨٦٨م بسلطة آل ثاني على قطر المستقلة وهنا وجد الشيخ قاسم الفرصة سانحة لكي يحقق استقلال شبه جزيرة قطر على طريقته هو عن طريق الاستفادة من رغبة القوتين المتنافستين في التقرب إلى قطر، وذلك بعمل توازن في علاقة قطر بين كل من بريطانيا وتركيا. وفي ظل هذا التوازن بين الدولتين الكبيرتين في المنطقة أخذ الشيخ قاسم يعمل على جمع سكان قطر جميعهم على هدف واحد وإشاعة السلام بينهم وتوحيدهم(١٥)، أي تحقيق الوحدة الوطنية

(١٤) جمال زكريا : الخليج العربي (١٨٤٠ - ١٨٤١) ص ١٦٠.
(١٥) إبراهيم أبو ناب : المرجع السابق ص ٧٢.

القطرية ركيزة الاستقلال الكامل المنشود والمحققة لاستمرار المحافظة على الاستقلال. ولكن يبدو أن كلاً من تركيا وبريطانيا لم تقبل بسياسة التوازن بين القوى التي لجأ إليها الشيخ قام بن محمد آل ثاني في تعامله معها. فرغم أن بريطانيا سلمت منذ البداية بامتداد السياسة العثمانية إلى بعض أجزاء من شبه جزيرة قطر إلا أنها لم تلبث أن فطنت إلى أغراض الأتراك التوسعية في الخليج العربي فصارت تعارض في امتداد النفوذ العثماني إلى قطر وتعمل في نفس الوقت على تقوية علاقتها بشيخ البحرين ومساندته في مواجهة الأخطار التي تحدق به[١٦].

وتعرض استقلال قطر الذي يحاول الشيخ قاسم صيانته لمؤامرات من قبل البريطانيين والأتراك، فبالنسبة للبريطانيين فقد انتهزوا حدوث تعاون الشيخ قاسم مع العثمانيين بقبول منصب قائمقام قطر، وحرصت البحرين أن تثير مشاكل مع قطر بخصوص مسألة السيادة على الزبارة وعلى قطر بأكملها استناداً إلى أن الزبارة هي الأرض التي خرج منها آل خليفة وفتحوا جزر البحرين فهي موطن أجدادهم، وقد نسوا أن الشيخ ثاني الذي تنتسب إليه أسرة آل ثاني قد ولد في الزيارة واشتغل بالتجارة هناك وعن طريقه وصلت تلك الأسرة إلى ما وصلت إليه الآن، كما أن قطر توقفت عن دفع الأموال السنوية التي كانت تدفعها للبحرين بموجب معاهدة ١٨٦٨م والتي كانت تنتقص من استقلال قطر الكامل، توقف دفع هذه الأموال عقب ظهور الأتراك في المنطقة أي عام ١٨٧٠م[١٧].

استطاع الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني المحافظة على استقلال قطر باستمرار تقوية علاقته بالأتراك، ولكن الأتراك ما لبثوا أن رأوا في رفضه لبسط سيطرتهم على قطر نزعة استقلالية منه، ومن ثم عوّلوا على محاربته ولم تفلح الحرب التي

---

(١٦) محمود شكري الألوسي : تاريخ نجد ص ٣٩.

(١٧) عبدالعزيز المنصور : التطور السياسي لقطر (١٨٦٨ - ١٩١٦م) ص ٤٩.

وقعت عام ١٨٩٣م لأن الأتراك هزموا فيها على الأرض القطرية، مما دفع السلطان الثاني عبدالحمد الثاني إلى الكتابة إلى الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني برسالة يطلب منه تسوية الأمور بين الطرفين وإطلاق سراح الأسرى الأتراك والاعتذار عن أن والي البصرة محمد حافظ باشا دبر هذا الهجوم دون علم السلطان، ومن ثم عزله السلطان من ولاية البصرة إرضاء للشيخ قاسم(١٨)، ولا شك أن هذا يعتبر تعزيزاً لاستقلال قطر.

أثارت محاولات الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر توطيد سيطرتها في الخليج العربي معارضة عند الحكومة البريطانية، ورغم تعدد المحاولات في عهد السلطان عبدالحميد الثان (١٨٧٦ - ١٩٠٨م) إلا أنها لم تكن ذا تأثير كبير نظراً لانشغال الدولة بأمور أخرى داخل اسطانبول وفي أجنحة الدولة أوروبا وأفريقيا كثورات اليونانيين وتوسع الاستعمار الفرنسي من الجزائر إلى تونس عام ١٨٨١م، والاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م(١٩).

ولكن الدولة العثمانية عادت في السنوات الأولى من القرن العشرين إلى الاهتمام بأقطار الخليج العربي، ولعل هذا مرده في الدرجة الأولى إلى الانقلاب الذي حدث عام ١٩٠٨م ضد السلطان عبدالحميد، والذي تزعمه ضباط يتشيعون إلى الأفكار الألمانية وينتمون إلى ما يعرف بجماعة الاتحاد والترقي بالنسبة إلى منطقة الخليج على تقوية السيطرة العثمانية هناك، وكانت خططها في العمل تقوم على إضعاف سلطة حكام مشيخات الخليج وانضمامهم إلى فكرة الجماعة الإسلامية التي أخذوها عن السلطان عبدالحميد، كما تقوم على استعمال الشدة والعنف ضد القبائل العربية الخليجية، وإرغام شيوخ المنطقة بالقوة على

(١٨) إبراهيم أبو ناب: المرجع السابق ص ٧٣.

(١٩) نفس المرجع ص ٧٤.

إعلان ولائهم للدولة العثمانية عن طريق فرض الضرائب عليهم وتجنيدهم في الجيش العثماني[٢٠].

وكان حماس الموظفين الأتراك في تحقيق مخططات الحكومة العثمانية في منطقة الخليج العربي يعني من ناحية أخرى تجدد الصراع بين الحكومتين البريطانية والعثمانية، على أن الخلاف بين الطرفين لم يتخذ صورة إجرائية إلا في شهر يوليو ١٩٠٨م، حينما أرسلت السلطات العثمانية في البصرة فرقة من الجنود لاحتلال جزيرة «الزخنونية» وهي جزيرة صغيرة تقع في الجنوب الشرقي من ميناء العقير على مسافة عشرة أميال من الساحل الغربي لخليج سلوى.

وعندما وصلت الفرقة العثمانية إلى جزيرة «الزخنونية» قامت برفع الراية العثمانية على الجزيرة وإزاء ذلك سارع المسئولون البريطانيون في الاحتجاج استناداً إلى أنهم رأوا في احتلال الأتراك للجزيرة خطوة لفرض السيطرة التركية على ساحل شبه جزيرة قطر الغربي، وربما على إمارات الساحل العماني المهادن. وقد أكد السفير البريطاني في احتجاج حكومته إلى الحكومة التركية بأن جزيرة الزخنونية تقع إلى الجنوب من ميناء العقير الذي يعتبر الحد الأقصى للسيادة العثمانية في الأحساء طبقًا لاعتراف الحكومة البريطانية بموجب التفاهم بين الطرفين البريطاني والعثماني على النفوذ في الخليج، وأضاف «لوثر» السفير البريطاني في الاستانة في احتجاجه إلى الحكومة التركية بأن محاولة الدولة العثمانية التقدم فيما وراء هذه المناطق يؤدي إلى تأزم الموقف بين الدولتين[٢١].

ولكن الدولة العثمانية لم تعبأ باعتراضات الحكومة البريطانية، إذ استمر والي البصرة يعزز الحامية العسكرية التركية بجزيرة الزخنوية باعتبارها أرضًا عثمانية،

---

(٢٠) جمال زكريا: المرجع السابق ص ٣٢٤.

(٢١) F.O. 424, Confidential (9482), No. 217 Further Correspondence raspecting the Affairs of Asiatic turky and Arabia, piece No. 67; Sir Gerad Lowther, to Siredwrd Grey, Constantinople, November 20, 1908.

وأنكر القنصل البريطاني في البصرة حقه في أن يناقش معه هذه المشكلة رسميًا أو شخصيًا، وإن كانت الحكومة العثمانية قد ردت على مذكرة الاحتجاج البريطانية بأن وجود الجند العثمانيين في جزيرة الزخنونية أمر ضروري لحفظ الأمن من بين قبائل الدواسر الذين يترددون على الجزيرة.

ولكن يبدو أن الحكومة العثمانية قد استجابت للضغط البريطاني، خاصة أن تركيا كانت تعاني من متاعب في البلقان ومع روسيا، فرأى رجال الدولة العثمانية ضرورة أن تسوي الدولة مشاكلها مع بريطانيا أملاً في الحصول على تأييد الحكومة البريطانية إزاء ما تصادفه الدولة العثمانية من مشكلات، وأن حقي باشا وزير الخارجية العثمانية على رأس القائلين بضرورة التسوية السلمية للخلافات القائمة للوصول إلى إتفاق مع بريطانيا وغيرها من الدول(٢٢)، ومن ثم يبرق وكيل الوزارة لشئون الهند إلى زميله وكيل وزارة الخارجية البريطانية بنص برقية نائب الملك في الهند، التي تضمنت أن الوكيل السياسي البريطاني في البحرين أبلغه بجلاء القوات العسكرية التركية من جزيرة «الزخنونية»، ولم يعد هناك جند عثمانيون في الجزيرة(٢٣).

وكان جلاء الأتراك من جزيرة الزخنونية كسب لوجهة النظر البريطانية التي كسبت هذه الجولة في صراعها على النفوذ مع الدولة العثمانية في الخليج العربي، وهي في نفس الوقت كسب لقطر إذ في هذا الجلاء اعتراف ضمني من جانب الأتراك بوجهة النظر القائلة بأن جزيرة الزخنونية جزء من القطر الذي يحكمه آل ثاني.

ولكن هل انتهى الصراع العثماني البريطاني في قطر وفي الخليج عامة؟ إن الإجابة على هذا السؤال تبدأ من اقتناع الطرفين بضرورة التوصل إلى إتفاق يحدد

---

(٢٢) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٠١.

(٢٣) F.O. 424, No. 221 Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turkey and Arabia. Piece 97: india office to foreing office, 97 Government of India to Viscount Morly (Telegrafic)November 27, 1909, inclosure in No. Nove-ber ber 26, 1909.

مناطق النفوذ السياسي بينهما في الخليج منعاً للتصادم، ومع هذا الاقتناع كانت هناك تصريحات وإجراءات اعتبرت عراقيل في سبيل التفاهم، من ذلك ما صرح به اللورد هاردنج الحاكم العام البريطاني للهند من أن وجود العثمانيين في الخليج أشد خطورة من روسيا أو فرنسا لأن لهم - العثمانيين - تأثير على بعض الحكام العرب تحت ستار الجامعة الإسلامية ولذلك ذهب إلى المطالبة بإسقاط سيادتهم عن الكويت(٢٤).

وفي نفس الوقت الذي جرت فيه المفاوضات بين بريطانيا والدولة العثمانية، والتي استمرت سنتين (١٩١١ - ١٩١٣م) فقد ظهرت مواقف تفاهم ومواقف تصادم، إذ بينما تساهل العثمانيون في التنازل عن قطر وعن البحرين، وموافقة بريطانيا على بقاء الكويت تحت السيادة العثمانية التي تمتد حتى ميناء العقير بالأحساء ولا تمتد أبعد منه، وحتى بعد توقيع الاتفاقية في ٢٩ مايو ١٩١٣م سمحت تركيا إلى التمسك باحتلال شبه جزيرة قطر خلال شهر يونيو ١٩١٣م. رغم ما نصت عليه الاتفاقية من إقرار تركيا بالتخلي عن قطر.

وتفصيل ذلك أن السفير البريطاني في استانبول بعث إلى السير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية في ١٦ يونيو ١٩١٣م بأن السلطات المسئولة في البصرة قد أبلغت السلطات العسكرية في بغداد بأنهم أرسلوا إلى قطر ٧٥ جندياً على رأسهم ضابط تركي واحد يستقلون سفينة تجارية عربية تسمى «بدر»(٢٥).

وعندما أبلغت الحكومة البريطانية حكومة الهند لمتابعة موضوع نزول القوات التركية التي خرجت من البصرة إلى قطر، ردت حكومة الهند على وزارة الخارجية البريطانية في ٢٤ يونيو ١٩١٣م، بأن هذا الإجراء التركي مثير للاضطراب ويدعو إلى

(٢٤) صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٩٥ .

(٢٥) F.O. 424, Confidential (1037) No. Ibid. piece No. 387: Sir Gerald Lowther to Sir Edward Grey. Constantantinople, June 16, 1913, (Telegraphic). No. 281.

القلق ومن ثم لا يمكن احتماله[٢٦]. لأنه في رأي تلك الحكومة يخالف ما تعهدت به الدولة العثمانية في الإتفاقية التي وقعتها مع بريطانيا قبل أقل من شهر واحد.

ولعل هذه العقبات هي التي - إلى جانب عوامل أخري - كانت سبباً في عدم التصديق على المعاهدة العثمانية البريطانية، رغم التوقيع عليها من ممثلي الطرفين، وما يهمنا هنا هو مناقشة ما نصت عليه تلك الاتفاقية من بنود قررت استقلال قطر باعتراف كل من تركيا وبريطانيا اعترافاً رسمياً.

وقد شهد شهري إبريل ومايو ١٩١٣م مواقف حاسمة في المفاوضات العثمانية البريطانية حتى تم التوقيع على الإتفاقية بين الطرفين في آخر شهر مايو لأن المفاوضات تناولت العديد من موضوعات الخلاف بين البلدين منها مسائل الرسوم الجمركية، وخط حديد بغداد ومناطق النفوذ في الخليج العربي، ومسألة شط العرب[٢٧].

وفي هذا المقام بعثت حكومة الهند إلى وزارة الخارجية البريطانية في ١٧ أبريل ١٩١٣م برسالة تعبر عن رأي حكومة الهند بشأن مشروع الإتفاق الجاري الذي تم إعداده بين الحكومتين البريطانية والتركية وخاصة فيما يتعلق بتمسك العثمانيين بجزيرة «الزخنونية»، إذ ترى حكومة الهند أنه على الرغم من الخوف من أن اعتراف بريطانيا بالسيادة التركية على جزيرة «الزخنونية» والساحل - ساحل الأحساء - الواقع بين العقير ونقطة تواجه تلك الجزيرة قد يؤدي إلى بعض الخلاف والاحتكاك في المستقبل بين البريطانيين والأتراك، فإن حكومة الهند على استعداد للموافقة على مشروع الإتفاق البريطاني التركي بما احتواه من المشار إليه بخصوص جزيرة «الزخنونية»، وفي إطار الشروط التي عرضتها حكومة الهند والتي وافقت عليها جميعاً الحكومة التركية[٢٨].

---

(٢٦) Ibid: India office to Roreign office. June 24, 1913 piece No. 451.

(٢٧) صلاح العقاد: المرجع السابق ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢٨) Ibid: India offive to foreign office, No. 52, India office April 17, 1913.

وهذا يعني تنازل بريطانيا عن شيئ تمسكت به من قبل لصالح قطر وهي جزيرة «الزخنونية» في سبيل موافقة تركيا بإنهاء سيادتها على قطر واستقلال قطر عن البحرين.

وقد تضمنت مذكرة حكومة الهند إلى وزارة الخارجية البريطانية عدة ملاحق كان الملحق الأول عبارة عن برقية من الماركيزكرو crewe المفاوض البريطاني موجهة إلى حكومة الهند البريطانية تفيد أنه بالنسبة لقطر في مجال المفاوضات التركية البريطانية فسوف تبقى مستقلة وذات كيان سياسي ولن تتبع البحرين، وذلك في إطار ما عبرت عنه الحكومة التركية من رغبتها في الجلاء الكامل من شبه جزيرة قطر. ويأمل الأتراك أن توافق بريطانيا على بقاء سيادتهم على ساحل الأحساء، بحيث تمتد من الشمال حتى نقطة في الجنوب تواجه جزيرة الزخنونية الراغبين في إخضاعها أيضاً لسيطرتهم(٢٩).

واحتوى الملحق الثاني على شروط حكومة الهند لا قرار إتفاق تركيا على الأساس السابق الإشارة إليها - وأعني انسحابها من قطر والاعتراف باستقلالها تحت حكم آل ثاني، وعدم تبعية قطر للبحرين، في مقابل امتداد النفوذ التركي حتى جزيرة «الزخنونية» ونقطة على ساحل الأحساء تواجهها - وأن حكومة الهند ترى الموافقة على الإتفاقية إذا وافق الأتراك على شروط حكومة الهند وهي:

١ - بخصوص استقلال قطر، فيجب أن تتخلى تركيا تماماً عن كل ادعاءاتها السابقة بالسيادة على شبه الجزيرة القطرية، في الوقت الذي تعترف فيه تركيا بأن لبريطانيا الحرية في أن تدخل مع شعب قطر في إتفاقيات تتعلق بمسألة تجارة الأسلحة أو تأمين السلم البحري.

٢ - أنه بالنسبة لمطالب البحرين بجزيرة الزخنونية فيمكن تخليها عنها بتقديم تعويض مادي محدود له.

(٢٩) Ibid: Enclosure 1 hn No. 52: The Marauess of Crewe to Government of India office, April 7, 1913.

٣ – كفالة السماح باستمرار إقامة رجال القبائل من البحرين على جزيرة «الزخنونية» كالعادة من أجل صيد الأسماك خلال شهور الشتاء، وأنهم لن يخضعوا لأية مضايقات أو تفرض عليهم ضرائب من أي شكل.

٤ – بقاء جزيرتي «لبينات السفلية» و«لبينات العليا» في حوزة حاكم البحرين(٣٠).

وحدد الملحق الثالث مبلغ التعويض الذي يقترح منه لحاكم البحرين في مقابل تنازله عن مطالبته بجزيرة «الزخنونية» إذ أجاب المقيم البريطاني العام في الخليج بأنه تم اقتراح تعويض لحاكم البحرين ١,٠٠٠ جنيه، وأنه لكي يكون الاقتراح مقبولاً تماماً من حاكم البحرين في نظير رفع يده عن مطلبه بجزيرة «الزخنونية» لصالح الأتراك، فإن الأتراك بدورهم يقوموا بتقديم هدية مناسبة من جانبهم إلى حاكم البحرين لإنهاء كل ادعاءاته وهذه الهدية لن تتجاوز المبلغ المقترح السابق كتعويض(٣١).

وأخيراً تم الإتفاق على تسوية شاملة للمشكلات التي تعترض سبيل العلاقات التركية البريطانية، حيث وقع كل من إبراهيم حقي باشا وزير خارجية الدولة العثمانية والسير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية إتفاقيات هذه التسوية وهي تشتمل على ما يلي(٣٢).

١ – إعلان عام تمهيدي لمشروع المعاهدة(٣٣).

٢ – مشروع إتفاق يتعلق بخط حديدي في آسيا(٣٤) ويتكون من ١٢ مادة.

٣ – مشروع إتفاق يتعلق بالخليج «الفارسي» وهو يتعلق بكل من الكويت وقطر والبحرين وأمور الخليج(٣٥) وتشكيل لجنة لتعيين الحدود.

---

(٣٠) Ibid: Inclosure 2 in No. 52: Government of India to the Marauess of Crewe, April 14, 1913.

(٣١) Ibid: Inclosure 3 in No.. 52: Government of India to the Marauess of Crewe, April 15, 1913.

(٣٢) - Op. Cit

(٣٣) Ibid, Enclosue 1 No. 144: Draft Declaration.

(٣٤) Ibid, Enclosure 2 in No. 144: Draft Convwntion Respecting Railways in Asia Minor.

(٣٥) Ibid, Enclosure 3 in No. 1444: Draft Convention Respesting the persian Gulf, & C.

كما احتوى على أربعة ملاحق تتعلق بإتفاقيات بريطانية كويتية لأعوام ١٨٩٩ - ١٩٠٠م - ١٩٠٤م ورسالة السير إدوارد جراي إلى توفيق باشا رئيس وزراء تركيا في ٢٤ اكتوبر ١٩١٣م.

٤ - مشروع إتفاق يتعلق بتشكيل لجنة من أجل تحسين الملاحة في شط العرب وهو يحتوي على ٢١ مادة وله ملحق(٣٦).

وبالنسبة لقطر فقد نصت المادة (١٠) والمادة (١١) من مشروع الإتفاق البريطاني العثماني بشأن الخليج على إقرار مستقبل قطر على النحو التالي:

نصّت المادة رقم (١٠) على أن تتنازل الدولة العثمانية تنازلاً نهائيًا عن كل ادعاء لها بالسيادة على شبه جزيرة قطر، على أن يتولى حكم شبه الجزيرة آل ثاني حكمًا وراثيًا، وتعهدت الحكومة البريطانية بمنع حاكم البحرين من محاولة ضم قطر إلى سلطته.

كما نصت المادة رقم (١١) من الإتفاق المذكور على السماح لأهل البحرين بالنزول إلى جزيرة الزخنونية من أجل صيد اللؤلؤ، علمًا بأن تلك الجزيرة صارت جزءًا من الأحساء التركي.

وعلى الرغم من أن بريطانيا لم تلزم نفسها في هذا الإتفاق بالاعتراف مسبقًا باستقلال قطر استقلالاً تمامًا بعد انتهاء السيادة العثمانية، وأنها أعطت لنفسها الحرية في عقد معاهدات مع حكام قطر من آل ثاني بشأن تجارة الأسلحة أو السلم البحري في الخليج فإن النص على انتهاء السيادة العثمانية على قطر إعلان باستقلال شبه الجزيرة القطرية، ولم يكن الأمر يستدعي تنازلاً مماثلاً من بريطانيا لأنه لم تكن لها أية ادعاءات بالسيادة على شبه الجزيرة القطرية، هذا على الرغم من أن هذا النص على انتهاء السيادة العثمانية على قطر جاء نتيجة مفاوضات

---

(٣٦) Ibid, Enclose ure 1 in No. 144: Draft Convention respecting the Creatio of a commission for improving Navigation in the Chatt-el-Irab.

بريطانية عثمانية، ولم يأت نتيجة مفاوضات قطرية عثمانية، وهذا فرضته طبيعة الصراع في الخليج الذي كان صراعًا بريطانيًا عثمانيًا.

وإزاء اتجاه الأمير عبدالعزيز بن سعود بأنظاره إلى قطر بعد ضمه الأحساء قبل توقيع الإتفاق العثماني بحوالي شهرين، فقد اتخذت السلطات البريطانية موقفًا محذرًا بعدم اتخاذ أي موقف يغير الوضع القائم، أو خلق أي اضطراب بين الإمارات العربية التي يدخل حكامها في إتفاقات مع الحكومة البريطانية، بما فيها إمارة قطر المستقلة تحت حكم الشيخ قاسم آل ثاني وأبناؤه من بعده، والتي تم الاعتراف بها من جانب كل من الحكومتين البريطانية والعثمانية، وأن الحكومة البريطانية حريصة على استمرار علاقات الصداقة التي لها جذور بعيدة في الماضي(٣٧). توفي الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني في ١٧ يوليو ١٩١٣م الموافق لعام ١٣٣١هـ(٣٨) فخلفه في حكم قطر ابنه الشيخ عبدالله، وجاء ذلك في ظل المعاهدة العثمانية البريطانية، وفي ظل علاقات حسنة بين آل ثاني وآل سعود خاصة عندما تعهد الأمير عبدالعزيز بن سعود أمام المندوبين البريطانيين والمعتمد البريطاني في الكويت، والمعتمد البريطاني في البحرين بعدم الاعتداء على قطر(٣٩).

وتحقيقًا للإتفاقية البريطانية العثمانية والخاصة بانسحاب تركيا من قطر، فقد أظهر الأمير عبدالعزيز آل سعود اهتمامًا بموضوع جلاء الأتراك عن قطر ومن ثم سعى لمقابلة المسئولين البريطانيين لبحث مستقبل قطر وبقية مناطق الخليج العربي التي سيجلو عنها العثمانيون، وقد أبدت حكومة الهند رغبتها الملحة في ضمان

---

(٣٧) F.O. 424, 240: Ibid: piece 39, India office to foreign office India office, October 15, 1913.
Rnclosure 2 in No. 39: Lieutenant-Colonel Sir p. Cox to Abdul Aziz-bin-SaudBushire, September 11, 1913.

(٣٨) عبدالعزيز المنصور: التطور السياسي لقطر (١٨٦٨ - ١٩١٦م) ص ٢٦.

(٣٩) نفس المرجع السابق ص ١٢٠.

جلاء سريع للقوات التركية من قطر، ولكن طالما أنه لم يتم التصديق على الإتفاقية العثمانية البريطانية فإنه من الصعب ممارسة ضغط على الحكومة التركية لكي تسرع في الجلاء، وإن أبدت الحكومة البريطانية تفاؤلاً بأن التصديق على الإتفاقية لن يتأخر طويلاً(٤٠).

وأثار المقيم العام السياسي البريطاني في الخليج العربي موضوع اللقاء الذي طلب تدبيره معه الأمير بن سعود برسالة منه في ٢٧ سبتمبر تشير إلى أن الأمير سيكون على ستعداد لمقابلة المقيم العام البريطاني في الأسبوع الثاني من شهر نوفمبر، وإنه تعهد بعدم مناقشة أية موضوعات أو يتخذ موقفًا يتعارض مع سياسة الحكومة البريطانية. وفي هذا المقام فقد ألحّ المقيم العام على حكومته لكي تمارس ضغطًا على الحكومة التركية لكي تجلي قواتها العسكرية من الأرض القطرية وأنه يجب عدم الاعتماد على حسن نية السلطات العثمانية بالبصرة بخصوص جلاء الأتراك عن شبه جزيرة قطر، وأنه إذا لم تنسحب الحامية العثمانية من قطر قبل اللقاء المقترح بين كل من الأمير عبدالعزيز بن سعود والمقيم العام البريطاني في الخليج فسوف تكون الأمور في غاية الحرج والصعوبة سواء للمقيم السياسي البريطاني أو الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني(٤١). وقامت الحرب العالمية الأولى في صيف عام ١٩١٤م، وكانت القوات التركية ما تزال موجودة على الأرض القطرية. وكان عدد هذه القوات ٢٧٥ جنديًا وضابطًا، ولم يكن بوسع الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني طرد الحامية التركية دون مساعدة قوية من بريطانيا بدون إراقة الدماء، وكانت أحوال هذه القوات سيئة، ومن ثم انتهزت بريطانيا الفرصة وأرسلت قوة عسكرية بحرية بريطانية لإجلاء الحامية التركية عن قطر وذلك في ١٩ أغسطس ١٩١٥م، وطلبت بريطانيا من الشيخ عبدالله إقناعهم فسلموا

(٤٠) Ibid: piece Ni. 76: India office to Foreign office, Indi office October 29, 1913.

(٤١) Ibid: Inclosure in No. 76: Government of India to marquess of Crewe, October 26, 1913.

ورحلوا إلى البحرين على سفينة حربية بريطانية، وقامت بريطانيا بعد ذلك بمصادرة أسلحتهم وذخائرهم الموجودة في القلعة المحصنة بالدوحة، وأسدل الستار على آخر وجود تركي في قطر(٤٢).

وأما التنافس البريطاني العثماني في الكويت فقد نصّت الإتفاقية العثمانية البريطانية على استقلال الكويت، وأن يرفع شيخ الكويت العلم العثماني – كما كان في السابق – مع وضع كلمة كويت في أحد أركان العلم إذا أراد، وأن يتمتع بالاستقلال الإداري الكامل وتمتنع الحكومة العثمانية عن التدخل في أمور الكويت، وفي حالة خلو شيخ الكويت تصدر الحكومة العثمانية فرمانا بتعيين قائمقام بديلاً للقائمقام المتوفي ولها سلطة تعيين ممثل عثماني لدى شيخ الكويت(٤٣).

كما نصّت الإتفاقية على اعتراف الحكومة العثمانية بالإتفاقيات التي عقدتها الحكومة البريطانية مع حكام الكويت في ٢٣ يناير ١٨٩٩، و٢٤ مايو ١٩٠٠، و٢٨ فبراير ١٩٠٤م، والاعتراف بصحة عقد تأجير الأراضي الذي وقّعه حاكم الكويت مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية، وكذلك الاعتراف بالتعهدات المعمول بها والمسجلة في بيان وزير خارجية بريطانيا في ٢٤ اكتوبر ١٩١١م إلى سفير الدولة العثمانية في لندن. وهناك نصوص أخرى وردت في الإتفاقية يمكن الرجوع إليها في الملحق الأصلي للإتفاقية باللغة الفرنسية والترجمة العربية المرفقة، وكلها تنضم وتنسق مناطق النفوذ العثماني البريطاني في الكويت(٤٤).

وبالنسبة للبحرين فقد وردت في المواد ١٢، ١٣، ١٤ من الإتفاقية العثمانية البريطانية لعام ١٩١٣م ونصت على تنازل الدولة العثمانية عن كل ادعاء لها على جزر البحرين التي اعترفت الدولتان باستقلالها مع حرص الجانب البريطاني على

(٤٢) F.O. 424, 238, Ibid, Enclosure 3 in No. 144 Draft Convention respecting the persan Gulf.

(٤٣) Ibid -

(٤٤) Ibid -

حماية مصالح الدولة العثمانية الاقتصادية – مثل صيد اللؤلؤ ولا تخضع ممتلكات شيخ البحرين للامتيازات الأجنبية التي تمنحها الحكومة العثمانية للدولة الأجنبية(٤٥). واحتوت الإتفاقية على موضوعات تحت عنوان «الخليج الفارسي» تنص المادة ١٥ من الإتفاقية على اعتراف الدولة العثمانية بالإجراءات التي تقوم بها بريطانيا في الجزء الجنوبي من الخليج لحماية السواحل العربية وتأمين مياه الخليج من عمليات القرصنة وإنارة الفنارات ووضع كل الوسائل الخاصة بإرشادات السفن، وممارسة الإجراءات الخاصة بالحجر الصحي، وأن تحتفظ الدولة العثمانية بحقوقها كقوة عظمى على شواطئ الخليج والأرض التي تقع تحت سيطرة الحكم العثماني(٤٦).

كانت هذه هي أهم نصوص الإتفاقية العثمانية البريطانية التي عقدت بين الجانبين عام ١٩١٣م ولكن لم يتم التصديق عليها التصديق النهائي بسبب تلاحق الأحداث باشتعال معارك الحرب العالمية الأولى وانضمام الدولة العثمانية لمعسكر دول الوسط ضد معسكر دول الوفاق وعلى رأسها بريطانيا، مما أنهى الوجود العثماني في منطقة الخليج في النصف الثاني من القرن الحالي كما نعرف.

---

(٤٥) Ibid -

(٤٦) Ibid -

إتفاقية بشأن الخليج

صاحب الجلالة ملك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا والأراضي البريطانية لما وراء البحار إمبراطور الهند.

وصاحب الجلالة إمبراطور العثمانيين.

أبدينا الرغبة الصادقة في تنظيم عدة موضوعات تتعلق بمصالحها الخاصة في الخليج الفارسي والأراضي المحيطة وقرر عقد إتفاقية خاصة لإنهاء أي سبب حالي لسوء الفهم بين حكومتيها فيما يتعلق بهذه الموضوعات ونتيجة لذلك قاما بتعيين مفوضين ذوي سلطة مطلقة:

- صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإمبراطور الهند.
- صاحب الجلالة إمبراطور العثمانيين.

- بعد اتصالات اتفاقا على ما يلي:

أولاً: الكويت

مادة رقم ١

حدود الكويت المنصوص عليها في المادة رقم ٥٧ من هذه الإتفاقية تمثل إقليماً مستقلاً.

مادة رقم ٢

يرفع شيخ الكويت العلم العثماني كما في الماضي مع وضع كلمة الكويت في الركن إذا رأى ويستمتع بالاستقلال الإداري الكامل في المنطقة الحدودية المبينة في البند ٥ من هذه الإتفاقية.

وسوف تمتنع الحكومة الإمبراطورية العثمانية عن التدخل في أمور الكويت

ويعني بذلك موضوع الخلافة وكل الأعمال الإدارية كذلك أي احتلال أو أي عمل عسكري في أراضي الكويت. وفي حالة خلو منصب الشيخ (وفاته) ستصدر الحكومة الإمبراطورية العثمانية فرمانا بتعيين قائمقمام ليخلف الشيخ المتوفي، ولها أيضاً سلطة تعيين ممثل لها لدى شيخ الكويت لحماية مصالح رعايا الأجزاء الأخرى للإمبراطورية العثمانية.

مادة رقم ٣ :

تقرر الحكومة الإمبراطورية العثمانية صلاحية الإتفاقيات التي عقدها شيخ الكويت من قبل مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٩٩م، ٢٤ مايو ١٩٠٠، ٢٨ يناير ١٩٠٤ حيث نصوصها ملحة (٣,٢,١) بالإتفاقية الحالية وتقرأ أيضاً صلاحية تخصيص الأراضي التي قام بتأجيرها الشيخ المذكور لحكومة صاحب الجلالة البريطانية والممتلكات البريطانية وكذلك التعهدات المعمول بها في البيان الموجه من وزير خارجية حكومة صاحب الجلالة البريطانية في تاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩١١ إلى سفير صاحب الجلالة الإمبراطور السلطان في لندن حيث النص ملحق (ملحق ٤).

مادة رقم ٤ :

ومن أجل استمرار التفاهم القائم فعلاً بين الحكومتين بالضمانات المتبادلة في ٦ سبتمبر ١٩٠١ بين سفارة صاحب الجلالة البريطانية «في القسطنطينية» والوزير الإمبراطوري للشؤون الخارجية.

تعلن حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنه طالما ليس هناك تغيير في لائحة الكويت من جانب الحكومة العثمانية كما هي مبينة في الإتفاقية الحالية فلن يتغير أي شيء في طبيعة العلاقات مع محمية الكويت ولن تقيم مجتمع على الأرض التابعة لها.

وقد أحيطت الحكومة البريطانية العثمانية علماً بهذا الإعلان.

مادة رقم ٥ :

يمارس شيخ الكويت استقلاله بنفسه في الأراضي حيث الحدود تمثل نصف دائرة وفي وسطها مدينة الكويت و« خور زير » في الطرف الشمالي وكرين في الطرف الجنوبي، وحدود هذا الخط باللون الأحمر على الخريطة الملحقة بالإ تفاقية الحالية (ملحق ٥).

ويتضمن الإتفاق جزر رابا، روبيان، ماشبان، فيلكة، أنها، كوبار، كارو، مكتا، وأم المرادين وبالتالي المياه المحيطة.

مادة رقم ٦ :

تعتبر القبائل التي توجد في الحدود المذكورة في البند التالي مسئولة من شيخ الكويت الذي يتولى جباية ضريبة العشر منهم كما في الماضي ويمارس بالنسبة لهم السلطات والمهام الإدارية الموكلة لديه بصفته قائمقام عثماني.

ولن تقوم الحكومة الإمبراطورية العثمانية بأي عمل إداري مستقل عن شيخ الكويت وستمتنع عن رقامة حاميات أو القيام بأي عمل عسكري أيًا كان بدون علم حكومة صاحب الجلالة البريطنية.

مادة رقم ٧ :

وقد رسمت الحدود كما هو واضح في البند السابق على النحو التالي :

يبدأ خط التحديد من الشاطئ حتى خور زير ناحية الشمال الغربي حيث يمر فوراً إلى جنوب أم قصر وصفوان وجبل كرم، وتترك هذه الأماكن وآبارها لولاية البصرة ويصل الخط إلى برين متابعًا نحو الجنوب الغربي حتى حفر الباطن بينما يتركه من ناحية الكويت، من هذه النقطة يتجه الخط المذكور حتى الجنوب الشرقي مع ترك آبار الصفا للكويت وكذلك القرمة، وأربا، وأنطا لكي يصل إلى لبحر قريبًا من جبل هنيفه، وهذا الخط محدد باللون الأخضر على الخريطة الملحقة بالإتفاقية الحالية (ملحق ٥).

مادة رقم ٨ :

في حالة إتفاق الإمبراطورية العثمانية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية من أجل توصيل الخط الحديدي من بغداد - البصرة حتى الكويت كمحطة وصول أو أي نهايات أخرى في الأرض العثمانية، تتفق الحكومتان على اتخاذ الإجراءات التي تخص حراسة الخط والمحطات كذلك إنشاء مكاتب الجمارك وضرائب التجارة وكل المنشئات البديلة في خدمة الحديدي.

مادة رقم ٩ :

يتمتع شيخ الكويت بحقوق الملكية الخاصة في الأراضي ولاية البصرة وهو آمن تمامًا. وحقوق الملكية الخاصة يجب أن تكون مطابقة للقانون العثماني أما الخيرات الثابتة المعنية تكون خاضعة للضرائب ونظام الحفظ والقوانين العثمانية.

ثانيًا : قطر

مادة رقم ١٠ :

أما حدود سنجق نجد العثماني فنجد أن الحد الشمالي المقرر بالخط المبين في المادة رقم ٧ من هذه الإتفاقية ينتهي نحو الجنوب مواجهًا لجزيرة الزخنونية والتي تتبع السنجق المذكور ومن الطرف البعيد للخليج المذكور يتجه خط مباشر إلى الجنوب حتى الربع الخالي ويمر بنجد في شبه جزيرة قطر. وحدود نجد محددة بخط أزرق على الخريطة الملحقة بالإتفاقية الحالية (ملحق ٥).

وقد تراجعت حكومة الإمبراطورية العثمانية عن المطالبة بشبه جزيرة قطر. وهناك إتفاق بين لحكومتين على أن جزيرة قطر تظل كما كانت في الماضي يحكمها الشيخ قاسم بن ثاني وخلفاؤه.

وتعلن حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها لن تسمح لشيخ البحرين بالتدخل في الأمور الداخلية لقطر أو التعرض لاستقلال هذا البلد أو ضمه.

مادة رقم ١١ :

سيكون مسموح لسكان البحرين بزيارة جزيرة الزخنونية من أجل صيد السمك ولإقاة بحرية كاملة أثناء الشتاء كما كان في الماضي بدون فرض أي ضرائب عليهم ... (١٦٢٨).

ثالثًا البحرين :

لقد تنازلت الإمبراطورية العثمانية عن كل التصريحات التي تخص الجزر البحرينية والتي تضم الجزيرتين الصغيرتين (لبنات الحيا - ولبنات الصافية) والتي تتمتع بالاستقلال عن هذا البلد. ومن جانبه فقد أعلن القائد البريطاني بأنه ليس عنده النيّة لضم هذه المناطق من الجزيرة البريطانية إلى حكمه.

مادة رقم ١٣ :

يتعهد القائد البريطاني من جانبه أمام الحكومة العثمانية بأن يسهر على حماية ما يجمعه الشيخ البحريني (الذي يحكم في ذلك الوقت) من لؤلؤ، وذلك ما يخص العثمانيين من حقوق في صيد هذا اللؤلؤ من أجل فرض ضريبة أعلى على الذين يهتمون بجمع هذه اللآلئ.

مادة رقم ١٤ :

إن ممتلكات الشيخ البحريني ستعتبر أجنبية في الأراضي التي تحت الحكم العثماني ويمكن أن تحتمي بواسطة القنصليات البريطانية. وأحيانًا هذه الحماية يمكن أن تمارس في شكل قواعد عامة مستقاة من القانون الأوروبي، وفي هذه الحالة فإن ممتلكات الشيخ البحريني ليس لها الحق في الامتيازات المنصوص عليها في الاتفاقيات الأجنبية الخاصة ببعض القوى.

رابعًا : الخليج الفارسي

مادة رقم ١٥ :

إن الحكومة البريطانية لها الحق في حماية ما يخصها كهدف إنساني رفيع

المستوى، كذلك لها الحق في التدخل على شكل إجراءات بوليسية بحرية في المياه الدولية للخليج الفارسي، أيضًا لها الحق في الدتخل لحماية الشاطئ الخاص بالمشايخ الذين يحكمون من المنطقة الجنوبية حتى المحيط الهندي، ومن ناحيتها فإن الإمبراطورية العثمانية يجب أن تحترم وتقدر أهمية هذه الجهود (التي من حقها منذ القدم) وألا تعارض الجانب البريطاني الذي له الحق في الخليج الفارسي منذ زمن بعيد وحسب الإجراءات الآتية:

١ - الجانب البريطاني له الحق في سير غر مياه الخليج، كذلك إنارة الفنارات ووضع المنشورات الخاصة بإرشاد السفن.

٢ - تقوم بريطانيا بأعمال الحراسة البحرية.

٣ - لبريطانيا الحق في ممارسة الإجراءات الخاصة بالحجر الصحي في هذه المناطق وهذا الرجراء يسرى لمدة أربعين عامًا.

ومن ناحيتها فإن الإمبراطورية العثمانية لها الحق في أن تحتفظ بحقوقها كقوة عظمى على شاطئ الخليج الفارسي وكذلك على الأرض التي تقع تحت الحكم العثماني.

خامسًا: لجنة التحكيم

مادة رقم ١٦ :

إن الجانبان العثماني والبريطاني متفقان على تعيين المحكمين اللذان سيطبقان على أرض الواقع الحدود المتفق عليها لوضع عشرة بنود على شكل خطة مفصلة. وهذه البنود المتفق عليها سيتم التصديق علها بواسطة المحكمين المتفق عليهم من الطرفين.

مادة رقم ١٧ :

هذه الاتفاقية سيتم التصديق عليها في لندن خلال ثلاثة أشهر على أقصى تقدير وغير قابلة للتغيير أو التبديل.

وقد وقع المندوبون على الإتفاقية الحالية ووضعوا أختامهم عليها.

وقعت في لندن من أصل مزدوج في ١٩١٣

وطرحت للاستفتاء في ٦ مايو ١٩١٣

الأمير عبدالعزيز آل سعود
والسياسة البريطانية في الخليج العربي
في الربع الأول من القرن العشرين

في مطلع القرن العشرين كانت الأحوال العامة في الجزيرة العربية والخليج العربي تتلخص في بعض الوحدات السياسية التالية:

كان عبدالعزيز آل سعود قد أصبح أميراً على نجد، بعد أن بسط نفوذه فيها وجعل من مدينة الرياض عاصمة له، بينما كان ابن الرشيد أميراً على جبل شمر وعاصمته مدينة حايل. إلا أن الأمير عبدالعزيز آل سعود انتصر على ابن الرشيد في موقعة البكيرية، واستطاع بذلك أن يكسب الجولة الأولى من الصراع بين الرجلين ثم نجح فيما بعد من ضم إمارة حايل ومنطقة جبل شمر نهائياً، بعد أن اضطر أميرها طلال بن الرشيد إلى التسليم.

أما في جنوبي الجزيرة فقد بسط الإدريسي سيطرته على عسير، أما المناطق الأخرى المطلة على الخليج العربي مثل الكويت والبحرين ومسقط وقطر، حضرموت فقد بقيت تحت سيطرة حكامها العرب، غير أن النفوذ الحقيقي كان لبريطانيا التي كانت تهدف للسيطرة على المنطقة وأبعاد أي نفوذ آخر عنها. وكانت الدولة العثمانية تحاول عبثاً - أن تنشط في بعض المناطق العربية مثل محاولة دعم نفوذها في الأحساء، ومساعدة ابن الرشيد في حايل قبل هزيمته على يد الأمير عبدالعزيز آل سعود.

في تلك الأثناء أيضاً كانت حمى الاستعمار قد انتابت الدول الأوروبية الكبرى بعد أن كانت هذه الدول في نهاية القرن التاسع عشر مشغولة بتدعيم كيانها وتثبيت وحدتها، وظهرت في الوجود دولتان جديدتان أصبحتا في عداد الدول الأوروبية الكبرى هما: ألمانيا وإيطاليا. ووجه رؤساء هذه الدول سياسة بلادهم نحو استعمار أراضي جديدة، أو إنشاء مناطق نفوذ لسد حاجات بلادهم الاقتصادية أو الاستيلاء على قواعد بحرية جديدة، ورفع مهابة الدولة وزيادة نفوذها، وكانت السياسة الألمانية في عهد إمبراطورية وليام الثاني (١٨٩٠ - ١٩١٤) تعتمد على كسب صداقة السلطان العثماني، ومحاولة التودد إلى

المسلمين عامة، بل أنه أعلن أنه حام وصديق للمسلمين، وذلك لكي يجد مخرجاً له لبسط نفوذه في الشرق، فعمل على مساعدة الدولة العثمانية بتدريب جيشها وتسليحه، وتوطيد علاقاته معها، كما عمل جاداً بالفعل لتنفيذ خط سكة حديد برلين - بغداد بامتداده إلى البصرة على الخليج العربي بصفة خاصة، وفي هذا تهديد للمصالح البريطانية في هذه المنطقة التي تحاول بريطانيا احتكارها لأهميتها الاقتصادية والإستراتيجية خاصة وأن الشركة الإنجليزية للبترول تحاول أن تتحكم في تلك الأجزاء وتعتبرها مركزاً هاماً لنشاطها في استخراج الزيت. كما أن الوجود الألماني عن طريق الدولة العثمانية في هذه المنطقة يهدد المصالح البريطانية في منطقة المحيط الهندي الشريان لبريطانيا وبلاد الشرق الأقصى.

وكانت الهند البريطانية هي التي تقوم بتنفيذ السياسة البريطانية في تلك الجبهات، كما كانت تعمل على تنفيذ برامج حكومة لندن وتوجهاتها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية في بلاد الشرق بوجه عام. لذلك حرصت حكومة الهند البريطانية على إقصاء أي نفوذ دولي في الخليج العربي سواء يتمثل في الدولة العثمانية أو حليفاتها ألمانيا كما كانت تراقب بحذر التطورات السياسية في داخل الجزيرة العربية، بعد النجاح الكبير الذي أحرزه الأمير عبدالعزيز آل سعود بعد أن ثبت نفوذه في نجد وما حولها أخذ يرنو ببصره إلى منطقة الخليج، مما أزعج السياسة البريطانية، خاصة وأن الأمير عبدالعزيز آل سعود في ظل التوجه الإسلامي أعلن عن عزمه زيارة مسقط والساحل في ذلك العام ١٩٠٤م، فخشيت بريطانيا أنه بذلك يعيد سياسة أسلافه بفرض الزكاة والتوجه الإسلامي على مسقط وغيرها، مثلما كان الحال في عهد الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي عام ١٨٨٦م.

وكما سبق القول فإن السياسة البريطانية ممثلة في حكومة الهند البريطانية تعمل على دعم نفوذها ووجودها في الخليج، وتجد تبريراً على ذلك تحت ستار ودعوى أنها تكافح «القرصنة» و«تجارة الرقيق»، وأنها بذلك حققت سياسة ما

أسماه اللورد كريزون السلام البريطاني، عن طريق سلسلة من المعاهدات مع شيوخ وأمراء ساحل الخليج العربي[١]، فاكتسبت بريطانيا بذلك وضعاً متميزاً لدرجة أنه أصبح المقيم البريطاني في الخليج الحاكم الفعلي في هذا النطاق، وأن ظلت عازمة في عدم سياسة التدخل في الظهير العربي[٢]، ولذلك نرى أن بريطانيا كانت تحول دون تدخل الشيخ مبارك حاكم الكويت. وقد فطن عبدالعزيز آل سعود إلى هذه الناحية رغم قناعته التامة بصورة نشطة في الكويت في سياسة الصحراء حتى لا يتدخل الأتراك بصورة نشطة في الكويت. وقد فطن الأمير عبدالعزيز آل سعود إلى هذه الناحية رغم قناعته التامة بأن الوجود العثماني في منطقة الأحساء وجوداً هشاً، ومع ذلك فهو يكاد يخنق مراميه[٣].

لكل ذلك وما عداه بدأ اهتمام عبدالعزيز آل سعود بمنطقة الخليج العربي وركز جهده وفكره للقضاء على الهيمنة الأجنبية وتدعيم السلطة العربية في الخليج.

مما تقدم يتبين لنا أن الحكومة الهندية أصبحت تنظر إلى طموحات الأمير عبدالعزيز ابن سعود في الخليج بعين الحذر خشية أن يؤدي ذلك إلى إلحاق الضرر بالرعايا البريطانيين المقيمين من جهة، وحدوث تضارب بين القبائل العربية المتحالفة مع بريطانيا من جهة أخرى.

ولذلك اعتبر السفير البريطاني في القسطنطينية أن ثمة نتائج خطيرة ستنشأ من إعادة تكوين سلالة سلفية وهابية على حد قوله – حاكمة على يد عبدالعزيز، وأن المسألة ستصبح أكثر تعقيداً إذا اعترفت به الحكومة العثمانية واعترف من جانبه بسيادة السلطان ثم أن السياسة البريطانية حتى ذلك الوقت كانت منقسمة على نفسها، فالخارجية البريطانية اتخذت خطأ بعدم التورط مع حكام نجد في أي

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ – ١٩٤٧. دراسة وثائقية ط. أولى ١٩٨١ دار المريخ الرياض ص ٨.

(٢) حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليخ العربي. ط. أولى دار المريخ الرياض ص ٢٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٨.

علاقة، بينما كانت حكومة الهند تريد اتخاذ عدة تدابير من بينها توجيه تحذير بعدم التدخل في عمان أو الساحل المتصالح فضلاً عن تقديم مساعدة عسكرية من السفن البريطانية في الخليج إلى الشيوخ هناك في حالة الضرورة وفرض حظراً صارماً علي استيراد الأسلحة للكويت وغيرها، وإن كان ثمة خشية من هذا الإجراء الأخير أن يمتد هذا الخطر إلى الأسلحة المستوردة للرعايا البريطانيين(٤).

لكن جاءت زيارة الأمير عبدالعزيز للأحساء في أغسطس ١٩٠٥م مفاجأة كاملة فلقد مكث هناك أيام وقام باستدعاء الأهالي ونشر السلام بين البدو وصالح بين العجمان والقبائل الأخرى واتخذ موقفاً حازماً بعقوبة أي شخص يرتكب جريمة السرقة(٥)، مما يعني أنه حرص على تطبيق أحكام الشريعة في الأحساء قبل أن تصبح تحت سيطرته الفعلية بثمان سنوات. ثم أنه في تحركاته السريعة لجمع شمل ما تفكك من أجزاء الجزيرة العربية كان حريصاً على أن يستعيد كل ما كان تابعاً للدولة السعودية الأولى والثانية.

ومما يلفت النظر طاعة العسكر الترك لأوامره ويبدو أن ذلك جاء كرد فعل لتأثير التسوية التي كان أبرمها الإمام عبدالرحمن ابن فيصل والد عبدالعزيز في صفوان مع المسئول العثماني، والتي تم الاعتراف فيها بوضع الأمير عبدالعزيز الجديد في نجد وبقبوله للسيادة العثمانية في مناطق أخرى بمعنى أن تكون إمارة القصيم كمنطقة حاجزة بين «حائل» و«نجد»(٦) فليس من المستبعد أن اعتبر وجود الترك في الأحساء أمراً لا يثير القلق بحكم العلاقة الجديدة والتي استطاع توظيفها بذكاء، إذا استمال إليه شيوخ القبائل من مره وبني هاجر ودخلوا في طاعته. إلا أنه يبدو أن لتلك الزيارة أثرها في العام التالي ١٩٠٦ ضد الترك في

(٤) Kumar, Ravinder: India and the persain Gulf Region 1858 - 1907. 200 - 201.

(٥) F.O. 406/27: India pffice to foreign office No. 31-662 India office, Feb 22.1906.

(٦) F.O. 406/27: Inc IQ in No. 31: From Khalid Bin Abdallah - es - Soucidin to Sheikh Saeed Bin Khalifa 27th jammed es Sani 1323 / August 29, 1905.

« الهفوف » حينما نظر الناس بعين الريبة إلى المطلب التركي حينما شرعوا في أخذ إحصاء رسمي للسكان والأغنام في واحة الأحساء فرفضوا تنفيذ ذلك، مما كان مدعاة لأن تركز القوات العثمانية قواتها في قلعة الفهوف، بعد أن تم إخلاء المخافر الأمامية العسكرية التركية(٧).

وفي أعقاب زيارة الأمير عبدالعزيز للأحساء قام بزيارة أخرى لقطر وأرسل عدة رسائل إلى الرؤساء المتصالحين عبّر فيها عن نيته لزيارة أقاليمهم في ربيع عام ١٩٠٦م(٨) وجاء في رسالته إليهم: « أن بلادنا طيبة بمشيئة الله ». أني أكتب لأخبركم بأنني حضرت إلى هذه الأجزاء بسبب الخلاف الذي وقع بين قبيلة يام « العجمان » زرت قطر وأنجزت مصالحه بين المختلفين وعاقبت المذنبين. كان هناك اقتراح بالبقاء للبت في بعض الأمور ولكن حرارة هذا البلد ساخنة جداً. وأنني أعتقد أنه من المرغوب فيه أخباركم بذلك وسوف يزودكم حمد الحربي بتفاصيل أكثر(٩).

مما تقدم يتبين لنا أن الأمير عبدالعزيز حرص على ممارسة بعض السلطة والنفوذ على هذه البلاد من خلال هذه التحركات، ويحاول في نفس الوقت جس نبض بريطانيا في الخليج بالوقوف على رد الفعل نتيجة إطلالته على ساحل الخليج.

حقًا تلقى شيوخ الهناوية في كل من أبو ظبي ودبي هذه الرسائل بنوع من القلق خشية الحد من سلطتهم، بينما في المقابل إتاحة الفرصة لشيوخ الغافرية للقيام بالتخلص من حكم شيوخ الهناوية (حكام أبوظبي ودبي) والذي زاد عن عشرين عاماً. فلا غرابة أن اعتبر الشيخ زايد بن خليفة الأمر خطيراً(١٠) سيما وأن

(٧) Kumar, Ravinder: or. cit P 204.

(٨) F.O. 406/28: India Office to Foregn Office. Inc. in No. 35. Memorandum of Information received during the Month of April 1906 external Affairs relating to Arabia.

(٩) F.O. 406/28: Ibid: Rnc. I in No. 31. Government of India to Mr. Morley. Forst William, Jan 11,1906.

(١٠) F.O. 406/27. Enc. 9 in No. 31. from Abdul-Aziz-bin Abdul Rahman-Bin Saood, to the chief of Oebai. 20th Jemad El Sani 1323 (August 22, 1905)

الشارقة وأم القوين قد أيدا خصوم الشيخ زايد، فالغافريون أصبحوا في مقاومة موحدة، لزايد ومن الممكن أن ينظروا إلى طلب ابن سعود بترحاب كبير. لذلك كان الشيخ زايد متشوقًا للغاية كي تتخذ حكومة الهند خطوات من شأنها الحيلولة دون تحرك الأمير عبدالعزيز تجاه الساحل المهادن، وأن تصدر الأوامر إلى شيوخ الغافرية بألا يقعوا تحت تأثير الأمير عبدالعزيز(١١).

الملاحظ أن حكومة الهند البريطانية في تعاملها مع هذه الأزمة كانت حذرة، فهي لا تريد الاحتكاك معه مباشرة، ففضلت استطلاع رأي شيوخ الكويت بحكم صداقتهم مع الأمير عبدالعزيز، عما إذا كانت تطلعات أمير نجد للساحل المهادن جادة، وأن على الشيخ جابر تثبيط همته خاصة أن هؤلاء الرؤساء مرتبطين بمعاهدات مع حكومة الهند(١٢).

لكن الخارجية البريطانية لم تكن مطمئنة لمثل هذا الإجراء غير المباشر مع الأمير عبدالعزيز وأنها ترى من الأجدى توجيه تحذير إليه في حالة ظهوره على الساحل(١٣) وفي نفس الوقت يتم توجيه تحذيراً إلى الرؤساء المتناحرين، وحتى لا تتضرر المصالح التجارية البريطانية على الساحل من جراء التضارب بينهم وبين الأمير عبدالعزيز(١٤).

كذلك تابعت الخارجية البريطانية بقلق بالغ انتصار الأمير عبدالعزيز على ابن الرشيد في حائل، باعتبار أنها قلعة إمارة نجد، مما يتيح الفرصة أكثر لإعادة الحكم السلفي في قلب الجزيرة العربية ومن ثم تعزيز الأهمية المتزايدة لابن سعود مما

---

(١١) سمور زهدي، عبدالمجيد: الوضع السياسي في ساحل الصلح البحري ١٨٥٦ – ١٩١٤. رسالة دكتوراه غير منشورة آداب القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٢٦.

(١٢) F.O. 4Q 6/27: Inc. in No. 46: From Major Cox to Goverment of India. Bushire, Feb 4, 1906.

(١٣) F.O. 406/28 Inc. in No. 15 Mr. Morley to Governor Gerneral the Earl of Minto. India office April 13, 1906.

يستلزم مراقبة علاقاته مع شيوخ الكويت والرؤساء المهادنيين بحذر أكبر(١٥)، سيما وأن هذا الانتصار قد قلب رأساً على عقب تصورات شيخ الكويت لتعامله مع كل من الأمير عبدالعزيز وابن الرشيد إذ كان من رأيه أن يكون لعبدالعزيز نجد ووادي الدواسر فقط، بينما لابن الرشيد حائل وشمر، في حين اختص الشيخ مبارك لنفسه الكويت، فضلاً عن التحكم في القبائل التي تحتل هذه الأماكن وذلك من خلال تصوره لتعاهد ثلاثي تقدم به في أثناء محادثاته مع المقيم في الخليج العربي(١٦).

ألا أن حكومة الهند رفضت بشدة أي تورط لشيخ الكويت في أمور وسط شبه الجزيرة العربية(١٧) وذلك على الرغم من التسليم بأن محاولات الشيخ بين عبدالعزيز وابن الرشيد إنما هدفها منع الحرب التي تهدد رفاهية إقليم الشيخ وتجارته(١٨). غير أن انتصار الأمير عبدالعزيز أفسد على شيخ الكويت خطته، خاصة عندما أعلن نفسه حاكماً لكل الشرق، وأرسل عدة رسائل إلى القسطنطينية وولاة البصرة وبغداد والحجاز وشريف مكة ينبئهم فيها بما أحرزه من انتصار(١٩).

كان من الطبيعي ألا تطمئن الدولة العثمانية لهذه التطورات الجديدة، إذ أنها كانت تؤيد ابن الرشيد وتمنحه مخصصات منتظمة حرصت على استمرارها(٢٠)، بينما أعطى الأمير عبدالعزيز أوامره إلى كل القبائل في نجد بالكف عن الاتصال مع

---

(١٥) F.O. 406/27: India office to Foreign office 10543, March 24, 1906. also see: F.O. 406/28 Inc in No. No. 6A. Mr. Morley to Government of India. India office, April 9, 1906.

(١٦) F.O. 406/28: Sir Edward Grey (No. 292) Constantinople, May 1, 1906.

(١٧) F.O. 407/28: Inc. 2 in No. 25. Note of a conversation between the Resident in th persian Gulf and Sheikh Mubarak of Koweit, dated March 7, 1906.

(١٨) F.O. 406/32: India Office to Foreign office. 33052. India office, Oct 3, 1907.

(١٩) F.O. 406/32: Inc. in No. 9. Government of India to Mr. Morley. Simla, Sep 26, 1907.

(٢٠) F.O. 407/28: sir N.O' Conor to Sir Edward Grey (no. 400 Cofid.). therapia, June 11, 1906.

الرسميين الأتراك والقوات التركية، والتوقف عن حمل بريدهم وإمداداتهم وذلك بلغة تهديد بعقاب صارم إذا لم يتمثلوا تماماً لأوامره. وبالفعل استجاب أولئك الذين كانوا لا يزالون يساعدون الترك فأبلغوا ضباطهم بأنه ليس لديهم ما يفعلونه معهم في المستقبل وأنهم سيكفون عن حمل بريدهم ومؤنهم(٢١)، الأمر الذي يعني عرقلة الاتصالات بين القوات التركية من جهة وتوفير السيطرة المتنامية لعبدالعزيز من جهة أخرى.

وإذا كان الأمير عبدالعزيز لم يقم بزيارة الساحل المهادن مرة أخرى، إلا أن رسالته المهذبة إلى الشيخ مبارك قد أكدت على أكثر من معنى، فهو يؤكد على أن أهل عمان كانوا متوافقين مع آل سعود، منذ أن كانوا في الكويت وأنه إذ يعترف بإرساله عدة رسائل لكنها تحمل براعة سياسية من الأمير عبدالعزيز فهو لا يريد الصدام مع بريطانيا في الخليج، لأنه كان يريد أن يتفرغ لبناء قوة كبيرة في قلب الجزيرة العربية، حتى يستطيع الظهور مرة أخرى على ساحل الخليج، حيث وضع نصب عينيه استرداد الإحساء، لأنه أدرك أهمية وجود منفذ لبلاده على ساحل الخليج، مع تأمين القوافل البحرية التي تعرضت للكثير من الاعتداءات(٢٢).

وفي ٩ مايو ١٩١٣م تهيأت الفرصة للأمير عبدالعزيز لإحكام قبضته على الأحساء، بعد أن استسلم المتصرف التركي وجنود الحامية، فمنحهم الأمان، حيث تركهم يرحلون إلى البحرين(٢٣) وإن كانوا قد حاولوا الارتداد مرة ثانية إلى القطيف تارة والعقير تارة أخرى، إلا أنهم فشلوا فاحتج الأمير عبدالعزيز على تلك التحركات في مياه البحرين لدى السلطات البريطانية في الخليج(٢٤) هكذا

(٢١) F.O. 406/28: Sir N'O Conor to sir Edward Grey (No. 413) (f1)therapia, June 18, 1906.

(٢٢) F.O. 406129: Sir NoO Conor to Sir Edward Grey (Nb. 444) Constantinople July 3, 1906.

(٢٣) F.O. 406/28: India office to Foreign office Inc 2 in No. 37 political Agent, Koweit, to Major Cox. Feb 25, 1906.

(٢٤) F.O. 406/28: India Office to Foreign Office. Inc 2 in No. 37. political Agent, Koweit, to Major Cox. Feb 24, 1906.

أصبحت سيطرة عبدالعزيز على الأحساء بمثابة قوة عازلة بين النفوذ العثماني في شمال الخليج وبين إمارات الساحل المهادن.

لكن من الثابت أن شيخي أبوظبي ودبي أثيرت مرة أخرى مخاوفهما، فقررا دعوة أنصارهما من زعماء البدو لمواجهة أي نشاط سعودي قادم، خاصة وأن الأمير عبدالعزيز ضم إلى ممتلكاته صحراء شاسعة شملت الجافورة وواحة جرين(٢٥). فقام الشيخ حمدان بن زايد حاكم أبو ظبي بتعزيز قواته واستيراد كميات كبيرة من السلاح والذخيرة، إلا أنه حينما ظهر اتخذت بريطانيا احتياطاتها لمنع أي تقدم سعودي لمنطقة الساحل العماني، فعادت الطمأنينة للشيخ(٢٦)، إذ حرصت بريطانيا على ألا يقع الصدام بين أي من القوات الحليفة معها وبين الأمير عبدالعزيز درءاً لوقوع المشاكل(٢٧).

وليس بخاف أن عبدالله ابن جلوي حاكم الأحساء السعودي قد سعى لتحقيق تطلعات ابن سعود في السيطرة على الساحل العماني، والمقاطعات العمانية المستقلة عن سلطنة مسقط، سيما وأن قبائل البريمي والظاهرة كانت تميل إلى الدعوة السلفية وفي عداء مع الأباضية(٢٨) وأصبح على بريطانيا التمسك بسياسة موحدة للخليج على أساس أنه يمثل كياناً سياسياً واحداً، إذا اقتضت دواعي الأمن الربط بين كل أجزاء الخليج لكي تتحقق السيطرة الفعالة عليه(٢٩) وذلك مع الحفاظ على ممتكات تركيا في آسيا(٣٠) والتي أكدتها إتفاقية ٢٩ يوليو

---

(٢٥) محمد عرابي نخلة، تاريخ الأحساء السياسي ٨١٨ - ١٩١٣. منشورات ذات السلاسل الكويت. ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢٦) المرجع السابق ص ٢٣٣.

(٢٧) F.O. 371/1820: 22067 Minute by A.P., 20 May 1913.

(٢٨) جمال قاسم (الدكتور) الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ - ١٤٥ ط. أولى ١٩٨٣ ص ٢٩٣ ت ٢٩٤.

(٢٩) المرجع السابق ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣٠) عبدالعزيز عبدالغني (الدكتور): السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ - ١٩٤٧ دراسة وثائقية. دار المريخ الرياض ١٩٨١م ص ١٧٣.

١٩١٣م، كما اعترفت كل من بريطانيا والدول العثمانية على أن الجزئيين الساحلي والداخلي الغربي والممتدين من الشمال إلى الجنوب من نقطة كائنة في البر الرئيسي حيال جزيرة زخنونية، حتى الدرجة « ٢٠ » من خط العرض في صحراء الربع الخالي، إنما يختصان بسنجق نجد[٣١].

وفي الواقع لقد أراد الأمير عبدالعزيز تقارباً مع بريطانيا بتخفيف غلواء المطالب التركية وذلك لإدراكه أن المعاهدة البريطانية التركية تعتبره ضمناً من رعايا الدولة العثمانية. فهو لا يريد قيود تركية تحجم قطعًا من نمو وتطور دولته الناشئة، إذا كانت اشترطت عليه شروطًا رفضها في البداية وكانت على النحو التالي:

(أ) القبول مجدداً بالحاميات التركية في الإقليم وساحل الأحساء كما كانت سابقًا.

(ب) تعيين القضاة وسائر الموظفين العدليين بفرمانات مباشرة يصدرها السلطان.

(ت) أن يدفع ضريبة سنوية قدرها ٣٠٠٠ ليرة لتركية.

(ث) إحالة جميع المراسلات من الدول الأجنبية أو من ممثلها إلى السلطات التركية تتصرف فيها كيفما تشاء.

(جـ) إبعاد جميع التجار والوكلاء من الأقاليم.

(حـ) التعهد بأن لا يمنح أية امتيازات لأية شركات أجنبية[٣٢].

من الواضح أن بريطانيا وجدت في الشروط الثلاثة الأخيرة تعارضًا مع مصالحها فهي لابد أن تشكل حاجزاً في التعامل بينها وبين الأمير عبدالعزيز، فلا غرابة أن احتجت على تلك البنود الثلاثة الأخيرة، وحددت مطالبها بدورها على النحو التالي:

---

(٣١) المرجع السابق ص ٢٩٦ – ٢٩٧.

(٣٢) إيمان محمد عبدالمنعم عامر: سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٩١٤ – ١٩٣٩ رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة القاهرة ١٩٨٤ ص ١٧ – ١٨.

١ – ألا يتدخل الأمير عبدالعزيز في أراضي أو سياسات الإمارات العربية في الخليج، وفي جملتها الساحل المتصالح مع قطر.

٢ – أن يساعد في التقيد بالهدنة البحرية وتأيدها، أي قطع القرصنة وقطع دابر الأعمال العدوانية.

٣ – أن يساعد على قمع تهريب الأسلحة.

٤ – السماح للتجارة البريطانيين بالدخول إلى القطيف دون قيود ومعاملتهم معاملة حسنة(٣٣).

وإذا كان الأمير عبدالعزيز قد وقع معاهدة مع والي البصرة ممثلاً عن الدولة العثمانية في ١٥ مايو ١٩١٤م، حيث قبل بصيغة القسطنطينية، ألا أنه أدرك أنها لا تجرؤ على تنفيذها ولكنها وضعت لحفظ ماء الوجه، ثم أنه برر أقدامه على الإتفاق بأنه كان تمهيداً للتخلص من العثمانيين، في الوقت الذي ازداد فيه حرصه على جمع شيوخ الجزيرة العربية في سياسة موحدة ضد الترك(٣٤).

وليس صحيحاً أن السلطات البريطانية لم تكن تدرك من أمر هذا الإتفاق شيئاً، حتى تسربت أخباره(٣٥)، فالثابت أن الأمير عبدالعزيز أطلع بنفسه الممثلين البريطانيين على مسودة الإتفاق الذي كان الأطراف يحاولون حمله على القبول به، وطلب فعلاً الوساطة البريطانية كما أنه في ٩ مارس ١٩١٤م قدمت وزارة الخارجية مذكرة إلى حقي باشا الذي كان يجري آنذاك مفاوضات في لندن باسم الحكومة العثمانية، أوضحت فيها حراجة موقف حكومة صاحب الجلالة بالنسبة للأمير عبدالعزيز واستشهدت بالشروط التركية دون ذكر المصدر، الذي أفاد بهذه المعلومات، مما كان موضع دهشة للجانب التركي(٣٦).

(٣٣) المرجع السابق ص ١٧٢.

(٣٤) F.O. 391/3390: Momorandum on British Commitments to Bin Saud. Specual 7, Nov. 18, 18, 1918.

(٣٥) F.O. 371/3390: Ibid.

(٣٦) عبدالعزيز عبدالغني (الدكتور): المرجع السابق ص ١٧٧ – ١٧٩.

والواقع أن الاتصالات بين ابن سعود وبريطانيا لم تنقطع، بل أنها ازدادت بعد إعلان الحرب بين تركيا وبريطانيا في ٣١ اكتوبر ١٩١٤م. ولم يلتزم الأمير عبدالعزيز بتنفيذ المادة ١٢ من معاهدته مع تركيا التي كانت تلزمه بتقديم قوة تعاون قواتها الخاصة، إذا طلبت منه ذلك في حالة نشوب حرب بينها وبين دولة أجنبية، فالملاحظ أنه تحاشى المساعي التركية لإقامة تعاون عسكري بينه وبين ابن الرشيد، فزاد تبعاً لذلك حرص بريطانيا على التقارب معه من خلال تكثيف الاتصالات، بهدف مساعدتها على حفظ السلام في شبه الجزيرة العربية إذا حدث عدوان تركي يؤدي إلى الحرب. كما طلبت منه التعاون مع شيخي الكويت والمحمرة لانتزاع البصرة من الأتراك أو على الأقل الحيلولة دون وصول الإمدادات إلى البصرة مع اتخاذ جميع الإجراءات الممكنة لمنع سلب التجار البريطانيين أو نهب ممتلكاتهم في مدينة البصرة وما جاورها. وفي مقابل هذا التعاون تتعهد بريطانيا بالتصدي لأي عدوان من الأتراك ضده بما في ذلك صد أي هجوم بحري على ساحل الخليج كما أنها على استعداد الاعتراف به كحاكم مستقل على نجد والأحساء والدخول معه في مفاوضات لعقد معاهدة بهذا الشأن[٣٧].

وإذا كان الأمير عبدالعزيز قد رحب بهذه الخطوط العامة مؤكداً من جانبه على بذل جهوده لتعزيز المصالح المشتركة لجميع الأصدقاء، إلا أنه اعتبر الوثيقة البريطانية رسالة غامضة لم تحدد ما إذا كانت التأكيدات قاصرة على الحرب الراهنة فقط، أم أنها تشمل المستقبل أيضاً «فلا يمكن اعتبارها صكاً ملزماً للفريقين في المستقبل» فاعتبر التعاون المقترح إنما هو مرهون لفترة استمرار الحرب[٣٨]. ومن هذا المنطلق شعرت بريطانيا أن الأمير عبدالعزيز لا ينوي التخلي عن موقفه القيادي

---

(٣٧) المرجع السابق ص ١٧٨.

(٣٨) F.O. 391/3390: Momorandum on British Commitments to Bin Saud. Special 7, Nov. 18, 18, 1918.

في الحرب، حتى يبرم معاهدة معها، فهو لا يخط خطوة أخرى نحو جعل القضايا أكثر سهولة بالنسبة لها أو أكثر صعوبة بالنسبة للدولة العثمانية.

كانت مطالب الأمير عبدالعزيز واضحة وصريحة، فهو يريد اعتراف بريطاني بمركزه فتقر الحكومة البريطانية بأن «نجد» و«الأحساء» و«القطيف» والمناطق المجاورة لها والمرافئ الخاصة بها على ساحل الخليج العربي، إنما تخصه وأنها بلاد آبائه وأجداده وأنه حاكمها المستقل ومن بعده أولاده والمنحدرون منهم بالوراثة، وأن تلك المناطق هي بلاد مستقلة، ولا يحق لأي دولة أجنبية التدخل فيها. كما لا يسمح لأي أجنبي بالاستيلاء على شبر واحد من أراضيها، وأنه يتعهد بحماية السواحل والمرافئ الواقعة تحت سلطته من كل عدوان على رعايا الدولة البريطانية وأولئك الخاضعين لحمايتها. كذلك أبدى استعداده لفرض حظر على تهريب الأسلحة والذخيرة، سواء كانت على يد حكومة أو بواسطة تجار من جميع المرافئ الواقعة تحت سلطته، على شرط أن توفر له الحكومة البريطانية احتياجاته منها ثم أكد على استمرار إخضاع جميع السلطات القانونية القائمة في أراضيه، وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية، على أن تطبق على جميع المقيمين، سواء كانوا من رعاياه أو من رعايا البلدان المتاخمة(٤١).

حقًا أنه من منظور المصلحة البريطانية ليس هناك أعباء ثقيلة تضاف على عاتق بريطانيا في المنطقة تبعًا لمطالب الأمير عبدالعزيز، بل أنها كانت تطمئن لازدياد قوته وغلبته على منافسيه مما يساعدها فيما إذا دعيت للعمل كوسيط بين شيوخ العرب على ساحل الخليج للاستعانة به لاعتبارين:

الاعتبار الأول :

إن سيطرته شديدة على القبائل البدوية، مما يمكن أن تمنح زخمًا عظيمًا للتجار عبر مرافق الخليج العربي. ثم أنه من الممكن تحويل بعض التجارة المارة في مرافئ البحر الأحمر إلى الخليج العربي.

الاعتبار الثاني :

النفوذ الكبير الذي يتمتع به الأمير عبدالعزيز لدى الرأي العام الإسلامي داخل أراضي الجزيرة العربية، مما يمكن أن يزداد عند تفكك الدولة العثمانية وتصبح خلافة السلطان العثماني أمراً مشكوكاً فيه.

لذلك جرت التصورات البريطانية على المناطق الساحلية التي أصبحت في قبضة الأمير عبدالعزيز على عدة أُسس لعل أبرزها :

١ - استقبال ممثل للحكومة البريطانية أما في عاصمته أو في مرفأ بحري أو في كليهما معاً إذا شاء.

٢ - جباية الرسوم الجمركية بمعدلات معقولة، مع الأخذ في الاعتبار المعدل السائد في البحرين والكويت.

٣ - الموافقة على إقامة مكتب للبريد وربما أيضاً مكتب للبرق في مينائه، عندما يحين الوقت لذلك(٣٩).

وفي ٣٠ يناير ١٩١٥م أرسل مكتب الهند إلى الخارجية البريطانية برقية احتوت على عدد من الملاحظات الهامة، إذ جاء فيها :

«إن الرغبة في إبرام معاهدة مع الأمير عبدالعزيز لا تنبع فقط من مقتضيات الساعة التي توجب كسب صداقته بأي ثمن، بل كذلك للوضع العام الذي سينشأ في الخليج نتيجة للحرب الراهنة، خاصة زوال الحكم التركي من البصرة. الأمر الذي أخذته حكومة حضرة صاحب الجلالة على عاتقها. فالمتوقع أن تخلو الساحة لابن سعود، فيصبح السيد المطاع ليس على وسط الجزيرة العربية فحسب. بل كذلك على الرقعة المستطيلة من الساحل. ولا مندوحة للدولة المسيطرة على الخليج من أن تجري معه تسوية عملية للحفاظ على الأمن والسلام. ولذا فالمدى الذي يجب أن تقابل به مطالبة ينبغي أن يقاس فقط بالخدمات الفورية التي

---

(٣٩) F.O. 371/3390: Ibid.

سيؤديها بل كذلك على أم كان ما يملك من طاقة على الأضرار في حالة انتصاره وهو بلا شك سيمارس ذلك إذا تم التخلي عنه بصورة نهائية»[٤٠].

إذا كانت الخارجية البريطانية، قد أعطت الضوء الأخضر بإبرام معاهدة مع الأمير عبدالعزيز إلا أنه يلاحظ الإشارة فيها بتوصية على أن تشتمل فقرة تلزمه بعدم التدخل في الكويت والبحرين وقطر وساحل عمان والأقاليم المحايدة، التي تحت حماية الحكومة البريطانية، وذلك في إطار الحفاظ على السلام البحري الذي أرادت بريطانيا توسيع مفهومه ليشمل السلام البري أيضًا لشبه الجزيرة العربية بتوسيع النظام المهادن البريطاني والذي اعتبر التجربة الأولى بل والأصعب من العلاقة المهادنة[٤١]، وإذا كانت معاهدة ١٩١٥م قد أبرمت بصفة مؤقتة فلم يقصد بها أن تكون جماعة مانعة من جهة، كما عدت بمثابة هدنة من جهة ثانية ثم أنها أعطت بريطانيا من جهة ثالثة الحق في أن تكون الحكم في حالة نشوب منازعات بين الأمير عبدالعزيز وجيرانه المرتبطين بمعاهدات معها. فكان كل التركيز على الحدود الشرقية لممتلكات الأمير عبدالعزيز.

استمرت حكومة الهند البريطانية في توطيد علاقاتها مع الأمير عبدالعزيز من خلال المبعوثين واستطاعت بذلك أن تمنع من اتساع ممتلكاته على حساب الإمارات العربية في الخليج[٤٢]. كما حالت دون مد سيطرته على شيوخ الساحل وذلك بتشديد السيطرة البريطانية عليهم[٤٣]، فهي في الواقع تريد الحيلولة دون وضع الأمير عبدالعزيز في مركز يمكنه من قلب ميزان القوى في الجزيرة العربية، لحد عدم تزويده بالأسلحة إلا بالنظر اليسير[٤٤].

---

(٤٠) F.O. 371/3390: Ibid.

(٤١) F.O. 371/3390: Ibid.

(٤٢) F.O. 371/3390: Ibid.

(٤٣) F.O. 371/3390: Ibid.

(٤٤) F.O. 371/3390: Ibid.

كانت وجهة النظر البريطانية تربط ما بين تنامى قوة ابن سعود من ناحية وإخضاعها لساحل الخليج العربي من ناحية أخرى، ذلك أن قوة في وسط شبه الجزيرة العربية بقيادته من شأنها أن تحل العديد من المصاعب وتجعل الإمارات الساحلية أكثر اعتماداً على بريطانيا عما هم عليه. فيرى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين أن الكويت والبحرين والساحل المتصالح وعمان سوف يعيشون في رعب إيزاء جارهم القوي، ومن ثم يسهل قيادتهم تبعًا لرغبات الحكومة البريطانية، سيما وأنه في أعقاب الحرب الكبرى الأولى أخذت تلك الإمارات الساحلية تردد أيضًا الأحاديث عن حقوق الأمم الصغيرة. إذا هددهم جارهم القوي. فلا غرابة أن تلك الإمارات الساحلية سوف ترحب دائماً أكثر من أي شيء بالحرب غير الحاسمة والمدمرة بين الأمير عبدالعزيز وابن الرشيد. لذل فإنه إذا أصبح ابن سعود يمثل القوة جميعًا في الجزيرة العربية، فمن المأمول لبريطانيا ازدياد نفوذها بقوة بين الإمارات الساحلية ومما تجدر الإشارة إليه أيضًا أن معظم تلك الإمارات لديها طموحات لزيادة أراضيها على حساب الداخل. فعلى سبيل المثال كان الشيخ عبدالله ابن عيسى يرنو ببصرة للسيطرة على الأحساء وقطر بمساعدة بريطانيا ألا أن هذه الأخيرة لم تشأ الاعتراض على دفع البحرين لـ ٥٠٠٠ جنيه انجليزي لعبد العزيز شهريًا كزكاة - مما يعني تأييد بريطانيا له وموافقتها على هذا الإلتزام إذ أنها كانت حريصة على ألا تضايق هذه الإمارات عبدالعزيز تحت ستار الحماية البريطانية لها(٤٥).

من الملاحظ إن إطلالة النفوذ السعودي في البحرين من ابتداء من عام ١٩٢٢م، خاصة في ظل وجود قلاقل قبلية ضد الشيخ عيسى، ونشاط ملموس من قبل وكيل الأمير عبدالعزيز في البحرين - القصيبي - الذي كان يرعى أيضًا أولئك الدواسر النحديين هناك والذين فتح لهم الأمير عبدالعزيز «القطيف» للجوء

(٤٥) جمال قاسم: المرجع السابق ص ٣٧.

إليها عقب الاضطرابات التي نشبت في عام ١٩٢٣م في سوق المنامة بين الشيعة والسنة، الأمر الذي اضطر معه الأمير عبدالعزيز إلى القدوم إلى «الهفوف» ليراقب عن كثب تطورات الأحداث(٤٦)، لكن بريطانيا كان عليها أما التحلي بالصبر وأما التوسط بين الأمير عبدالعزيز والقوى الحليفة لها على الساحل إذا ما حدث أي خلاف. ففي هذه المرة أراد المقيم البريطاني في الخليج - الكولونيل تريفور تذكير الأمير عبدالعزيز بالمادة السادسة من معاهدة ١٩١٥م، التي تنص على عدم مداخلته في الشئون الداخلية للإمارات العربية على الخليج ومن بينها البحرين، مطالبًا أن يعمل كل ما في وسعه بألا يسيء الدواسر استخدام الدمام كقاعدة للإغارة على البحرين، وأن من الأوفق إسكانهم في الجبيل وإذا كان ذلك قد تم بصفة وقتية، فالملاحظ أنهم عادوا مرة أخرى إلى البحرين واستردوا بعض ممتلكاتهم في المنامة والبديع(٤٧).

كذلك كان الحال بالنسبة إلى قطر إذ كانت ضمن الأراضي التي حاول ضمها داخل أراضيه، رغم أن بريطانيا كانت تعتبرها دولة حدود عازلة بين المناطق التابعة لعبدالعزيز ومنطقة البحرين، إذ أدخلتها في حيز المشيخات المتصالحة في نوفمبر ١٩١٦(٤٨)، فترحيب أهل قطر بالدعوة السلفية بالإضافة إلى المنازعات التقليدية بين قطر والبحرين جعل من شيوخ قطر ينظرون إلى الأمير عبدالعزيز على أنه حاميًا لهم(٤٩)، فلا غرابة أن أدخل عبدالعزيز قطر في إمتياز النفط للشركة الشرقية والعامة في عام ١٩٢٢م، مما كان مثار اعتراض من قبل السير كوكس، في مؤتمر العقير في نفس العام إذ كان من رأيه أنه لابد من أخذ رأي الحكومة البريطانية

---

(٤٦) المرجع السابق ص ٤٢.

(٤٧) F.O. 371/3389: Decyrher 51. sir Wingett to Forign Office. Cairo. 7 Jan. 1918.

(٤٨) B. 349 Arabia: political Situation in Njed Memorandum by Political Agent, Bahrain, 12th August 1920.

(٤٩) جمال قاسم ك المرجع السابق ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

بصدد ذلك، على أساس أن قطر منفصلة عن الأراضي السعودية بخط يمتد بين سلوى وخور العديد، ولو أن ذلك لم يمنع من أن يتلقى الأمير عبدالعزيز الزكاة السنوية المعتادة التي كانت تعد دلالة على التبعية(٥٠).

أيضًا حينما أراد الأمير عبدالعزيز إنعاش موانيه في الجبيل والقطيف والعقير عن طريق حمل رعاياه على الاكتيال والانصراف عن المسابلة من موانئ الكويت، لحرصه على توفير عائد جمركي، سيما وأن الكويت كان المستفيد الوحيد من مرور التجارة إلى «نجد». فلم تستطيع بريطانيا فرض أي حل فكلا الجانبين يرتبط معهما بمعاهدة. ثم أن الكويت رفضت عقد إتفاق يقضي بالمناصفة على العائد الجمركي بين البلدين وذلك على الرغم من ظهور اتجاهات من بعض تجار الكويت لإجابة مطلب الأمير عبدالعزيز حتى يستمر الاتصال والتعامل التجاري بين البلدين مما اضطر الأمير عبدالعزيز لفرض ضريبة على سفن الغوص الكويتية التي كانت تأتي موانيه في الأحساء خلال مواسم الغوص على اللؤلؤ. فزادت تبعًا لذلك إيرادات جمارك الأحساء إلى عشرة أضعافها ولم يحسم الخلاف إلا في الأربعينيات بناء على توسط بريطانيا من خلال محادثات مطولة(٥١).

وإذا كانت مشيخات الساحل تقوم أيضًا بتأدية الزكاة إليه دلالة على الولاء، إلا أنه لابد أن نعترف أن بعض المشايخ من بني نعيم وبني ياس وبني قتب امتنعوا في عام ١٩٢٥م عن تأدية هذه الزكاة، فأرسل عبدالله بن جلوي تهديد إلى شيخ أبوظبي القبائل مثل آل شمس - وهم فرع من النعيم - بحكم أنهم سلفيون(٥٢).

على العموم لقد فرض عبدالعزيز وجوده على الساحة وامتازت الفترة الأولى من بداية إطلالته الخاطفة على الأحساء في ١٩٠٥م حتى استرداده لها في عام ١٩١٣م بتنامي قوته التي جعلت الدولة العثمانية في حاجة إلى احتوائه، بينما

(٥٠) المرجع السابق ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٥١) عبدالعزيز عبدالغني: المرجع السابق ص ١٩٦.

(٥٢) المرجع السابق ص ٤٢.

نجد أن بريطانيا التي نأت بها كثيراً عن التعامل معه وعدم التورط في شؤون وسط الجزيرة العربية انقلب مفهومها رأساً على عقب في الفترة الثانية مع إرهاصات الحرب العالمية الكبرى ليتسع مفهومها في السلاح البحري للخليج ليشمل الظهير الداخلي بما أسمته «السلام البري». فلقد أدركت بما لا يدع مجالاً للشك أن اكتساب تحالف مع الأمير عبدالعزيز سيحقق لها غايتين هما:

الغاية الأولى:

ازدياد تمسك هؤلاء الحلفاء بالوجود البريطاني، إذ أن تعاظم قوته من شأنه أن يذيب إمارتهم في كيان دولته وهو أمل كان يراود الأمير عبدالعزيز كثيراً في تحقيقه. واضطر إلى الوقوف عند حد استلامه «الزكاة» منهم كدلالة على الولاء والتبعية، والتي فضلت بريطانيا استمرارها كمظهر مادي على عكس عبدالعزيز كان ينظر إليهما كمظهر سياسي.

كذلك كان التأثير السلفي في أجزاء كثيرة من الساحل الخليجي يشكل مظهراً آخر من مظاهر الولاء مما كان لا يرضى بأي حال بريطانيا لأنه يعني ازدياد النفوذ السعودي، فكان عليها ضبط العلاقات السعودية مع هذه القوى الحليفة لها، ولو أنه في كثير من الأوقات كانت لا تفيد هذه الالتزامات من منطلق على ألا يفقد الصلة بهذه المناطق التي كانت مجالاً للنفوذ من قبل أسلافه.

الخاتمة

نخلص إلى القول أن سياسة الأمير عبدالعزيز آل سعود قد نجحت تمامًا في تدعيم موقفها الأخوي الصادق تجاه منطقة الخليج، وأن تخطو خطوة هامة في سبيل دعم رؤساء القبائل والمشايخ في تلك الجهة، لتأكيد التعاون بين الزعماء والمشايخ على ساحل الخليج وبين الأمير عبدالعزيز آل سعود الذي نشر نفوذه وسيطرته بصورة واسعة، بعد أن نجح نجاحًا كبيرًا في القضاء على خصومه وأعدائه في الداخل مما جعل السياسة البريطانية تفكر في كسبه إلى جانبها تجاه المتغيرات الدولية التي طرأت على المنطقة إقليميًا ودوليًا، فأصبحت بريطانيا تعجب في أنحاء كثيرة من الجزيرة العربية، لحنكته السياسية وقيادته الواعية ونهجه الإسلامي القويم، ولتدبيره للأمور بحكمة واقتدار.

ومما تقدم سرده أيضًا نجد أن بريطانيا التي كانت تحاول أبعاد عبدالعزيز آل سعود عن منطقة الخليج لتكون منطقة نفوذ خالصة لها نراها الان رغم أنها كانت تخشى من قوته وشدة بأسه، نراها تعمل جاهدة لكسب صداقته والتقرب منه، وكان موقف الأمير عبدالعزيز من ذلك أنه يريد أن يستفيد من المواقف الجارية، ويحاول استغلال تلك المواقف بحنكة وحكمة، ورغم أنه وافق على صداقة بريطانيا في تلك الأثناء وهو ما عرف باسم «سياسة الوفاق والتراضي»، إلا أن ذلك كان براعة منه وسياسة حكيمة لأنه في تلك الأثناء كان يريد أن تكتمل دعائم دولته لمواجهة أعدائه المتربصين له بالداخل، وفي نفس الوقت كان يهدف إلى تقوية موقفه في منطقة الخليج وكسب كل مشايخ المنطقة إلى صفه لتأكيد التعاون العربي وترسيخ أسس الوحدة والأخوة الإسلامية في ظل إيمان القبائل

العربية وزعمائها بقيادته، وإيمانها الراسخ بإخلاص نواياه وأهدافه ومراميه التي ترمي إلى التماسك والتآلف، الأمر الذي جعل الأمير عبدالعزيز آل سعود يعمل في ظل تلك الروح على أبعاد النفوذ الأجنبي بالطرق الحكيمة والوسائل التدريجية، ذلك أن طريقًا يسلكه غير هذا الطريق سيؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة، ويقود إلى التفرقة والشتات، ويؤدي إلى التفكك والحرب والتمزق، ولذلك وفي ظل تلك الظروف الحرجة ظل عبدالعزيز يقود السفينة بحذر وحكمة وتؤده وبقوة إرادة ومضى قدمًا نحو تحقيق سياسته الرامية إلى جمع الكلمة العربية وتوحيد الصف وتقوية علاقاته مع زعماء القبائل ومشايخ الخليج لاعتقاده الراسخ أن ذلك التعاون سيقود في النهاية إلى تحقيق آمال الأمة في الاستقلال والوحدة، وسيقضي في النهاية على الهيمنة الأجنبية والسيطرة البريطانية بطريقة واعية وهادئة، وفي نفس الوقت سيتمكن من خلال ذلك من تحقيق أهدافه بالقضاء على خصومه وأعدائه، وهو ما نجح فيه تمامًا، عندما اكتمل بناء دولته بقيام المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٤م.

ضم الأحساء لنجد
وأثره على إمارات الخليج العربي

(١٩١٣ - ١٩١٥م)

بينما كان الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود أمير نجد يواجه المتاعب لتحقيق الوحدة في داخل بلاده، كانت الأوضاع في الدولة العثمانية قد تبدلت بوصول جماعة حزب الاتحاد والترقي إلى السلطة عام ١٩٠٨م وخلعوا السلطان عبدالحميد الثاني في العام التالي، ورغم أن الاتحاديين أعلنوا عزمهم على تلافي أخطاء الماضي إلا أنهم واصلوا السياسة القديمة فيما يتعلق بحكم البلاد العربية والسيطرة عليها، بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك، فأخذوا في تدعيم هذه المنطقة السيطرة وتعزيزها، وعينوا ولاة أكثر حيوية في العراق وسوريا، وفي المناطق الساحلية على الخليج العربي، والبحر وعززوا حاميتهم للحيلولة دون قيام أي زعيم من الزعماء الأقوياء الذين يمكن أن يهددوا الحكم العثماني.

كان أمير نجد من أبرز هؤلاء الزعماء في وسط الجزيرة العربية آنذاك، لذلك عمدوا إلى كسر شوكته، وإثارة المشاكل في وجهه، وحرضوا عليه حسين بن علي في الحجاز وابن الرشيد في حائل، وابن السعدون حاكم عشائر المنتفق، وكالبوا عليه العشائر الكبرى كمطير والعجمان في الأحساء وحرب في أطراف الحجاز.

أراد أمير نجد أن يكسر هذا الطوق الذي أوجده العثمانيون حوله، فوجد في الاستيلاء على الأحساء المجال للعمل، لأنها كانت قاعدة الدولة العثمانية في الأعمال الحربية بشبه الجزيرة العربية(١)، كما كانت قبائل العجمان الضاربة على حدود الأحساء كثيراً ما يعتدون على القوافل النجدية التجارية الذاهبة إلى الكويت أو القادمة منها، ثم يفرون إلى الإحساء. هذا فضلاً عن تذمر أهل الإحساء من الحكم العثماني لتدهور الحياة الاقتصادية وانعدام الأمن(٢)، واستنجادهم بالأمير عبدالعزيز ليخلصهم من الحكم العثماني.

أخذ الأمير عبدالعزيز يراقب الأحداث لتحقيق هدفه ففي عام ١٩١١م

---

(١) د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ص ١٩٣.

(٢) سليمان الدخيل، تحفة الألباء في تاريخ الأحساء، بغداد ١٩١٣، ص ٢١٧.

اندلعت الحرب الإيطالية العثمانية، ثم تبعتها الحرب العثمانية البلقانية عام ١٩١٢م فاضطروا إلى إنقاص حامياتهم في أطراف الدولة الدولة قدرت بنحو أربعمائة جندي فقط(٣). كذلك ترامت أنباء المحادثات البريطانية العثمانية التي عقدت في لندن في الفترة من فبراير ١٩١١م إلى يوليو ١٩١٣م للتوصل إلى تفاهم بشأن تحديد مناطق الخليج التي تحت سيطرة الدولة العثمانية، رغبة في إنهاء الصراع العثماني البريطاني في المنطقة(٤)، فخشي أن يتقرر شيء بالنسبة لمتصرفيه الإحساء - منذ احتلال مدحت باشا لها عام ١٨٧١م - يقطع عليه سبل المستقبل(٥).

أعد أمير نجد جيشًا قوامه ستمائة جندي وزحف به إلى آبار الحفس في إبريل عام ١٩١٣م ومنها إلى الأحساء حيث نزل على بعض آبار المياه القريبة من مدينة الهفوف، فعلم به متصرف الأحساء فبعث يسأله عن مقصده، فأجاب الأمير عبدالعزيز بأنه جاء لتأديب بعض القبائل المعادية، وأنه يتزود ببعض حاجات جيشه من الأحساء ثم يعود، وفعلاً أرسل بعض أتباعه في قافلة إلى المدينة لشراء التمور والأرز وبعض الحاجيات الأخرى(٦). وقد وقف هؤلاء على تحصينات المدينة وعلى مراكز الحاميات العثمانية فيها(٧). ووجدوا عدد الحاميات قليلاً وكانت هناك حامية صغيرة في القطيف. وحاميات صغيرة جداً متطرفة في أنحاء الإقليم.

اجتمع أمير نجد بقادته في مساء ٨ مايو ١٩١٣م وأعطاهم بعض التعليمات الحربية الخاصة باحتلال الأحساء، وزحف بجيشه يغطيهم سعف النخيل، وكان

---

(٣) د. محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، ص ٢٣٩.

(٤) Goach and Temperlery: British Documents on the origins of the war 1898 - 1914. Vol 10 part II the last years of peaces London 1938.

(٥) آرامكو، شعبة البحث الحكومي - عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي - القاهرة، ١٩٢٥، ص ٨٥.

(٦) محمد عبدالله عبدالقادر الأنصاري: تاريخ الأحساء - تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد - الرياض، ١٩٦٠ جـ١، ص ٢٠٧.

(٧) د. محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي من ١٨١٨ - ١٩١٣، الكويت، ١٤٠٠هـ، ص ٢٣٢.

رجاله مزودين بالحبال اللازمة لتسلق الأسوار، وفي منتصف الليل هجم على المدينة واستطاع احتلالها قبل أن يصحو الجنود العثمانيين من نومهم، ولم يلق من حاميتها إلا مقاومة ضئيلة، وفي اليوم التالي استسلم متصرف الأحساء وجنود الحامية، وأعطاهم الأمر عبدالعزيز الأمان وقام بترحيلهم إلى العقير ومنها إلى البحرين[٨].

تمركزت القوات العثمانية في البحرين فأرسلت الدولة العثمانية عبدالجابر بك في مركز القيادة لهذه القوات وقاد عبدالجابر بك قواته إلى قلعة العقير لاسترجاعها، ولكن قوات ابن سعود تمكنت من هزيمته فعاد إدراجه[٩].

أثار هذا التصرف الأمير عبدالعزيز وأرسل احتجاجه إلى المعتمد البريطاني في الخليج العربي يشجب فيه التحركات العثمانية في مياه البحرين وطلب التعاون فيما بينه وبين السلطات البريطانية[١٠]، وكتب إلى الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين قائلاً.. أيليق بكم تحريض العدو علينا ونحن أصدقائكم، فإذا كنتم لا تلاقون مثل هذه الأعمال فالتبعة فيها قد يعقبها عليكم»[١١].

لعل السبب في سماح السلطات البريطانية في الخليج للحاميات العثمانية باستخدام البحرين قاعدة للعمليات العسكرية ضد الأمير عبدالعزيز أنها إشغاله بحركات صغيرة خشية أن يتقدم بقواته إلى سواحل الخليج وعلى الأخص في الساحل المهادن[١٢].

---

(٨) Philpy, H, St, J: Saudi Arabia, London 1950 - P 266 - 267.

(٩) L-P & S - 10: 3126/1913 Political Diary For P.R may 1931.

(١٠) صلاح المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها – جزآن، بيروت، ١٩٥٧، جـ٢، ص ١٤١.

(١١) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي ١٩١٤ – ١٩٤٥، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣١٢.

(١٢) بيان أدلى به عبدالعزيز آل سعود إلى مندوب جريدة الدستور البصرية في أول اكتوبر ١٩١٣. أنظر أيضاً آرامكو: شعبة البحث الحكومي، عمان والساحل الجنوبي للخليج، ص ٨٧ – ٨٨.

يعلل الأمير عبدالعزيز ضمه للأحساء بقوله « ... أن الدولة العليا (العثمانية) التي اغتصبت من أبائي هذا اللواء بدون حق مشروع بحجة دعوة عبدالله آل سعود شقيق والدي عبدالرحمن آل سعود سعود ومن بعد أن استولت عليه (أي الدولة العثمانية) لم تحسن إليهم صنعًا، وكان والدي يومئذٍ وليًا للعهد بعد والده على إمارة نجد التي يدخل فيها اللواء وما يتبعه وعمان وسواحله، ولما اشتد الخصام بين سعود وعبداله أبناء الإمام فيصل بن تركي على الإمارة، أرسل الأخير مندوبًا إلى بغداد لمفاوضة واليها في خلافه مع أشقائه، وبقي ينتظر من الدولة إسعافه ونجدته لإخماد نار الفتنة المتأججة، غير أن الدولة العثمانية وجدت أنه قد آن زمن الاحتلال، فوضعت يدها منذ ذلك الوقت على الأحساء وأبعدت أمرائها عنها مع أنه لم يبدر منهم مبادرة تستوجب ما أتته، وليت الدولة احتلت ما يداني من البلاد كعجمان وغيرها التي تركتها هملاً، ومكنت الدول الأجنبية – يقصد بريطانيا من أن تقذف فيها نار الفتنة لتحصل على ما تنويه... ثم جاء في محاضر فيها تواقيع كثيرة من العلماء سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها في الخليج وسواحله، فاستندت حينئذٍ على ما لي من الحقوق الشرعية في هذا القطر بمنزلة أساس، فبادرت إلى تلبية طلب الأهالي ليكونوا في حرز حريز من تلك أرباب الفساد فيهم وأبعاد الأجانب من ديارهم(١٣).

لم تحاول الدولة العثمانية بعد ذلك استعادة الأحساء لأنها رأت في تجريد حملة كبيرة لاستعادة هذا الإقليم يكلفها الكثير من النفقات؛ في الوقت الذي كانت تعاني من الأزمات الاقتصادية، وأن في تسيير قوة صغيرة، ربما يعود بالفشل ويؤدي إلى عواقب وخيمة، كما أن القوات العثمانية في العراق كانت مشغولة في تلك الأثناء بإخماد نار الفتن في جهات كثيرة كالموصل(١٤). فضلاً عن أهل

(١٣) المقطم – ٥ مارس ١٩١٤.

(١٤) جمال زكريا قاسم – الخليج العربي – دراسة في الإمارات، ١٩١٤ – ١٩٤٥، ص ١١٧.
فون ميكوس : عبدالعزيز، ص ١٢٥.

الأحساء كانوا لا يرضون العودة إلى حظيرة الدولة العثمانية بعد أن خضعوا لها ثلاثة وأربعين سنة (١٨٧١ – ١٩١٣) قاسوا فيها الكثير، وأظهروا التذمر، كما أنه ليس للدولة العثمانية فائدة من استمرار بقاء حامياتها في الأحساء حيث لا تجبي فيها ضرائب تذكر ولا تجند منها أهالي.

لذلك كله اعترفت الدولة العثمانية بالأمر الواقع ورأت أن تكسب ود أمير نجد، كما فعلت مع إمام اليمن قبل ذلك بوقت قليل (إتفاق دوعان ١٩١١م) وفضلت أن تصل إلى تسوية معه على أساس حل وسط، مما يحول دون تسرب النفوذ البريطاني إلى منطقة الأحساء، وتجنب أمير نجد الارتباط بالحماية البريطانية على غرار شيخ الكويت وغيره من مشايخ الخليج(١٥).

أرسلت الدولة العثمانية وفداً عثمانياً في أول أبريل ١٩١٤م برئاسة طالب باشا النقيب ليفاوض الأمير عبدالعزيز آل سعود في مسألة حكم نجد والأحساء، ودارت المباحثات في قرية الصالحية في الفترة من الثاني إلى الرابع من أبريل ١٩١٤م، وبمناسبة هذه المفاوضات يذكر شكسبير بأن أمير نجد قال له بهذا الخصوص فيما بعد أنه تسلم رسالة من مبارك الصباح تفيد بوساطته في النزاع القائم على حل المشاكل المعلقة بينه وبين الدولة العثمانية، وعندما تقدم الأمير عبدالعزيز آل سعود إلى الصباحية وجد هناك خطاب من مبارك ينهاه عن التعامل مع المبعوث التركي، وأن مبارك لن يحضر هذه المفاوضات التي سبق وأن وعد بحضورها، وأن مبارك علم من الوكيل البريطاني في الكويت بأن بريطانيا لن تساند الأمير عبدالعزيز لأنها وقعت اتفاقاً مع الحكومة العثمانية ولا تريد تعريضه للخطر بالتعامل معه. لهذا عمل الأمير عبدالعزيز أن يحتفظ بالمفاوضات ونتائجها

---

(١٥) I.O : L-P & S - 10/2182/1913 memo for storrs regarding affairs of Ibn Saud January 8, 1915.

سراً عن الشيخ مبارك(١٦). كما يذكر الأمير عبدالعزيز أن المفاوضات تمخضت عن اتفاق رفضت الدولة العثمانية التصديق على بعض مواده. وأصرت على رأيها، وتوسط بعض أهل الرأي عند أمير نجد، فعاد وقبل لأنه أدرك أن الدولة العثمانية لن تنفذها، ولكنها وقعّت لحفظ ماء الوجه، لذلك وافق على عقد الاتفاق مع الدولة العثمانية، ووقع في ١٥ مايو ١٩١٤، يتناول ما يلي:

أولاً : أن تكون نجد ولاية عثمانية يتوارث حكمها الأمير عبدالعزيز آل سعود وأولاده، أما الأحساء فيحكمها عبدالعزيز من قبل الدولة العثمانية لمدة عشرة سنوات قابلة للتجديد.

ثانياً : تقيم الدولة العثمانية حاميات في مرافئ القطيف والعقير وغيرهما حسبما يراه عبدالعزيز مناسباً.

ثالثاً : يرفع العلم العثماني على جميع مباني الحكومة والمرافق المهمة وعلى جميع السفن التابعة لنجد.

رابعاً : إقامة مراكز للبريد في نجد تستعمل الطوابع التركية وأن تتقاضى الدولة ربع صافي إيرادات البريد والبرق والجمارك والضرائب.

خامساً : أن لا يبرم عبدالعزيز اتفاقاً أو يمنح امتيازاً لأية دولة أجنبية دون موافقة الدولة العثمانية، وأن يخضع للمعاهدات التي تعقدها الدولة العثمانية.

---

(١٦) F.O. 37/1/2769 Translation of treaty between Ibn Saud and the Turks - 4 Rajab. Nav. 15, 1914.

مذكرات سليمان شفيق باشا – متصرف عسير. نشر نادي أبها الأدبي. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ إعداد محمد بن أحمد العقيلي، ص ١٢.

أنظر : مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير والتي نشرها محمد بن أحمد العقيلي – طبعة – نادي أبها الأدبي عام ١٤٠٥هـ، ص ١٢، ويقول فيها «أنه تولى ولاية البصرة عام ١٩١٣، وأنه فاوض السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود باسم الحكومة العثمانية ووقع على الاتفاقية، وأن الرسائل والمفاوضات التي دارت في هذا الشأن محفوظة كلها عنده، وسيعرضها فيما بعد على أنظار القراء. ولكن لم تنشر للآن. (ولا يعرف مصيرها).

سادسًا : تتعهد حكومة نجد بمؤازرة الدولة العثمانية إذا اشتبكت في حرب مع دولة أجنبية، أو إذا وقع اضطراب داخلي في ولاياتها.

ويذكر سليمان شفيق باشا بأنه وقع مع عبدالعزيز آل سعود على الاتفاقية بصفته المفوض الأول عن الدولة العثمانية، ووجهت الدولة إلى السلطان عبدالعزيز رتبة الوزارة السامية بفرمان سلطاني عال(١٧) ومنح الوسام المجيد الأول(١٨) ويشير خطاب أرسله كايز (Kays) وكيل البحرين السياسي البريطاني إلى حكومته بأن عبدالعزيز آل سعود عقد إتفاق مع الحكومة العثمانية وتأكد ذلك بفرمان عثماني(١٩).

من الجدير بالذكر أن المصادر السعودية لا تنفي نفيًا باتًا عقد إتفاق ينظم العلاقات بين نجد والدولة العثمانية غير أنها تؤكد خلو محفوظاتها من مثل هذا الإتفاق الذي سيثار في قضية النزاع على الحدود بين المملكة العربية السعودية ومشيخات الخليج الواقعة تحت الحماية البريطانية.

سواء كان هناك فعلاً إتفاق من هذا النوع أم لا فذلك أمر قليل الأهمية بالنظر إلى الموقف الذي كان يمر فيه زعماء الجزيرة العربية في ذلك الوقت، فالمناقشات كانت حادة بين عبدالعزيز آل سعود والشريف حسين بن علي وآل الرشيد. وبالإضافة إلى ذلك فإن الدولة العثمانية لم تحترم اتفاقها مع عبدالعزيز آل سعود وأخذت تمد الشريف حسين بن علي وابن الرشيد بالأسلحة والذخائر وهم أعداء سلطان نجد، مما أوغر صدر عبدالعزيز ضدها.

كان من نتائج ضم الأحساء إلى نجد تخلص الأمير عبدالعزيز من الوجود

---

(١٧) مذكرات سليمان شفيق باشا – متصرف عسير. نشر نادي أبها الأدبي. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، إعداد محمد بن أحمد العقيلي، ص ١٢.

(١٨) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي – بيروت ١٩٦٢، جـ٢ عصر الشيخ مبارك، ص ٢١١.

(١٩) F.O. : 371/2124: 1990, 26063. P.R. to Gol 30 Junw 1914.

العثماني في الإقليم الشرقي، كما تخلص منهم في نجد عام ١٩٠٦م[٢٠]، وأضعف نفوذ عزيمة ابن الرشيد المتحالف مع العثمانيين، كما وطد مركز الأمير السعودي في داخل بلاده، وأعلى من شأنه، وزادت هيبته في نظر البدو وأمراء العرب لانتصاره على الدولة العثمانية، ولم يكن أمير نجد وهو يعمل على استعادة الأحساء يعلم بأنه في سبيل امتلاك أكبر امبراطورية للنفط في المشرق العربي، ولكنه كان يومن بأن الأحساء كما كانت قديمًا ولا تزال منفذًا هامًا لبلاده على الخليج العربي والسلطات البريطانية في الخليج. فقد ذكر الشيخ مبارك حاكم الكويت بأن عبدالعزيز صرح لممثل بريطانيا أنه يشترط للإتفاق معهم أن يسمحوا له باحتلال قطر ومسقط وعمان، وعودة الشيخ مبارك إلى حدوده الأصلية[٢١].

أدت هذه التصريحات إلى زيادة الشك والخوف لدى حكام الخليج، ففي الكويت ازدادت حدة التوتر بين الطرفين وكان الشيخ مبارك يعرف أن مطامح الأمير عبدالعزيز لن تتوقف عند حد، واستاء من الدولة العثمانية على عدم إشراكها إياه في المحادثات التي دارت بين بريطانيا والدولة العثمانية التي أدت إلى إتفاق عام ١٩١٣ بشأن الخليج. كما لام المسئولين في الدول العثمانية لتخليهم عن الأحساء[٢٢].

وازدادت العلاقات الكويتية النجدية ترديًا على أثر موافقة الشيخ مبارك على لجوء قبائل العجمان المعادية للأمير عبدالعزيز إلى المنطقة المجاورة للكويت. مما أنذر بقيام صدام بين نجد والكويت لولا وفاة الشيخ مبارك. وتولية الشيخ جابر الذي كان على علاقات طيبة بالأمير السعودي[٢٣].

(٢٠) Dickson: Koweit and her Neighbours. P 138.

(٢١) L.O. L/P & S: 18/B 439 Historical Memo of Relations of wahabi Amirs Bin Saud With Eastern Arabia & British Gov., 1800 - 1934. Septmber, 1934. P. 30. 32.

(٢٢) حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، بيروت ١٩٦٣، جـ٣، ص ٢٨.

(٢٣) F.O. : 371/1843 Sheik of Kwoeit accepts in writing Anglo - Turkish Agreement respecting Koweit. 1913.

وفيما يتعلق بقطر فرغم أن الشيخ قاسم آل ثاني كان على علاقة طيبة مع أمير نجد إلا أنه حقد عليه استرد الأحساء وغضب عندما أرسل له عبدالعزيز رسالة يطلب فيها عدم السماح للجنود العثمانين بالنزول إلى قطر لمحاولة القيام بأعمال عدوانية لاسترداد الأحساء ثانية، ورفض هذا المطلب. وخشي أن يفكر عبدالعزيز في الاستيلاء على قطر، وهدد الشيخ قاسم آل ثاني عبدالعزيز بأنه سيشن عليه حرباً إن لم يرد الأحساء إلى أهلها. مما جعل عبدالعزيز يهدده بإرسال قوة إلى قطر(٢٤).

رفع الشيخ قاسم الأمر إلى السلطات البريطانية في الخليج فطمأن المعتمد البريطاني في الخليج شيخ قطر وطلب إليه عدم التحرك ضد الأتراك(٢٥). غير أن وفاة الشيخ قاسم غيرت الأمور وفضل الشيخ عبدالله بن قاسم علاقات الصداقة مع أمير نجد.

أدى ضم الأحساء لنجد رد فعل أيضاً لدى إمارات الساحل العماني فعقد شيخا أبوظبي ودبي اجتماعاً في عام ١٩١٣ ناقشا فيه نتائج ضم أمير نجد للأحساء، ولكن المعتمد البريطاني في الخليج طمأنهما وطلب منهما ضبط النفس(٢٦).

أما سلطان مسقط فقد عبر عن قلقه للمعتمد البريطاني في مسقط الرسائل المتبادلة بين أمير نجد وشيخي أم اقوين والبوريمي، وهما سلفيوا المذهب وقد طلبا من أمير نجد القدوم إلى البوريمي وأنهم على استعداد لمساعدته(٢٧). كذلك عبر الشيخ حمدان شيخ أبو ظبي عن قلقه للمعتمد البريطاني في البحرين عن قلقه

---

(٢٤) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبدالعزيز عبدالرحمن آل فيصل ملك الحجاز ونجد وملحقاتها - بيروت ١٩٥٤، ص ٢١٢.

(٢٥) I.O.: I/P & S: 18/B 437 Historical Memo of Wahabi Amirs 1800 - 1934 P. 32.

(٢٦) Ibid.

(٢٧) I.O. R/R/15/3/xxv4 Arabian Politics,Prideaux to Secretary of state for the Colonies June 1929.

من مثل هذه الرسائل التي يتبادلها أمير نجد مع الذين محسوبين على الدعوة السلفية في بلاده. ودعوتهم للأمير عبدالعزيز لزيارة البوريمي. وأدى الشيخ حمدان مخاوفه من أن يغزو الأمير عبدالعزيز أراضي إمارته، وطالب السلطات البريطانية في الخليج بأن تمده بالأسلحة والذخائر حتى يستطيع دفع الغزو إذا تم(٢٨). لكن بريطانيا بددت مخاوفه بأنها اتخذت الترتيبيات اللازمة في حالة محاولة أي اعتداء سعودي على إمارات الخليج. وهذا أدى إلى إبقاء العلاقات الطيبة التي كانت تربطه بأمير نجد(٢٩).

شاركت إمارة البحرين التوجس خيفة من ضم الأحساء لنجد لأنها كانت تعتبر بأن الأمير عبدالعزيز يؤلب ضد أميرها قبائل الدواسر النجدية المستقرة في البحرين وهي سلفية المذهب. وتعيين أمير نجد لعبدالله القصيبي وكيلاً تجاريًا له في البحرين. وكان لهذا الرجل نشاطات أدت إلى وقوع أحداث بين السنة والشيعة، وغضب أمير نجد من هروب كثير من شيعة الأحساء والقطيف إلى البحرين وسماح البحرين لهم باتخاذها مقراً ضده(٣٠).

كان لضم الأحساء صدى أيضًا على السلطات البريطانية في الهند وممثلها في الخليج العربي. إذ أرسل أمير نجد خطابًا إلى وكيل المعتمدية البريطانية في الشارقة في يونيو ١٩١٣ يذكر فيه بأنه استعاد أرض أجداده دون أن ترهق دماء، وأنه أقام الأمن فوق ربوع الأحساء، كما أرسل خطابًا آخر إلى نائب الملك في الهند – هاردنج – في اليوم التالي يقول فيه بأنه ضم الأحساء، ويريد إقامة علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية. وأشار إلى علاقات الصداقة التي كانت تربط بين آل سعود

(٢٨) I.O.R/15/1/14/34. Arab Coast and Islands / Hamdan to Knox 4 october 1914.

(٢٩) الخارجية السعودية : عرض المملكة العربية السعودية : عرض – التحكم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، ١٩٥٥، جـ١، ص ٣٠٧.

(٣٠) لوريمر. ج. دليل الخليج – القسم الجغرافي – مكتب الترجمة بالقسم الثقافي بدويان حاكم قطر – الدوحة، ١٩٦٨، جـ١، ص ٥٧٥.

وبريطانيا في عهد الإمام فيصل بن تركي - لعله يشير إلى تعهد الإمام عام ١٨٦٦ للكولونيل بلي بشأن عدم الاعتداء على إمارات الخليج التي ترتبط مع بريطانيا بمعاهدات، ويبلغه بأنه مد نفوذه على أرض أجداده المشتملة على الأحساء والقطيف وتوابعها(٣١).

أرسلت حكومة الهند بهذا الكتاب وبرأي شكسبير الذي يطلب صداقة ابن سعود لأن الرفض يعكس ظلاله على المصالح البريطانية في الخليج، لكن رد وزير الخارجية البريطانية (جراي) كان على عكس ذلك إذ طلب من حكومة الهند الابتعاد عن التعامل مع ابن سعود، وكل شيوخ العرب الغير مرتبطين بعلاقات مع بريطانيا، والتمسك بعدم إقامة أي علاقات إلا ما كان ضرورياً، على أن يتم هذا بصفة غير رسمية(٣٢).

وفي ٧ أغسطس ١٩١٣م كتب المعتمد البريطاني في الخليج إلى حكومة الهند، بأن ابن سعود يرابط في الساحل (الخليج) وهذا أمر جديد يجب على السياسة البريطانية أخذه بعين الاعتبار.

أقنع هاردنج - حكومة الهند - برأي المعتمد البريطاني وطالب الخارجية البريطانية بضرورة إتباع سياسة خاصة بابن سعود لاستقطابه أو لمواجهته، وأضاف بأن ابن سعود صار عنصراً يدخل في نطاق المصالح البريطانية، ووصف السياسة التي تنادي بتجاهله وأنه سيقصر سياسته ونشاطه على منطقة الأحساء، هي سياسة غير واقعية ولا تطمئن بريطانيا لأنه ربما يتدخل في إمارات الخليج وأنه مازال حسن النوايا بالسلطات البريطانية في الخليج وإلا قد ينقلب إلى معاداة هذه السلطات والتطلع إلى المناطق المرتبطة معها بريطانيا بمعاهدات. وطالب حكومته

---

(٣١) I.O L/P & S / 18/B 437 History memo on the Relations of the Wahabi : Amirs Bin Saud with Eastern Arabia $ British Gov. 1800 - 1934.

(٣٢) F.O. 371/1820 : from F.O. to I.O July 2. 1913.

بأن تبقي اليد ممدودة إلى ابن سعود طالما ظل بعيداً عن حكام الساحل المهادن(٣٣).

اتصلت حكومة لندن في ٢١ أغسطس ١٩١٣م بحقي باشا السفير العثماني في لندن بعد اقتناعها بوجاهة رأي هاردنج، وعبرت عن قلقها من أن يتدخل عبدالعزيز في قطر التي توفى شيخها حدثاً، وأن عبدالعزيز أصبح ظاهرة سياسة في الخليج لا يستطيعون إنكارها، وتخشى بريطانيا من أن يؤدي عدم تعاونها مع عبدالعزيز إلى اضطراب الوضع الراهن، وأن بريطانيا ستسعى إلى صداقته، وتنصح بريطانيا السفير العثماني بأن تتعامل الدولة العثمانية مع عبدالعزيز بشكل ما، وأجاب حقي باشا بأنه سيستطلع رأي حكومته في هذا الصدد(٣٤).

وعندما اتصل الأمير عبدالعزيز بالسلطات البريطانية في الخليج متسائلاً عن نوع العلاقة التي سيتبعونها معه. أجاب كوكس بأنه على تعليمات حكومة الهند فإنها قد أحيطت علماً بأنه تعهد من جانبه بالابتعاد عن أي عمل من شأنه أن يهز الوضع الراهن، أو أن يخلق اضطرابات في المشيخات المرتبطة مع بريطانيا، بما في ذلك قطر، وأن الحكومة البريطانية ستحافظ من جانبها على علاقات الصداقة معه. كما كان في الماضي. ولعله كان يشير بذلك إلى تعهد الإمام فيصل بن تركي عام ١٨٦٦م، وكان كوكس يريد أن يعتبر عبدالعزيز ملتزماً بذلك التعهد، تناول التقرير الذي يدونه شكسبير وتريفور (وكيل البحرين السياسي) عن لقائهما بعبدالعزيز في العقير في ١٥ ديسمبر ١٩١٣م بأن عبدالعزيز يطلب الحماية البريطانية لكي يحافظ على حقوقه الموروثة في السيادة. وأنه يتعهد في مقابل هذا بأن يلتزم بمنع تجارة السلاح، وأنه أشار إلى إمارات ساحل عمان ومقاطعات عمان الداخلية وقطر بأنها من أراضي أجداده، ولكن حرصه على علاقاته الطيبة مع

---

(٣٣) F. O. 371 / 1820 : 6 from Gol to Grewi Aug. 10, 1913.

(٣٤) F. O. 371 / 1820 : Hakik to Oarker September. 10,1913

بريطانيا منعه بعد غزو الأحساء عن مد نفوذه إلى قطر والساحل العماني، كما أبلغها عبدالعزيز بأن بعض خصومه قد فروا إلى قطر، وقد يلجأ هؤلاء إلى إمارات الساحل العماني مما قد يسبب له متاعب، والأمر الذي قد يدفعه إلى مهاجمتهم في المناطق التي يقطنون به، وهذا بدوره سيؤدي إلى مواجهة مع الحكومة البريطانية وهو الأمر الذي لا يريده(٣٥).

رأت حكومة لندن أن تعمل على إيجاد صيغة تفاهم بين عبدالعزيز والدولة العثمانية. وعادت إلى أسلوبها القديم على أن عبدالعزيز غير موجود في منطقة الخليج(٣٦).

كان من عدم اهتمام بريطانيا كثيراً بالتغيير الذي حدث بضم عبدالعزيز للأحساء أن وافق على تحسين علاقته مع الدولة العثمانية. ووقع معاهدة ١٥ مايو ١٩١٤م. فكان من نتائج ذلك أن أرسل وزير الخارجية البريطانية (جراي) بتعليماته إلى حكومة الهند بأن إنجلترا اعترفت في إتفاق ١٩١٣م بأن الأرض التي عليها ابن سعود أرضًا تركية، وأن ابن سعود خاضع لتركيا، ولا يجب أن تكون هنالك أية اتصالات خارجة عن هذا لإطار(٣٧)، ثم عاد بعد حوالي شهر وأرسل بتعليمات جديدة لحكومة الهند بعدم إقامة علاقات مع عبدالعزيز إلا إذا كان لابد من ذلك(٣٨).

غير أن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جوار دول الوسط، جعل بريطانيا تعمل على استقرار منطقة الخليج كمنطقة عبور لقواتها إلى العراق، وفي نفس الوقت تعمل على إزالة مخاوف حكام إمارات الخليج من جهة أمير نجد،

---

(٣٥) I. O. R./R/ 15/3/XXV4, Arabian Politics June Prideaux to Secretatry of State for the Colonies June 1929.

(٣٦) I.O. :L-P & S - 10/3010 minute by A. Hertisel, mar 16. 1914.

(٣٧) F.O. 371/2124 minute by E.G may 18 1914.

(٣٨) Ibid

لذلك نجدها تسارع إلى التقرب من عبدالعزيز، وتوقع معه معاهدة دارين ١٩١٥م، التي تعترف فيها بأن نجد والأحساء والقطيف وجبيل من ملحقاتها والموانئ التابعة لها من ممتلكات آل سعود، وأن ابن سعود حاكم مستقل عليها يتوارث أبناؤه الحكم فيها، وتحدد نصوص المعاهدة بالتزام أمير نجد بعدم الاعتداء على حكومات جيرانه - البحرين - الكويت - قطر - عمان. ورؤساء الساحل المهادن الذين ترتبط معهم بريطانيا بمعاهدات خاصة(٣٩).

---

(٣٩) Hurwiz: Diplomacy in : The Near and Middle East- a documentary record - 1914-1956 New York 1958 Vol. 1.17-18.

المراجع

إبراهيم علي طرخان، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة. القاهرة ١٩٥٩ .

أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر. القاهرة ١٩٦٢ .

أحمد حنفي القضائي الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان. القاهرة ١٣٢١هـ.

أحمد خليل العطوي، دولة الإمارات العربية المتحدة نشأتها وتطورها. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨١ .

أحمد السامرائي، القواسم والخليج العربي وعربستان. الطبعة الأولى ١٩٧٣ .

أحمد قاسم البوريني، الإمارات السبع على الساحل الأخضر. دار الحكمة. د.ت.

أرنولد . ن ويلسون، الخليج العربي، ترجمة عبدالقادر يوسف د . ت الكويت.

أبوعبدالله محمد بن عبدالله اللواتي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. القاهرة د . ت.

أرامكو، شعبة البحث الحكومي، عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي. القاهرة ١٩٢٥م.

الخارجية السعودية، التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية ج١ .

الفاخري، الأخبار االنجدية، جامعة الإمام محمد بن سعود د . ت.

أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، بيروت ١٩٥٤ .

جلال يحيى، التنافس الدولي في شرق أفريقيا، القاهرة ١٩٥٩ .

جان نانو، إتحاد الإمارات العربية. دار الإعلام العربي للطباعة والنشر بيروت ١٩٧١.

جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا. مكتبة القاهرة الحديثة، د . ت .

جون كيلي، بريطانيا والخليج، ترجمة مخمد أمين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة. د . ت .

حسن خلف الشيخ خرعل، تاريخ الكويت السياسي، بيروت ١٩٦٢م.

حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية. القاهرة ١٩٦٣م

حميد بن رزيق، الفتح المبين المبرهن، سيرة السادة البوسعيدين، الرياض ١٩٨٢م.

حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية. دار اليمامة ١٩٨٠م.

حمد بن لعبون، تاريخ حمد بن لعبون، مكتبة المعرفة، الطائف د . ت .

حمد الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب. مطبعة الفرزدق، الرياض ١٩٨٨م.

حمدي السيد، الصومال، القاهرة ١٩٥٩م.

حوراني حورة فاضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي ١٩٨٥م.

دونالدهولي، عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي، لندن د . ت .

راشد البراوي، الصومال الكبير حقيقة وهدف. القاهرة د . ت .

زكي السمان، ومحمد خير حصرية، عمان، سلسلة البحوث العربية للصحافة والنشر، دمشق الطبعة الثانية د . ت .

زهدي سمور، تاريخ ساحل الصلح البحري، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٥م.

سالم حمود السيابي، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم ١٩٧٦م.

س. ت. مايلز، الخليج العربي بلدانه وقبائله. ترجمة محمد عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٢م.

سليمان الدخيل، تحفة الألباء في تاريخ الأحساء. بغداد ١٩١٣م.

صلاح العقاد، زنجبار، القاهرة ١٩٥٩م.

صلاح المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، ماضيها وحاضرها. بيروت ١٩٥٧م.

عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا. القاهرة ١٩٦٥م.

عبدالعزيز عبدالغني، علاقة ساحل عمان ببريطانيا.. دارة الملك عبدالعزيز الرياض ١٩٨٢م.

عبدالقوي فهمي، القواسم نشاطهم البحري وعلاقاتهم بالقوى المحلية والخارجية، مطبعة رأس الخيمة الوطنية د. ت.

محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي. القاهرة د. ت.

محمد عرابي نحله، تاريخ الأحساء السياسي. منشورات ذات السلاسل د. ت.

محمد بن أحمد العقيلي، مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، نادي أبها الأدبي ١٩٨٥م.

محمد البسام التميمي النجدي، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر ١٩٨١م.

محمد العيدروس، التطورات السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة. ذات السلاسل. الكويت ١٩٨٢م.

محمد شفيق غربال، الموسوعة الميسرة. القاهرة ١٩٦٥م.

محمد عبدالله عبدالقادر الأنصاري، تاريخ الأحساء تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد. الرياض ١٩٦٠م.

محمد عبدالمنعم يونس، الصومال. القاهرة ١٩٥٩م.

محمد متولي، حوض الخليج العربي. مكتبة الانجلو المصرية د. ت.

محمد مراد، صراع القوى في المحيط الهندي، والخليج العربي. دمشق ١٩٨٤م.

محمود الداود، الخليج العربي والعمل المشترك، منشورات مركز دراسات الخليج العربي. جامعة البصرة مطبعة الإرشاد ١٩٨٠م.

محمود مرسي عبدالله، دولة الإمارات العربية المتحدة د. ت.

مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي. المكتبة العصرية صيداء، بيروت د. ت.

ياقوت الحموي، معجم البلدان. بيروت ١٩٠٦م.

ثانياً : سجلات الخارجية البريطانية

Foreign Office

Public Record Office

1 - Bombay Government

2 - Budge, E.a.w. History of Ethopia London 1928

3 - Bukingham, Travels in Assyria London 1829.

4 - Cuopland, E.A. East Africa and its Invaders. Oxford

5 - Coupland, E. A. History of East Africa, New York 1661

6 - Duffy, James, Portuguese, Africa, London 1961

7 - Encyclopedia of Islam

8 - Encyclopedia of Britanica

9 - Freeman Granville, The East Africa Coast

10 - Guillim, M. Documents sur L Feographic de l' Afrique Orientale. Paris 1956

11 - Hawley, Donald. The Trucial States - London 1970

12 - Hurwitz, Diplomacy in the Near and Middle East. N.Y. 1958

13 - kelly, G. B. Britain and the Persian Gulf. London 1968

14 - Kumar, R. India and the Persian Gulf Region. 1858-1907

15 - Morsh & kinsnorth. An introduction to the History of East Africa. london 1966

16 - Miles, Samuel, The Countries and tribes of the Persian Gulf. 1960

17 - The American Assembly. The U.S. of the Middle East.

18 - Walter, Fitzgerald. A Social Economic and Political Geoaraphy.

الفهـرس

الصفحة	الموضـــــوع